سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٣٠٨)

ما قيل فيه

لا دليل عليه

من كتب التفاسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١. ١-"وأشار إلى أن تصديقه للكتب السماوية المنزلة قبله، وتفصيله للعقائد، والحلال، والحرام، ونحو ذلك مما لا شك أنه من الله جل وعلا دليل على أنه غير مفترى، وأنه لا ريب في كونه من رب العالمين، وبين هذا في مواضع أخر، كقوله: لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون [١٢ \ ١١١] ، وقوله: وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون [٢٦ \ ٢١٠، ٢١١] ، وقوله: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل [١٧ \ ١٠٥] ، والآيات في مثل ذلك كثيرة.

ثم إنه تعالى لما صرح هنا بأن هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله، أقام البرهان القاطع على أنه من الله، فتحدى جميع الخلق بسورة واحدة مثله، ولا شك أنه لو كان من جنس كلام الخلق لقدر الخلق على الإتيان بمثله، فلما عجزوا عن ذلك كلهم حصل اليقين والعلم الضروري أنه من الله جل وعلا، قال جل وعلا في هذه السورة: أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين [١٠ \ ٣٨] ، وتحداهم أيضا في سورة «البقرة» بسورة واحدة من مثله، بقوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الآية [٢ \ ٢٣] ، وتحداهم في «هود» بعشر سور مثله، بقوله: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات الآية [١٣] ، وتحداهم في «الطور» به كله بقوله: فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين [٣٤] ، وصرح في سورة «بني إسرائيل» بعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله بقوله: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا [١٧ \ ٨٨] ، كما قدمنا، وبين أنهم لا يأتون بمثله أيضا بقوله: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية [٢ \ ٢٤] .

قوله تعالى: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله.

التحقيق أن تأويله هنا، هو حقيقة ما يئول إليه الأمر يوم القيامة، كما قدمنا في أول «آل عمران» ، ويدل لصحة هذا قوله في «الأعراف» : هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء [٥٣] .

ونظير الآية قوله تعالى: بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب [٣٨ \ ٨] ." (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٥٦/٢

٢. ٢-"اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم [٦ \ ١٤٥] الآية.

يدل بدلالة المطابقة دلالة صريحة على إباحة لحوم الحمر الأهلية ؛ لصراحة الحصر بالنفي والإثبات في الآية في ذلك. فإذا صرح النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد ذلك يوم خيبر في حديث صحيح: «بأن لحوم الحمر الأهلية غير مباحة» ، فلا معارضة البتة بين ذلك الحديث الصحيح وبين تلك الآية النازلة قبله بسنين ؛ لأن الحديث دل على تحريم جديد، والآية ما نفت تجدد شيء في المستقبل كما هو واضح.

فالتحقيق – إن شاء الله – هو جواز نسخ المتواتر بالآحاد الصحيحة الثابت تأخرها عنه، وإن خالف فيه جمهور الأصوليين، ودرج على خلافه وفاقا للجمهور صاحب المراقي بقوله: والنسخ بالآحاد للكتاب ليس بواقع على الصواب.

ومن هنا تعلم: أنه **لا دليل على** بطلان قول من قال: إن الوصية للوالدين والأقربين منسوخة بحديث: «لا وصية لوارث» ، والعلم عند الله تعالى.

المسألة السابعة: اعلم أن التحقيق هو جواز النسخ قبل التمكن من الفعل، فإن قيل: ما الفائدة في تشريع الحكم أولا إذا كان سينسخ قبل التمكن من فعله؟ .

فالجواب: أن الحكمة ابتلاء المكلفين بالعزم على الامتثال. ويوضح هذا: أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ولده، وقد نسخ عنه هذا الحكم بفدائه بذبح عظيم قبل أن يتمكن من الفعل. وبين أن الحكمة في ذلك: الابتلاء بقوله: إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم [٣٧ \ ١٠٦، ١٠٧] ، ومن أمثلة النسخ قبل التمكن من الفعل: نسخ خمس وأربعين صلاة ليلة الإسراء، بعد أن فرضت الصلاة خمسين صلاة، كما هو معروف. وقد أشار إلى هذه المسألة في مراقي السعود بقوله:

والنسخ من قبل وقوع الفعل ... جاء وقوعا في صحيح النقل

المسألة الثامنة: اعلم أن التحقيق: أنه ما كل زيادة على النص تكون نسخا، وإن خالف في ذلك الإمام أبو حنيفة – رحمه الله –، بل الزيادة على النص قسمان: قسم مخالف النص المذكور قبله، وهذه الزيادة تكون نسخا على التحقيق ؛ كزيادة تحريم الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع مثلا، على المحرمات الأربعة المذكورة في آية: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه الآية [٦ \ ١٤٥] ؛ لأن الحمر الأهلية ونحوها لم يسكت عن حكمه في الآية، بل مقتضى الحصر بالنفي

والإثبات". (١)

٣. ٣-"فالجواب أن الآية هنا حكاية حال ماضية، ونظير ذلك من القرآن قوله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة [٢ \ ٣٠] ، وقوله تعالى: والله مخرج ما كنتم تكتمون [٢ \ ٧٢] .

واعلم أن ذكره جل وعلا في كتابه هذا الكلب، وكونه باسطا ذراعيه بوصيد كهفهم في معرض التنويه بشأنهم، يدل على أن صحبة الأخيار عظيمة الفائدة. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن. اهـ.

ويدل لهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال: إني أحب الله ورسوله: «أنت مع من أحببت» متفق عليه من حديث أنس.

ويفهم من ذلك أن صحبة الأشرار فيها ضرر عظيم، كما بينه الله تعالى في سورة «الصافات» في قوله: قال قائل منهم إني كان لي قرين [٣٧ \ ٥١]- إلى قوله - قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين الآية [٣٧ \ ٥٦ \ ٥٧] .

وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم، فيقول بعضهم: اسمه قطمير، ويقول بعضهم: اسمه حمران، إلى غير ذلك لم نطل به الكلام لعدم فائدته.

ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ولا رسوله، ولم يثبت في بيانها شيء، والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه.

وكثير من المفسرين يطنبون في ذكر الأقوال فيها بدون علم ولا جدوى، ونحن نعرض عن مثل ذلك دائما، كلون كلب أصحاب الكهف، واسمه، وكالبعض الذي ضرب به القتيل من بقرة بني إسرائيل، وكاسم الغلام الذي قتله الخضر، وأنكر عليه موسى قتله، وكخشب سفينة نوح من أي شجر هو، وكم طول السفينة وعرضها، وكم فيها من الطبقات، إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه، **ولا دليل على** التحقيق فيه.

وقد قدمنا في سورة «الأنعام» في الكلام على قوله تعالى: قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما الآية [٦ \ ١٤٥] حكم أكل لحم الكلب وبيعه، وأخذ قيمته إن قتل، وما يجوز اقتناؤه منها وما لا يجوز،

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢/٤٥٢

وأوضحنا الأدلة في ذلك وأقوال العلماء فيه.

قوله تعالى: وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم
، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه بعث". (١)

٤. ٤-"فمعنى قوله وطفقا يخصفان أي: شرعا يلزقان عليهما من ورق الجنة بعضه ببعض ليسترا به عوراتهما. والعرب تقول: خصف النعل يخصفها: إذا خرزها: وخصف الورق على بدنه: إذا ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة. وكثير من المفسرين يقولون: إن ورق الجنة التي طفق آدم وحواء يخصفان عليهما منه إنه ورق التين. والله تعالى أعلم.

واعلم أن الستر الذي كان على آدم وحواء، وانكشف عنهما لما ذاقا الشجرة اختلف العلماء في تعيينه، فقالت جماعة من أهل العلم: كان عليهما لباس من جنس الظفر. فلما أكلا من الشجرة أزاله الله عنهما إلا ما أبقى على رءوس الأصابع. وقال بعض أهل العلم: كان لباسهما نورا يستر الله به سوءاتهما. وقيل: لباس من ياقوت، إلى غير ذلك من الأقوال. وهو من الاختلاف الذي لا طائل تحته، **ولا دليل على** الواقع فيه كما قدمنا كثيرا من أمثلة ذلك في سورة «الكهف» . وغاية ما دل عليه القرآن: أنهما كان عليهما لباس يسترهما الله به. فلما أكلا من الشجرة نزع عنهما فبدت لهما سوءاتهما. ويمكن أن يكون اللباس المذكور الظفر أو النور، أو لباس التقوى، أو غير ذلك من الأقوال المذكورة فيه.

وأسند جل وعلا إبداء ما ووري عنهما من سوءاتهما إلى الشيطان قوله: ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما [٧ \ ٢٠] ، كما أسند له نزع اللباس عنهما في قوله تعالى: كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما [٧ \ ٢٧] ، لأنه هو المتسبب في ذلك بوسوسته وتزيينه كما قدمناه قريبا. وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يقال: كيف جعل سبب الزلة في هذه الآية وهو وسوسة الشيطان مختصا بآدم دون حواء قوله: فوسوس إليه الشيطان مع أنه ذكر أن تلك الوسوسة سببت الزلة لهما معا كما أوضحناه.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/٢٢٦

والجواب ظاهر، وهو أنه بين في «الأعراف» أنه وسوس لحواء أيضا مع آدم في القصة بعينها في قوله: فوسوس لهما الشيطان [٧ \ ٢٠] ، فبينت آية «الأعراف» ما لم تبينه آية «طه» كما ترى، والعلم عند الله تعالى.

مسألة

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة: وجوب ستر العورة، لأن قوله: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يدل على قبح انكشاف العورة، وأنه ينبغي بذل". (١)

٥. ٥-"قوله تعالى: ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير [٤١ \ ٣٩] فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذي تحققوه وشاهدوه، على الإحياء الذي استبعدوه، وذلك قياس إحياء على إحياء، واعتبار الشيء فنظيره، والعلة الموجبة هي عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته، وإحياء الأرض دليل العلة، ومنه قوله تعالى: يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون [٣٠ \ ١٩] .

فدل بالنظير على النظير، وقرب أحدهما من الآخر جدا بلفظ الإخراج، أي: يخرجون من الأرض أحياء كما يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومنه قوله تعالى: أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى [٧٥ \ ٣٦ - ٤٠] فبين سبحانه كيفية الخلق واختلاف أحوال الماء في الرحم إلى أن صار منه الزوجان: الذكر والأنثى، وذلك أمارة وجود صانع قادر على ما يشاء، ونبه سبحانه عباده بما أحدثه في النطفة المهينة الحقيرة من الأطوار، وسوقها في مراتب الكمال، من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها، حتى صارت بشرا سويا في أحسن خلقة وتقويم، على أنه لا يحسن به أن يترك هذا البشر سدى مهملا معطلا. لا يأمره، ولا ينهاه، ولا يقيمه في عبوديته، وقد ساقه في مراتب الكمال من حين كان نطفة إلى أن صار بشرا سويا، فكذلك يسوقه في مراتب كماله طبقا بعد طبق، وحالا بعد حال، إلى أن يصير جاره في داره يتمتع بأنواع النعيم، وينظر إلى وجهه، ويسمع كلامه. .

---

(١)

. إلى آخر كلام ابن القيم، فإنه أطال في ذكر الأمثلة على النحو المذكور، ولم نذكر جميع كلامه خوفا من الإطالة المملة، وفيما ذكرنا من كلامه تنبيه على ما لم نذكره، وقد تكلم على قياس الشبه، فقال فيه:

وأما قياس الشبه فلم يحكه الله سبحانه إلا عن المبطلين. فمنه قوله تعالى إخبارا عن إخوة يوسف أنهم قالوا لما وجدوا الصواع في رحل أخيهم: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل [١٢ \ ٧٧] فلم يجمعوا بين الفرع والأصل بعلة ولا دليلها، وإنما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بينه وبين يوسف، فقالوا هذا مقيس على أخيه بينهما شبه من وجوه عديدة، وذلك قد سرق فكذلك هذا، وهذا هو الجمع بالشبه الفارغ، والقياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوي، وهو قياس فاسد، والتساوي في قرابة الأخوة ليس بعلة للتساوي في السرقة لو كان حقا، **ولا دليل على"**. (١)

٦. ٦-"لم يأت به من تقدمه ولا من تأخر. وقد تركنا كثيرا من نفائس كلامه في هذه المواضيع خشية الإطالة الكثيرة.

المسألة السابعة

اعلم أن استهزاء الظاهرية وسخريتهم بالأئمة المجتهدين – رحمهم الله – ودعواهم أن قياساتهم متناقضة ينقض بعضها بعضا، وأن ذلك دليل على أنها كلها باطلة وليست من الدين في شيء – إذا تأمل فيه المنصف العارف وجد الأئمة – رحمهم الله – أقرب في أغلب ذلك إلى الصواب والعمل بما دلت عليه النصوص من الظاهرية الساخرين المستهزئين. وسنضرب لك بعض الأمثلة لذلك لتستدل به على غيره.

اعلم أن من أعظم المسائل التي قال فيها الظاهرية بتناقض أقيسة الأئمة وتكذيب بعضها لبعض، وأن ذلك يدل على بطلان كل قياس من أقيستهم – هي مسألة الربا التي قال فيها النبي – صلى الله عليه وسلم –: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى» .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٨٩/٤

قال الظاهرية: فالنبي – صلى الله عليه وسلم – إنما حرم الربا في الستة المذكورة، فتحريمه في شيء غيرها قول على الله وعلى رسوله، وتشريع زائد على ما شرعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالوا: والذين زادوا على النص أشياء يحرم فيها الربا اختلفت أقوالهم، وتناقضت أقيستهم، فبعضهم يقول: التمر والبلوط ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره. وبعضهم يقول هي الكيل. وبعضهم يقول هي الاقتيات والادخار. . . إلخ.

فهذه أقيسة متضاربة متناقضة فليست من عند الله، وإذا تأملت في هذه المسألة التي سخروا بسببها من الأئمة، وادعوا عليهم أنهم حرموا الربا في أشياء **لا دليل على** تحريمه فيها كالتفاح عند من يقول: العلة الطعم كالشافعي، وكالأشنان عند من يقول: العلة الكيل – علمت أن الأئمة أقرب إلى العمل بالنص في ذلك من الظاهرية المدعين الوقوف مع ظاهر النص. أما الشافعي الذي قال: العلة في تحريم الربا الطعم فقد استدل لذلك بما رواه مسلم في صحيحه: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو (ح) وحدثني أبو الطاهر، أخبرنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث، أن أبا النضر حدثه، أن بسر بن سعيد حدثه عن معمر بن عبد الله، أنه أرسل غلامه بصاع قمح. الحديث، وفيه: فإني كنت أسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «الطعام بالطعام مثلا بمثل» وكان طعامنا". (١)

٧. ٧-"وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم [٧ \ ٤٤] وقال تعالى: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله الآية [٢ \ ٧٤] وقال تعالى: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها الآية [٣٣ \ ٧٢] . وقد ثبت في صحيح البخاري أن الجذع الذي كان يخطب عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – لما انتقل عنه بالخطبة إلى المنبر سمع له حنين. وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن» وأمثال هذا كثيرة. والقاعدة المقررة عند العلماء أن نصوص الكتاب، والسنة لا يجوز صرفها عن ظاهرها المتبادر منها إلا بدليل يجب الرجوع إليه. والتسبيح في اللغة: الإبعاد عن السوء، وفي اصطلاح الشرع: تنزيه الله – جل وعلا – عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/٢٢٣

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية وسخرنا مع داود الجبال [٢١ \ ٧٩] أي: جعلناها بحيث تطيعه إذا أمرها بالتسبيح، والظاهر أن قوله: وكنا فاعلين مؤكد لقوله: وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير [٢١ \ ٧٩] والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب خارق للعادة، مظنة لأن يكذب به الكفرة الجهلة.

وقال الزمخشري وكنا فاعلين أي: قادرين على أن نفعل هذا. وقيل: كنا نفعل بالأنبياء مثل ذلك. وكلا القولين اللذين قال ظاهر السقوط؛ لأن تأويل وكنا فاعلين بمعنى كنا قادرين بعيد، ولا دليل عليه كما **لا دليل على** الآخر كما ترى.

وقال أبو حيان وكنا فاعلين أي: فاعلين هذه الأعاجيب من تسخير الجبال وتسبيحهن والطير لمن نخصه بكرامتنا. اهـ. وأظهرها عندي هو ما تقدم، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون.

الضمير في قوله: وعلمناه راجع إلى داود، والمراد بصيغة اللبوس: صنعة الدروع ونسجها. والدليل على أن المراد باللبوس في الآية الدروع أنه أتبعه بقوله: لتحصنكم من بأسكم [٢١ \ ٨٠] أي: لتحرز وتقي بعضكم من بأس بعض؛ لأن الدرع تقيه ضرر الضرب بالسيف، والرمي بالرمح والسهم كما هو معروف. وقد أوضح". (١)

٨. ٨-"الفرع الخامس: الأظهر عندي: أن المحرم لا يجوز له أن يخطب امرأة، وكذلك المحرمة، لا يجوز للرجل خطبتها لما تقدم من حديث عثمان، عند مسلم: «لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب» فالظاهر أن حرمة الخطبة كحرمة النكاح، لأن الصيغة فيهما متحدة، فالحكم بحرمة أحدهما دون الآخر، يحتاج إلى دليل خاص، ولا دليل عليه. والظاهر من الحديث حرمة النكاح وحرمة وسيلته التي هي الخطبة كما تحرم خطبة المعتدة.

وبه تعلم أن ما ذكره كثير من أهل العلم من أن الخطبة لا تحرم في الإحرام، وإنما تكره أنه خلاف الظاهر من النص ولا دليل عليه، وما استدل به بعض أهل العلم من الشافعية وغيرهم: على أن المتعاطفين قد يكون أحدهما مخالفا لحكم الآخر ؛ كقوله تعالى: كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٣٢/٤

حصاده الآية [٦ \ ١٤١] . قالوا: الأكل مباح وإيتاء الحق واجب، لا دليل فيه ؛ لأن الأمر بالأكل معلوم أنه ليس للوجوب، بخلاف قوله في الحديث «ولا يخطب» **فلا دليل على** أنه ليس للتحريم، كقوله قبله: «لا ينكح المحرم» .

الفرع السادس: إذا وقع عقد النكاح في حال إحرام أحد الزوجين أو الولي، فالعقد فاسد، ولا يحتاج إلى فسخه بطلاق ؛ كما هو ظاهر الآثار التي قدمنا، ومذهب مالك وأحمد: أنه يفسخ بطلاق مراعاة لقول من أجازه كأبي حنيفة ومن تقدم ذكرهم.

الفرع السابع: أظهر قولي أهل العلم عندي: أنه إذا وكل حلال حلالا في التزويج، ثم أحرم أحدهما أو المرأة أن الوكالة لا تنفسخ بذلك، بل له أن يزوج بعد التحلل بالوكالة السابقة، خلافا لمن قال: تنفسخ الوكالة بذلك، والتحقيق أن الوكيل إذا كان حلالا والموكل محرما، فليس للوكيل الحلال عقد النكاح، قبل تحلل موكله خلافا لمن حكى وجها بجواز ذلك، ولا شك أن تجويز ذلك غلط.

الفرع الثامن: اعلم أنا قدمنا في أول الكلام على هذه المسألة: أن الإحرام يحرم بسببه على المحرم وطء امرأته في الفرج ومباشرتها فيما دون الفرج ؛ لقوله تعالى: فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج [٢ \ ١٩٧] وقد قدمنا أن الرفث شامل للجماع، ومقدماته. وقد أردنا في هذا الفرع أن نبين ما يلزمه لو فعل شيئا من ذلك، ولا خلاف بين أهل العلم: أن المحرم إذا جامع امرأته قبل الوقوف بعرفات: أن". (١)

٩. ٩-"على البطن من غير عقد بضرورة العمل خاصة كما تقدم.

والحاصل: أنه لا ينبغي أن يختلف في جواز نظر المحرم في المرآة، إذ **لا دليل على** النهي عنه، وذكر ابن حجر في " الفتح ": أنه نقلت كراهته عن القاسم بن محمد، وذلك هو مشهور مذهب مالك، وفي سماع ابن القاسم: لا أحب نظر المحرم في المرآة، فإن نظر فلا شيء عليه، وليستغفر الله.

وأصح القولين عند الشافعية: أنه لا كراهة فيه، ونقل ابن المنذر عدم الكراهة عن ابن عباس، وأبي هريرة، وطاوس، والشافعي، وأحمد، وإسحاق قال: وبه أقول، وكره ذلك عطاء الخراساني. وقال مالك: لا يفعل ذلك إلا عن ضرورة، قال: وعن عطاء في المسألة قولان: بالكراهة والجواز، وصح عن ابن

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٢٨

عمر: أنه نظر في المرآة. انتهى بالمعنى من النووي.
قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة: أن مجرد نظر المحرم في المرآة لا بأس به، ما لم يقصد به الاستعانة على أمر من محظورات الإحرام، كنظر المرأة فيها لتكتحل بما فيه طيب أو زينة، ونحو ذلك، والعلم عند الله تعالى.
وذكر في " الفتح " أيضا: أن سعيد بن منصور روى من طريق عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة: أنها حجت، ومعها غلمان لها، وكانوا إذا شدوا رحلها يبدو منهم الشيء، فأمرتهم أن يتخذوا التبابين فيلبسوها، وهم محرمون قال: وأخرجه من وجه آخر مختصرا بلفظ: يشدون هودجها، انتهى محل الغرض منه، وقوله: يرحلون هودجها هو بفتح الياء المثناة التحتية، وسكون الراء، وفتح الحاء من قولهم: رحلت البعير أرحله بفتح الحاء في المضارع، والماضي رحلا بمعنى: شددت الرحل على ظهره، ومنه قول الأعشى:
رحلت سمية غدوة أجمالها ... غضبى عليك فما تقول بدا لها
وقول المثقب العبدي وهو عائذ بن محصن:
إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوه آهة الرجل الحزين
والهودج: مركب من مراكب النساء معروف، وما ذكر عن عائشة – رضي الله عنها – ظاهره أنها إنما رخصت في التبان، لمن يرحل هودجها، لضرورة انكشاف العورة، وهو". (١)

١٠. ١٠–"قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: أما مجرد الغسل الذي لا يزيده إلا شعثا كما قال عمر – رضي الله عنه – فلا ينبغي أن يختلف فيه، لحديث أبي أيوب المتفق عليه، وأما التدلك في الحمام، وغسل الرأس بالخطمي، فلا نص فيه، والأحسن تركه احتياطا، وأما لزوم الفدية فيه فلا أعلم له دليلا يجب الرجوع إليه، والعلم عند الله تعالى.
وأما حكم من قتل بغسله رأسه قملا، فلا أعلم في خصوص قتل المحرم القمل نصا من كتاب، ولا سنة.
وقد قدمنا أن مذهب مالك: أنه إن قتل قملة أو قملات أطعم ملء يد واحدة من الطعام كفارة لذلك، وإن قتل كثيرا منه لزمته الفدية، وعن الشافعي أن من قتل قملة: أطعم شيئا قال: وأي شيء

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٩٢

فداها به فهو خير منها. وعند الشافعي: أنه إن ظهر القمل على بدنه أو ثيابه، لم يكره له أن ينحيه ؛ لأنه ألجأه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن قتل القمل لا فدية فيه، وهو مذهب أحمد وأصحابه، مع أن عنه روايتين:

إحداهما: إباحة قتله ؛ لأنه يؤذي، والأخرى منع قتله ؛ لأن فيه ترفها.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –:

أظهر أقوال أهل العلم عندي في ذلك: أن القمل لا يجوز قتله وأخذه من الرأس، بدليل قصة كعب بن عجرة المتقدمة، فإنه لو كان قتله يجوز لما صبر على أذاه، ولتسبب في التفلي ؛ لإزالته من رأسه، كما هو العادة المعروفة فيمن آذاه القمل، وهو غير محرم إن لم يرد الحلق، وأنه لا شيء على من قتله.

والدليل على ذلك أمران.

أحدهما: أن الأصل عدم الوجوب إلا لدليل، **ولا دليل على** لزوم شيء في قتل القمل، مع أنه يؤذي أشد الإيذاء.

الأمر الثاني: أن ظاهر حديث كعب بن عجرة المتفق عليه، وظاهر القرآن العظيم كلاهما: يدل على أن الفدية إنما لزمت بسبب حلق الرأس، مع كثرة ما فيه من القمل، فلو كانت الفدية تلزم من قتل القمل، وإزالته، لبينه – صلى الله عليه وسلم – فقوله تعالى: ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ظاهره: أن الأذى الذي برأسه من القمل ونحوه: كالمرض في إباحة الحلق، وأن الفدية لزمت بسبب الحلق لا بسبب المرض، ولا بسبب إزالة القمل، وكذلك". [١]

١١. ١١–"ظاهر حديث كعب، حيث أمره بالحلق والفدية، فهو يدل على أن الفدية من أجل الحلق لا غيره.

ومما يؤيد ذلك: أن القمل لا قيمة له، فهو كالبراغيث والبعوض، وليس القمل بمأكول، وليس بصيد.

قال صاحب " المغني ": وحكي عن ابن عمر قال: هي أهون مقتول، وسئل ابن عباس، عن محرم ألقى قملة، ثم طلبها فلم يجدها؟ قال: تلك ضالة لا تبتغى. قال: وهذا قول طاوس، وسعيد بن جبير،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٩٥

وعطاء، وأبي ثور، وابن المنذر، وعن أحمد فيمن قتل قملة، قال: يطعم شيئا فعلى هذا أي شيء تصدق به أجزأه، سواء قتل كثيرا أو قليلا، وهذا قول أصحاب الرأي وقال إسحاق: تمرة فما فوقها. وقال مالك: حفنة من طعام. وروي ذلك عن ابن عمر، وقال عطاء: قبضة من طعام.

وهذه الأقوال كلها راجعة إلى ما قلناه، فإنهم لم يريدوا بذلك التقدير، وإنما هو على التقريب لأقل ما يتصدق به. انتهى من " المغني ". ولا يخفى أنها أقوال **لا دليل على** شيء منها.

وحجة القائلين بها في الجملة: أن قتل القمل فيه ترفه للمحرم، والعلم عند الله تعالى.

وأما الحجامة: إن دعت إليها ضرورة، فلا خلاف في جوازها للمحرم، وإنما اختلف أهل العلم في الفدية، إن احتجم. أما جوازها لضرورة فهو ثابت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ثبوتا لا مطعن فيه.

قال البخاري في صحيحه: باب الحجامة للمحرم: وكوى ابن عمر ابنه، وهو محرم، ويتداوى ما لم يكن فيه طيب.

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال عمرو: أول شيء سمعت عطاء يقول: سمعت ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول: احتجم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو محرم، ثم سمعته يقول: حدثني طاوس، عن ابن عباس فقلت: لعله سمعه منها.

حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، عن علقمة بن أبي علقمة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن ابن بحينة – رضي الله عنه – قال: " احتجم النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو محرم بلحيي جمل في وسط رأسه ". انتهى من صحيح البخاري.". (١)

١٢. ١٢-"والتقدير، فإن عجز عن الهدي، صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

الوجه الثاني: أنه إن عجز عن الهدي قوم شاة الهدي دراهم، واشترى بها طعاما وتصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يوما، والوجهان الآخران عند الشافعية تركناهما لضعفهما وشذوذهما، كما قاله علماء الشافعية. ومذهب الشافعي في الدم اللازم. بسبب الاستمتاع: كالطيب واللباس، ومقدمات الجماع أن فيه عندهم أربعة أوجه، وقد قدمناها.

وقدمنا أن أصحها أنه كفدية الأذى المنصوصة في آية الفدية. ودم الجماع فيه عند الشافعية طرق

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٩٦/٥

واختلاف منتشر، والمذهب المشهور عندهم: أنه بدنة، فإن عجز عنها فبقرة، فإن عجز فسبع شياه، فإن عجز قوم البدنة بدراهم، والدراهم بطعام ثم تصدق به، فإن عجز صام عن كل مد يوما. وقيل: إن عجز عن الغنم قوم البدنة وصام، فإن عجز أطعم، فيقدم الصيام على الإطعام ككفارة الظهار ونحوها. وقيل: لا مدخل للإطعام والصيام، بل إذا عجز عن الغنم ثبت الفداء في ذمته. وقيل: إنه يتخير بين البدنة، والبقرة، والغنم، فإن عجز عنها، فالإطعام ثم الصوم. وقيل: يتخير بين البدنة، والبقرة، والشياه، والإطعام، والصيام، وكل هذه الأقوال **لا دليل على** شيء منها من كتاب ولا سنة ولا قياس جلي.

وقول الظاهرية: إن كل ما لم يثبت من هذه المذكورات من صيام ودم لا يجب ؛ لأن كل ما سكت عنه الوحي فهو عفو له وجه من النظر، والعلم عند الله تعالى.

وقد قدمنا أن مذهب مالك هو قياس الطيب واللبس ونحو ذلك على فدية الأذى كغيره من الأئمة.

وأما دم الفوات والفساد، وترك الرمي وتعدي الميقات، وترك المبيت بمزدلفة، فكل ذلك يقيس بدله على بدل التمتع، فإن عجز عن الهدي صام عشرة أيام، وإنما يصوم الثلاثة في الحج عندهم المتمتع، والقارن ومتعدي الميقات، ومفسد الحج ومن فاته الحج.

وأما من لزمه ذلك لترك جمرة أو النزول بمزدلفة، فيصوم متى شاء ؛ لأنه يقضي في غير حج، فيصوم في غير حج. اهـ من المواق.

وقد قدمنا في مسائل الحج التي ذكرناها في الكلام على آية الحج: بعض المسائل التي يتعدد فيها الدم، وبعض المسائل التي لا يتعدد فيها في مواضع متفرقة، مع عدم النص في ذلك من كتاب أو سنة.". (١)

١٣. ١٣-"لها نكاح المشرك ؛ لقوله تعالى: ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا [٢ \ ٢٢١] ، فنكاح المشركة والمشرك لا يحل بحال، وذلك قرينة على أن المراد بالنكاح في الآية التي نحن بصددها الوطء الذي هو الزنى، لا عقد النكاح ؛ لعدم ملاءمة عقد النكاح لذكر المشرك والمشركة، والقول بأن نكاح الزاني للمشركة، والزانية للمشرك منسوخ ظاهر السقوط ؛ لأن سورة «النور» مدنية، **ولا دليل على** أن ذلك أحل بالمدينة ثم نسخ، والنسخ لا بد له من دليل يجب الرجوع إليه.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٦٩/٥

مسألة تتعلق بهذه الآية الكريمة

اعلم أن العلماء اختلفوا في جواز نكاح العفيف الزانية، ونكاح العفيفة الزاني، فذهب جماعة من أهل العلم منهم الأئمة الثلاثة إلى جواز نكاح الزانية مع الكراهة التنزيهية عند مالك وأصحابه، ومن وافقهم، واحتج أهل هذا القول بأدلة:

منها عموم قوله تعالى: وأحل لكم ما وراء ذلكم [٤ \ ٢٤] وهو شامل بعمومه الزانية والعفيفة، وعموم قوله تعالى: وأنكحوا الأيامى منكم الآية [٢٤ \ ٣٢] ، وهو شامل بعمومه الزانية أيضا والعفيفة.

ومن أدلتهم على ذلك: حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رجلا جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن امرأتي لا ترد يد لامس، قال «: غربها» ، قال: أخاف أن تتبعها نفسي؟ قال «: فاستمتع بها» ، قال ابن حجر في «بلوغ المرام» في هذا الحديث بعد أن ساقه باللفظ الذي ذكرنا: رواه أبو داود، والترمذي، والبزار ورجاله ثقات، وأخرجه النسائي من وجه آخر، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بلفظ قال «: طلقها» ، قال: لا أصبر عنها، قال «: فأمسكها» ، اهـ، من «بلوغ المرام» ، وفيه تصريح ابن حجر بأن رجاله ثقات، وبه تعلم أن ذكر ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فيه نظر، وقد ذكره في الموضوعات مرسلا عن أبي الزبير، قال: أتى رجل النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن امرأتي. . . الحديث، ورواه أيضا مرسلا عن عبيد بن عمير، وحسان بن عطية كلاهما عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم قال: وقد حمله أبو بكر الخلال على الفجور، ولا يجوز هذا ؛ وإنما يحمل على تفريطها في المال لو صح الحديث.

قال أحمد بن حنبل: هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس له أصل، انتهى". (١)

١٤. ١٤–"ورجوع الإشارة، أو الضمير بالإفراد مع رجوعهما إلى متعدد باعتبار المذكور أسلوب عربي معروف، ومنه في الإشارة قوله تعالى: قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك [٢ \ ٦٨] أي: ذلك المذكور من الفارض والبكر، وقوله تعالى: وكان بين ذلك قواما [٢٥ \ ٦٧]

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤١٨/٥

أي: بين ذلك المذكور من الإسراف والقتر، وقول عبد الله بن الزبعرى السهمي:

إن للخير وللشر مدى ... وكلا ذلك وجه وقبل

أي: وكلا ذلك المذكور من الخير والشر، ومنه في الضمير قول رؤبة:

فيها خطوط من سواد وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

أي: كأنه، أي: ما ذكر من خطوط السواد والبلق، وقد قدمنا هذا البيت.

أما عاد وثمود فقد جاءت قصة كل منهما مفصلة في آيات متعددة. وأما أصحاب الرس فلم يأت في القرآن تفصيل قصتهم ولا اسم نبيهم، وللمفسرين فيهم أقوال كثيرة تركناها لأنها **لا دليل على** شيء منها.

والرس في لغة العرب: البئر التي ليست بمطوية، وقال الجوهري في «صحاحه» : إنها البئر المطوية بالحجارة، ومن إطلاقها على البئر قول الشاعر:

وهم سائرون إلى أرضهم ... فيا ليتهم يحفرون الرساسا

وقول النابغة الجعدي:

سبقت إلى فرط ناهل ... تنابلة يحفرون الرساسا

والرساس في البيتين جمع رس، وهي البئر، والرس واد في قول زهير في معلقته:

بكرن بكورا واستحرن بسحرة ... فهن لوادي الرس كاليد للفم

وقوله في هذه الآية: وقرونا بين ذلك كثيرا، جمع قرن، وهو هنا الجيل من الناس الذي اقترنوا في الوجود في زمان من الأزمنة.

قوله تعالى وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا. ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن كلا من الماضين المهلكين من قوم نوح،". (١)

١٥. ١٥-"سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

فعلى المحتج بحديث جابر المذكور، أن يثبت أنه صلى الله عليه وسلم رآها سافرة، وأقرها على ذلك، ولا سبيل له إلى إثبات ذلك. وقد روى القصة المذكورة غير جابر، فلم يذكر كشف المرأة المذكورة عن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٤/٦

وجهها، وقد ذكر مسلم في «صحيحه» ممن رواها غير جابر أبا سعيد الخدري، وابن عباس، وابن عمر، وذكره غيره عن غيرهم. ولم يقل أحد ممن روى القصة غير جابر أنه رأى خدي تلك المرأة السفعاء الخدين، وبذلك تعلم أنه **لا دليل على** السفور في حديث جابر المذكور. وقد قال النووي في شرح حديث جابر هذا عند مسلم، وقوله: فقامت امرأة من سطة النساء، هكذا هو في النسخ (سطة بكسر السين، وفتح الطاء المخففة. وفي بعض النسخ: واسطة النساء. قال القاضي: معناه: من خيارهن، والوسط العدل والخيار، قال: وزعم حذاق شيوخنا أن هذا الحرف مغير في كتاب مسلم، وأن صوابه من سفلة النساء، وكذا رواه ابن أبي شيبة في مسنده، والنسائي في سننه. في رواية لابن أبي شيبة: امرأة ليست من علية النساء، وهذا ضد التفسير الأول ويعضده قوله بعده: سفعاء الخدين هذا كلام القاضي، وهذا الذي ادعوه من تغيير الكلمة غير مقبول، بل هي صحيحة، وليس المراد بها من خيار النساء كما فسره به هو، بل المراد: امرأة من وسط النساء جالسة في وسطهن. قال الجوهري وغيره من أهل اللغة: يقال: وسطت القوم أسطهم وسطا وسطة، أي: توسطتهم، اه منه. وهذا التفسير الأخير هو الصحيح، فليس في حديث جابر ثناء البتة على سفعاء الخدين المذكورة، ويحتمل أن جابرا ذكر سفعة خديها ليشير إلى أنها ليست ممن شأنها الافتتان بها ؛ لأن سفعة الخدين قبح في النساء. قال النووي: سفعاء الخدين، أي: فيها تغير وسواد. وقال الجوهري في «صحاحه» : والسفعة في الوجه: سواد في خدي المرأة الشاحبة، ويقال للحمامة سفعاء لما في عنقها من السفعة، قال حميد بن ثور:

من الورق سفعاء العلاطين باكرت ... فروع أشاء مطلع الشمس أسحما

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: السفعة في الخدين من المعاني المشهورة في كلام العرب: أنها سواد وتغير في الوجه، من مرض أو مصيبة أو سفر شديد، ومن ذلك قول متمم بن نويرة التميمي يبكي أخاه مالكا:

تقول ابنة العمري ما لك بعدما ... أراك خضيبا ناعم البال أروعا". (١)

١٦. ١٦-"وعلى نبينا الصلاة والسلام، حين قال فرعون: ذروني أقتل موسى وليدع ربه الآية [٤٠ \ ٢٦] . مع أنه لا ذنب له، يستحق به القتل، إلا أنه يقول: ربي الله.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦/٢٥٣

وقد بين في آيات أخر أن من عادة المشركين قتل المسلمين، والتنكيل بهم، وإخراجهم من ديارهم من غير ذنب، إلا أنهم يؤمنون بالله ويقولون: ربنا الله، كقوله تعالى في أصحاب الأخدود، الذين حرقوا المؤمنين: قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد [٨٥ \ ٤ – ٨] وقوله تعالى: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله [٢٢ \ ٣٩ – ٤٠] . وقوله تعالى: عن الذين كانوا سحرة لفرعون، وصاروا من خيار المؤمنين، لما هددهم فرعون قائلا: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين [٧ \ ١٢٤] أنهم أجابوه، بما ذكره الله عنهم، في قوله: قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا [٧ \ ١٢٥ – ١٢٦] إلى غير ذلك من الآيات.

والتحقيق أن الرجل المؤمن المذكور في هذه الآية من جماعة فرعون كما هو ظاهر قوله تعالى: «من آل فرعون» .

فدعوى أنه إسرائيلي وأن في الكلام تقديما وتأخيرا. وأن من آل فرعون متعلق بـ (يكتم) ، أي وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون أي يخفي إيمانه عن فرعون وقومه خلاف التحقيق كما لا يخفى.

وقيل: إن هذا الرجل المؤمن هو الذي قال لموسى: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج [٢٨ \ ٢٠] وقيل غيره.

واختلف العلماء في اسمه اختلافا كثيرا فقيل: اسمه حبيب، وقيل: اسمه شمعان، وقيل: اسمه حزقيل، وقيل غير ذلك، **ولا دليل على** شيء من ذلك.

والظاهر في إعراب المصدر المنسبك من أن وصلتها في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن يقول ربي الله أنه مفعول من أجله.". (١)

١٧. ١٧-"النحس البلاء والشدة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت زهير بن أبي سلمى يقول:

سواء عليه أي يوم أتيته ... أساعة نحس تتقي أم بأسعد

وتفسير النحس بالبلاء والشدة تفسير بالمعنى ؛ لأن الشؤم بلاء وشدة، ومقابلة زهير النحس بالأسعد

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٨٤/٦

في بيته يوضح ذلك، وهو معلوم.

ويزعم بعض أهل العلم أنها من آخر شوال، وأن أولها يوم الأربعاء، وآخرها يوم الأربعاء، **ولا دليل على** شيء من ذلك.

وما يذكره بعض أهل العلم من أن يوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء الأخير من الشهر، أو يوم الأربعاء مطلقا، حتى إن بعض المنتسبين لطلب العلم وكثيرا من العوام صاروا يتشاءمون بيوم الأربعاء الأخير من كل شهر، حتى إنهم لا يقدمون على السفر والتزوج ونحو ذلك فيه، ظانين أنه يوم نحس وشؤم، وأن نحسه مستمر على جميع الخلق في جميع الزمن – لا أصل له ولا معول عليه، ولا يلتفت إليه من عنده علم؛ لأن نحس ذلك اليوم مستمر على عاد فقط الذين أهلكهم الله فيه، فاتصل لهم عذاب البرزخ والآخرة بعذاب الدنيا، فصار ذلك الشؤم مستمرا عليهم استمرارا لا انقطاع له.

أما غير عاد فليس مؤاخذا بذنب عاد ؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

وقد أردنا هنا أن نذكر بعض الروايات التي اغتر بها من ظن استمرار نحس ذلك اليوم ؛ لنبين أنها لا معول عليها.

قال صاحب الدر المنثور: وأخرج ابن أبي حاتم عن زر بن حبيش في يوم نحس مستمر قال: يوم الأربعاء.

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «قال لي جبريل: اقض باليمين مع الشاهد. وقال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمر» .

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: «نزل جبريل على النبي – صلى الله عليه وسلم – باليمين مع الشاهد، والحجامة، ويوم الأربعاء يوم نحس مستمر» .". (١)

١٨. ١٨–"اسم جنس، أو اسم عين، أو اسم جمع أو غير ذلك.

فقولك: جاء زيد، لا يفهم منه عدم مجيء عمرو.

وقولك: رأيت أسدا، لا يفهم منه عدم رؤيتك لغير الأسد.

والقول بالفرق بين اسم الجنس فيعتبر، واسم العين فلا يعتبر، لا يظهر.

فلا عبرة بقول الصيرفي وأبي بكر الدقاق وغيرهما من الشافعية.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٨/٧

ولا بقول ابن خويز منداد وابن القصار من المالكية، ولا بقول بعض الحنابلة باعتبار مفهوم اللقب ؛ لأنه **لا دليل على** اعتباره عند القائل به، إلا أنه يقول: لو لم يكن اللقب مختصا بالحكم لما كان لتخصيصه بالذكر فائدة، كما علل به مفهوم الصفة ؛ لأن الجمهور يقولون: ذكر اللقب ليسند إليه، وهو واضح لا إشكال فيه.

وأشار صاحب مراقي السعود إلى تعريف اللقب بالاصطلاح الأصولي، وأنه أضعف المفاهيم – بقوله:

أضعفها اللقب وهو ما أبي من دونه نظم الكلام العرب

وحاصل فقه هذه المسألة أن الجن مكلفون على لسان نبينا – صلى الله عليه وسلم – بدلالة الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وأن كافرهم في النار بإجماع المسلمين، وهو صريح قوله – تعالى –: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين [١١ \ ١١٩] . وقوله – تعالى –: فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون [٢٦ \ ٩٤ – ٩٥] . وقوله – تعالى –: قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار [٧ \ ٣٨] . إلى غير ذلك من الآيات.

وأن مؤمنيهم اختلف في دخولهم الجنة، ومنشأ الخلاف الاختلاف في فهم الآيتين المذكورتين.

والظاهر دخولهم الجنة كما بينا، والعلم عند الله – تعالى –. اهـ. منه بلفظه.

قوله – تعالى –: أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير.

قد قدمنا الآيات الموضحة لهذه الآية، وأنها من الآيات الدالة على البعث في". (١)

١٩. ١٩–"وقال تعالى: إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون [٢٤ \ ٥١ – ٥٢] .

وقال تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة [٣٣ \ ٢١] .

وقال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله [٩ \ ٧١] .

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/٢٤٠

ولا شك عند أحد من أهل العلم أن طاعة الله ورسوله المذكورة في هذه الآيات ونحوها من نصوص الوحي، محصورة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم.

فنصوص القرآن والسنة كلها دالة على لزوم تدبر الوحي، وتفهمه وتعلمه والعمل به، فتخصيص تلك النصوص كلها، بدعوى أن تدبر الوحي وتفهمه والعمل به: لا يصح شيء منه إلا لخصوص المجتهدين الجامعين لشروط الاجتهاد المعروفة عند متأخري الأصوليين – يحتاج إلى دليل يجب الرجوع إليه، **ولا دليل على** ذلك البتة.

بل أدلة الكتاب والسنة دالة على وجوب تدبر الوحي وتفهمه وتعلمه والعمل بكل ما علم منه، علما صحيحا قليلا كان أو كثيرا.

وهذه المسألة الثانية يتداخل بعض الكلام فيها، مع بعض الكلام في المسألة الأولى، فهما شبه المسألة الواحدة.

المسألة الثالثة في التقليد في بيان معناه لغة واصطلاحا وأقسامه وبيان ما يصح منها وما لا يصح

اعلم أن التقليد في اللغة: هو جعل القلادة في العنق.

وتقليد الولاة هو جعل الولايات قلائد في أعناقهم، ومنه قول لقيط الإيادي:

وقلدوا أمركم لله دركم رحب ... الذراع بأمر الحرب مضطلعا

وأما التقليد في اصطلاح الفقهاء: فهو الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله.

والمراد بالمذهب هو ما يصح فيه الاجتهاد خاصة.". (١)

٢٠. ٢٠-"أموالكم ". رواه أبو داود.

قال الشوكاني بإسناد حسن: وهذا ما يتفق مع حديث: " ليس على المسلم في فرسه ولا في عبده " رواه الجماعة.

وقد أجاب الأحناف على تردد عمر: بأن الخيل لم تكن تعرف سائمة للنسل عند العرب، ولكنها ظهرت بعد الفتوحات في عهد عمر. وفي هذا القول نظر. وعليه **فلا دليل على** وجوب الزكاة في الخيل فتبقى على البراءة الأصلية، ولهذا لم يأت للخيل ذكر في كتاب أنصباء بهيمة الأنعام، ولا يرد

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٠٤/٧

عليه أن البقر لم يأت ذكرها أيضا فيه ؛ لأن زكاة البقر جاءت فيها نصوص متعددة لأصحاب السنن. وللبخاري وغيره بيان أنصباء الزكاة وما يؤخذ فيها: معلوم أنه لم يأت نص من كتاب الله يفصل ذلك، ولكن تقدم في مقدمة الشيخ – رحمة الله تعالى علينا وعليه – أن من أنواع البيان بيان القرآن بالسنة، وهو نوع من بيان القرآن ؛ لقوله تعالى: وما آتاكم الرسول فخذوه [٥٩ \ ٧] .

وقد بينت السنة أركان الإسلام: كعدد الركعات وأوقات الصلوات مفصلة ومناسك الحج.

فكذلك بينت السنة مجمل هذا الحق، وفي أي أنواع الأموال، وإن أجمع نص في ذلك هو كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي كتبه وقرنه بسيفه، وقد عمل به أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – ومضى عليه العمل فيما بعد.

وقد رواه الجماعة عن أنس – رضي الله عنه –، قال أرسل إلي أبو بكر كتابا، وكان نقش الخاتم عليه: " محمد " سطر، و " رسول " سطر، و " الله " سطر:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعطه: في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم في كل خمس شاة، فإذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض، فإن لم تكن بنت مخاض فابن لبون، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الفحل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ستا وسبعين إلى تسعين". (١)

٢١. ٢١-"مناقشة ممتعة:

ما يقوله الزمخشري:

ويقول الزمخشري: «فإن قلت: يقال: «جاء زيد هو فارس» بغير واو فما بال قوله تعالى: «أو هم قائلون» ؟ قلت: قدر بعض النحويين الواو المحذوفة، ورده الزجاج وقال: لو قلت: جاءني زيد راجلا أو هو فارس، أو جاءني زيد هو فارس، لم يحتج فيه إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول. والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف، لأن واو الحال هي واو

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٢٧٤/٨

العطف استعيرت للوصل، فقولك: جاز زيد راجلا، أو هو فارس، كلام فصيح وارد على حده. وأما: جاءني زيد هو فارس، فخبيث» .

رد أبي حيان على الزمخشري والزجاج:

وقد رد أبو حيان يقول: «فأما بعض النحويين الذي اتهمه الزمخشري فهو الفراء، وأما قول الزمخشري في التمثيلين: لم يحتج فيه إلى الواو لأن الذكر قد عاد إلى الأول، ففيه إبهام، وتعيينه لم يجز دخولها في المثال الثاني، فانتفاء الاحتياج ليس على حد سواء، لأنه في الأول لامتناع الدخول، وفي الثاني لكثرة الدخول، ولا لامتناعه.

وأما قول الزمخشري: والصحيح إلى آخره، فتعليله ليس بصحيح، لأن واو الحال ليست حرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف، لأنها لو كانت للعطف للزم أن يكون ما قبل الواو حالا حتى يعطف حال على حال، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون **حالا دليل على** أنها ليست واو عطف ولا لحظ فيها معنى العطف. تقول: جاءني زيد". (١)

٢٢. ٢٢-"على السعة، وقد اختلف في المراد بهذه البيوت والصحيح أنها عامة لأنه **لا دليل على** التخصيص، فسلموا الفاء رابطة وسلموا فعل أمر وفاعل وعلى أنفسكم متعلقان بسلموا وتحية منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو مرادفه كقعدت جلوسا وفرحت جزلا ومن عند الله صفة لتحية أو بنفس التحية ومباركة صفة وطيبة صفة أيضا أي يرجى بها زيادة الخير وتطيب بها نفس المستمع. (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) الكاف نعت لمصدر محذوف ويبين الله فعل مضارع وفاعل ولكم متعلقان بيبين والآيات مفعول به ولعل واسمها وجملة تعقلون خبر لعل.

البلاغة:

١- عكس الظاهر:

في قوله تعالى: «غير متبرجات بزينة» فن يطلق عليه بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه نفي الشيء بايجابه وقد سبقت الاشارة اليه في كتابنا وهو من محاسن الكلام فإذا تأملته وجدت

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٣٠١/٣

باطنه نفيا وظاهره إيجابا، أو أن تذكر كلاما يدل ظاهره على أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلا ومن أهم أبياته قول امرئ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره ... إذا سافه العود النباطي جرجرا

فاللاحب هو الطريق الواضح والمنار هو العلامة توضع على الطريق للهداية وفي الحديث «إن للدين صوى ومنارا كمنار الطريق»". (١)

٢٣. ٢٣-"قاله ابن بحر وابن زيد، أو الفرح من الكرب لأنهم كانوا مستعبدين مع القبط، ومنه قوله تعالى: يجعل لكم فرقانا «١» ، أي فرجا ومخرجا. وهذا القول راجع لمعنى النصر أو القرآن. والمعنى أن الله آتى موسى ذكر نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم حتى آمن به، حكاه ابن الأنباري، أو القرآن على حذف مفعول، التقدير: ومحمدا الفرقان، وحكي هذا عن الفراء وقطرب وثعلب، وقالوا: هو كقول الشاعر:

وزججن الحواجب والعيونا التقدير: وكحلن العيون. ورد هذا القول مكي والنحاس وجماعة، لأنه لا دليل على هذا المحذوف، ويصير نظير: أطعمت زيدا خبزا ولحما، ويكون: اللحم أطعمته غير زيد، ولأن الأصل في العطف أنه يشارك المعطوف والمعطوف عليه في الحكم السابق، إذا كان العطف بالحروف المشتركة في ذلك، وليس مثل ما مثلوا به من: وزججن الحواجب والعيون، لما هو مذكور في النحو. وقد جاء: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء «٢» ، وذكروا جميع الآيات التي آتاها الله تعالى موسى لأنها فرقت بين الحق والباطل، أو انفراق البحر، قاله يمان وقطرب، وضعف هذا القول بسبق ذكر فرق البحر في قوله: وإذ فرقنا «٣» ، وبذكر ترجية الهداية عقيب الفرقان، ولا يليق إلا بالكتاب. وأجيب بأنه، وإن سبق ذكر الانفلاق، فأعيد هنا ونص عليه بأنه آية لموسى مختصة به، وناسب ذكر الهداية بعد فرق البحر لأنه من الدلائل التي يستدل بها على وجود الصانع وصدق موسى على نبينا وعليه السلام، وذلك هو الهداية، أو لأن المراد بالهداية النجاة والفوز، وبفرق البحر حصل لهم ذلك فيكون قد ذكر لهم نعمة الكتاب الذي هو أصل الديانات لهم، ونعمة النجاة من أعدائهم. فهذه اثنتا عشرة مقالة للمفسرين في المراد بالفرقان هنا.

لعلكم تهتدون: ترجية لهدايتهم، وقد تقدم الكلام في لعل. وفي لفظ ابن عطية في لعل هنا، وفي قوله

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٦/٦٥٣

قبل: لعلكم تشكرون، أنه توقع، والذي تقرر في النحو أنه إن كان متعلق لعل محبوبا، كانت للترجي، فإن كان محذورا، كانت للتوقع، كقولك: لعل العدو يقدم. والشكر والهداية من المحبوبات، فينبغي أن لا يعبر عن معنى لعل هنا إلا بالترجي. قال القشيري: فرقان هذه الأمة الذي اختصوا به نور في قلوبهم، يفرقون به بين

---

(١) سورة الأنفال: ٨/ ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٢١/ ٣٨.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٥٠.". (١)

٢٤. ٢٤-"ادخلوا الأرض المقدسة. وقيل: أراد بقوله: مصرا وإن كان غير معين مصر فرعون، وهو من إطلاق النكرة، ويراد بها المعين، كما تقول: ائتني برجل، وأنت تعني به زيدا. قال أشهب، قال لي مالك: هي مصر قريتك مسكن فرعون. وأجاز من وقفنا على كلامه من المعربين والمفسرين أن تكون مصر هذه المنونة هي الاسم العلم. والمراد بقوله: أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا «١» ، قالوا: وصرف، وإن كان فيه العلمية والتأنيث، كما صرف هند ودعد لمعادلة أحد السببين، لخفة الاسم لسكون وسطه، قاله الأخفش، أو صرف لأنه ذهب باللفظ مذهب المكان، فذكره فبقي فيه سبب واحد فانصرف. وشبهه الزمخشري في منع الصرف، وهو علم بنوح ولوط حيث صرفا، وإن كان فيهما العلمية والعجمة لخفة الاسم بكونه ثلاثيا ساكن الوسط، وهذا ليس كما ذهبوا إليه من أنه مشبه لهند، أو مشبه لنوح، لأن مصر اجتمع فيه ثلاثة أسباب وهي: التأنيث والعلمية والعجمة. فهو يتحتم منع صرفه بخلاف هند، فإنه ليس فيه سوى العلمية والتأنيث، على أن من النحويين من خالف في هند، وزعم أنه لا يجوز فيه إلا منع الصرف، وزعم أنه لا دليل على ما ادعى النحويون من الصرف في قوله:

لم تتلفع بفضل ميزرها دعد ... ولم تسق دعد في العلب

وبخلاف نوح، فإن العجمة لم تعتبر إلا في غير الثلاثي الساكن الوسط، وأما إذا كان ثلاثيا ساكن الوسط فالصرف. وقد أجاز عيسى بن عمر منع صرفه قياسا على هند، ولم يسمع ذلك من العرب إلا مصروفا، فهو قياس على مختلف فيه مخالف لنطق العرب، فوجب اطراحه. وقال الحسن بن بحر:

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٣٢٧/١

المراد بقوله مصرا، البيت المقدس، يعني أن اللفظ، وإن كان نكرة، فالمراد به معين، كما قلنا في قول من قال: إنه أراد به وإن كان نكرة مصر المعينة. وأما من قرأ مصر بغير تنوين، فالمراد مصر العلم، وهي دار فرعون.

واستبعد بعض الناس قول من قال: إنها مصر فرعون، قال: لأنهم من مصر خرجوا، وأمروا بالهبوط إلى الأرض المقدسة لقتال الجبارين فأبوا، فعذبوا بالتيه أربعين سنة لتخلفهم عن قتال الجبارين، ولقولهم: فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون «٢» ، فماتوا جميعا في التيه، وبقي أبناؤهم، فامتثلوا أمر الله، وهبطوا إلى الشام، وقاتلوا الجبارين، ثم عادوا إلى البيت المقدس. ولم يصرح أحد من المفسرين والمؤرخين أنهم هبطوا من التيه إلى

---

(١) سورة يونس: ١٠/ ٨٧.

(٢) سورة المائدة: ٥/ ٢٤.". (١)

٢٥. ٢٥-"فنيام: جمع نائم، وهو من الصفات التي يفصل بين مذكرها ومؤنثها بالتاء، وقدم هودا على نصارى لتقدمها في الزمان. وقرأ أبي: إلا من كان يهوديا أو نصرانيا، فحمل الاسم والخبر معا على اللفظ، وهو الإفراد والتذكير.

تلك أمانيهم: جملة من مبتدأ وخبر معترضة بين قولهم ذلك وطلب الدليل على صحة دعواهم. وتلك يشار بها إلى الواحدة المفردة، وإلى الجمع غير المسلم من المذكر والمؤنث، فحمله الزمخشري على الجمع قال: أشير بها إلى الأماني المذكورة، وهي أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيتهم أن يردوهم كفارا، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم، أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم. انتهى كلامه. وما ذهب إليه في الوجه الأول ليس بظاهر، لأن كل جملة ذكر فيها ودهم لشيء، فقد انفصلت وكملت واستقلت في النزول، فيبعد أن يشار إليها. وأما ما ذهب إليه في الوجه الثاني ففيه مجاز الحذف، وفيه قلب الوضع، إذ الأصل أن يكون تلك مبتدأ، وأمانيهم خبر. فقلب هو الوضع، إذ قال: أن أمانيهم في البطلان مثل أمنيتهم هذه. وفيه أنه متى كان الخبر مشبها به المبتدأ، فلا يجوز تقديمه، مثل: زيد زهير، نص على ذلك النحويون. فإن تقدم ما هو أصل في أن يشبه به، كان من عكس التشبيه ومن

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١/٣٧٩

باب المبالغة، إذ جعل الفرع أصلا والأصل فرعا كقولك: الأسد زيد شجاعة، والأظهر أن تلك إشارة إلى مقالتهم: لن يدخل الجنة، أي تلك المقالة أمانيهم، أي ليس ذلك عن تحقيق **ولا دليل على** من كتاب الله ولا من أخبار من رسول، وإنما ذلك على سبيل التمني. وإن كانوا هم حازمين بمقالتهم، لكنها لما لم تكن عن برهان، كانت أماني، والتمني يقع بالجائز والممتنع. فهذا من الممتنع، ولذلك أتى بلفظ الأماني، ولم يأت بلفظ مرجواتهم، لأن الرجاء يتعلق بالجائز، تقول:

ليتني طائر، ولا يجوز، لعلني طائر، وإنما أفرد المبتدأ لفظا، لأنه كناية عن المقالة، والمقالة مصدر يصلح للقليل والكثير، فأريد بها هنا الكثير باعتبار القائلين، ولذلك جمع الخير، فطابق من حيث المعنى في الجمعية. وقد تقدم شرح الأماني في قوله:

لا يعلمون الكتاب إلا أماني «١» ، فيحتمل أن يكون المعنى: تلك أكاذيبهم وأباطيلهم، أو تلك مختاراتهم وشهواتهم، أو تلك تلاواتهم.

قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين: لما تقدم منهم الدعوى بأنه لن يدخل الجنة إلا من ذكروا، طولبوا بالدليل على صحة دعواهم. وفي هذا دليل على أن من ادعى نفيا أو

(١) سورة البقرة: ٢/ ٧٨.". (١)

٢٦. ٢٦-"إياه: أي أكسبته إياه، ولم يذكر متعلق أغنى وأقنى لأن المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى. وقد تكلم المفسرون على ذلك فقالوا اثني عشر قولا، كقولهم: أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه، وكل قول منها **لا دليل على** تعينه، فينبغي أن تجعل أمثلة. والشعرى التي عبدت هي العبور. وقال السدي: كانت تعبدها حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبدها أبو كبشة، أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، من قبل أمهاته، وكان اسمه عبد الشعرى، ولذلك كان مشركو قريش يسمونه عليه السلام: ابن أبي كبشة، ومن ذلك كلام أبي سفيان: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة. ومن العرب من كان يعظمها ولا يعبدها، ويعتقد تأثيرها في العالم، وأنها من الكواكب الناطقة، يزعم ذلك المنجمون ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها، وهي تقطع السماء طولا، والنجوم تقطعها عرضا. وقال مجاهد وابن زيد: هو مرزم الجوزاء.

(١) البحر المحيط في التفسير ٥٦٢/١

وأنه أهلك عادا الأولى: جاء بين أن وخبرها لفظ هو، وذلك في قوله: وأنه هو أضحك، وأنه هو أمات، وأنه هو أغنى، وأنه هو رب الشعرى. ففي الثلاثة الأول، لما كان قد يدعي ذلك بعض الناس، كقول نمروذ: أنا أحيي وأميت «١» ، احتيج إلى تأكيد في أن ذلك إنما هو لله لا غيره، فهو الذي يضحك ويبكي، وهو المميت المحيي، والمغني، والمقني حقيقة، وإن ادعى ذلك أحد فلا حقيقة له. وأما وأنه هو رب الشعرى، فلأنها لما عبدت من دون الله تعالى، نص على أنه تعالى هو ربها وموجدها. ولما كان خلق الزوجين، والإنشاء الآخر، وإهلاك عاد ومن ذكر، لا يمكن أن يدعى ذلك أحد، لم يحتج إلى تأكيد ولا تنصيص أنه تعالى هو فاعل ذلك. وعاد الأولى هم قوم هود، وعاد الأخرى إرم. وقيل: الأولى: القدماء لأنهم أول الأمم هلاكا بعد قوم نوح عليه السلام. وقيل: الأولى: المتقدمون في الدنيا الأشراف، قاله الزمخشري. وقال ابن زيد والجمهور: لأنها في وجه الدهر وقديمه، فهي أولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة.

وقال الطبري: وصفت بالأولى، لأن عادا الآخرة قبيلة كانت بمكة مع العماليق، وهو بنو لقيم بن هزال. وقال المبرد: عاد الأخيرة هي ثمود، والدليل عليه قول زهير:

كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم ذكره الزهراوي. وقيل: عاد الأخيرة: الجبارون. وقيل: قبل الأولى، لأنهم كانوا من قبل ثمود. وقيل: ثمود من قبل عاد. وقيل: عاد الأولى: هو عاد بن إرم بن عوص بن

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٥٨.". (١)

٢٧. ٢٧-"بضمها اتباعا للحركة من القاف. وقرىء: بفتحها طلبا للتخفيف. قال ابن جني: الغرض بالحركة الهروب من التقاء الساكنين، فبأي حركة تحرك الحرف حصل الغرض، وقم طلب. فقال الجمهور: هو على جهة الندب، وقيل: كان فرضا على الرسول خاصة، وقيل: عليه وعلى الجميع. قال قتادة: ودام عاما أو عامين. وقالت عائشة: ثمانية أشهر، ثم رحمهم الله فنزلت: إن ربك يعلم الآيات، فخفف عنهم قم الليل إلا قليلا. بين الاستثناء أن القيام المأمور به يستغرق جميع الليل، ولذلك صح الاستثناء منه، إذ لو كان غير مستغرق، لم يصح الاستثناء منه، واستغراق جميعه بالقيام على الدوام غير ممكن، لذلك استثنى منه لراحة الجسد وهذا عند البصريين منصوب على الظرف، وإن

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١٠/٢٦

استغرقه الفعل وهو عند الكوفيين مفعول به. وفي قوله: إلا **قليلا دليل على** أن المستثنى قد يكون مبهم المقدار، كقوله: ما فعلوه إلا قليل منهم «١» في قراءة من نصب ثم توليتم إلا قليلا منكم «٢»

.

قال وهب بن منبه: القليل ما دون المعشار والسدس. وقال الكلبي ومقاتل: الثلث.

وقيل: ما دون النصف، وجوزوا في نصفه أن يكون بدلا من الليل ومن قليلا. فإذا كان بدلا من الليل، كان الاستثناء منه، وكان المأمور بقيامه نصف الليل إلا قليلا منه. والضمير في منه وعليه عائد على النصف، فيصير المعنى: قم نصف الليل إلا قليلا، أو انقص من نصف الليل قليلا، أو زد على نصف الليل، فيكون قوله: أو انقص من نصف الليل قليلا، تكرارا لقوله: إلا قليلا من نصف الليل، وذلك تركيب غير فصيح ينزه القرآن عنه. قال الزمخشري: نصفه بدل من الليل، وإلا قليلا استثناء من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصف الليل. والضمير في منه وعليه للنصف، والمعنى: التخيير بين أمرين، بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت، وبين أن يختار أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف والزيادة عليه. انتهى. فلم يتنبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول، لأنه على تقديره: قم أقل من نصف الليل كان قوله، أو انقص من نصف الليل تكرارا. وإذا كان نصفه بدلا من قوله: إلا قليلا، فالضمير في نصفه إما أن يعود على المبدل منه، أو على المستثنى منه وهو الليل، لا جائز أن يعود على المبدل منه، لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول، إذ التقدير إلا قليلا نصف القليل، وهذا لا يصح له معنى البتة. وإن عاد الضمير على الليل، فلا فائدة في الاستثناء من الليل، إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الإلباس أن يكون

---

(١) سورة النساء: ٤/ ٦٦.

(٢) سورة البقرة: ٢/ ٨٣.". (١)

٢٨. ٢٨-"هو كبير، وهو صد عن سبيل الله. وهذا معنى سائغ حسن، ولا شك أن الكفر بالله وما عطف عليه أكبر من القتال المذكور. وقوله: ويجيء من ذلك أن إخراج أهل المسجد منه أكبر من الكفر عند الله، وهذا بين فساده، ليس بكلام مخلص، لأنه لا يجيء منه ما ذكر إلا بتكلف بعيد، بل

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٣١٢/١٠

يجيء منه أن إخراج أهل المسجد منه أكبر عند الله من القتال المخبر عنه بأنه كبير، وبأنه صد عن سبيل الله، فالمحكوم عليه بالأكبرية هو الإخراج، والمفضول فيها هو القتال لا الكفر والفتنة، أي: الكفر والشرك، قاله ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، وقتادة وغيرهم.

أو التعذيب الحاصل للمؤمنين ليرجعوا عن الإسلام، فهي أكبر حرما من القتل، والمعنى عند جمهور المفسرين أن الفتنة التي كانت تفتن المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا، أشد اجتراما من قتلهم إياكم في المسجد الحرام، وقيل: المعنى: والفتنة أشد من أن لو قتلوا ذلك المفتون، أي فعلكم بكل إنسان، أشد من فعلنا، لأن الفتنة ألم متجدد، والقتل ألم منقض.

ومن فسر الفتنة بالكفر كان المعنى عنده: وكفركم أشد من قتلنا أولئك، وصرح هنا بالمفضول، وهو قوله: من القتل، ولم يحذف. لأنه **لا دليل على** حذفه، بخلاف قوله:

أكبر عند الله، فإنه تقدم ذكر المفضول عليه، وهو: القتال، وقال عبد الله بن جحش في هذه القصة شعرا:

تعدون قتلا في الحرام عظيمة ... وأعظم منها لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد

وإخراجكم من مسجد الله رحله ... لئلا يرى لله في البيت ساجد

فإنا، وإن عيرتمونا بقتلة ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد

دما، وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من القد عاند

ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا الضمير في: يزالون، للكفار، وهذا يدل على أن الضمير المرفوع في قوله: يسألونك، هو الكفار، والضمير المنصوب في: يقاتلونكم، خوطب به المؤمنون، وانتقل عن خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى". (١)

٢٩. ٢٩-"تسعون، وقيل: ثمانون، وقال عطاء أيضا سبعون وقال ابن عباس: أربعون. وقال أيضا: بضع وثلاثون. وقال أبو مالك: ثلاثون، يعنون ألفا.

وقد فسر بما هو لأدنى العدد استعير لفظ الجمع الكثير للجمع القليل، فقال أبو روق: عشرة آلاف،

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٣٩٠/٢

وقال الكلبي ومقاتل: ثمانية، وقال أبو صالح: سبعة، وقال ابن عباس، وابن جبير: أربعة وقال عطاء الخراساني: ثلاثة آلاف.

وقال البغوي: الأولى قول من قال: إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف، لأن ألوفا جمع الكثير، ولا يقال لما دون العشرة الآلاف ألوف. انتهى. وهذا ليس كما ذكر، فقد يستعار أحد الجمعين للآخر، وإن كان الأصل استعمال كل واحد منهما في موضوعه.

وهذه التقديرات كلها **لا دليل على** شيء منها، ولفظ القرآن: وهم ألوف لم ينص على عدد معين، ويحتمل أن لا يراد ظاهر جمع ألف، بل يكون ذلك المراد منه التكثير، كأنه قيل: خرجوا من ديارهم وهم عالم كثيرون، لا يكادون يحصيهم عاد، فعبر عن هذا المعنى بقوله: وهم ألوف، كما يصح أن تقول: جئتك ألف مرة، لا تريد حقيقة العدد إنما تريد جئتك مرارا كثيرة لا تكاد تحصى من كثرتها ونظير ذلك قول الشاعر:

هو المنزل الآلاف من جو ناعط ... بني أسد حزنا من الأرض أوعرا

ولعل من كان معه لم يكن ألوفا، فضلا عن أن يكونوا آلافا، ولكنه أراد بذلك التكثير، لأن العرب تكثر بآلاف وتجمعه، والجمهور على أن قوله: وهم ألوف، جمع ألف العدد المعروف الذي هو تكرير مائة عشر مرات، وقال ابن زيد: ألوف جمع ألف. كقاعد وقعود.

أي: خرجوا وهم مؤتلفون لم يخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم، بل ائتلفوا، فخالفت هذه الفرقة، فخرجت فرارا من الموت وابتغاء الحياة، فأماتهم الله في منجاهم بزعمهم. وقال الزمخشري: وهذا من بدع التفاسير، وهو كما قال.

وقال القاضي: كونه جمع ألف من العدد أولى، لأن ورود الموت عليهم وهم كثرة عظيمة تفيد مزيد اعتبار، وأما وروده على قوم بينهم ائتلاف فكوروده وبينهم اختلاف في أن وجه الاعتبار لا يتغير.

حذر الموت هذا علة لخروجهم، لما غلب على ظنهم الموت بالطاعون أو بالجهاد، حملهم على الخروج ذلك، وهو مفعول من أجله، وشروط المفعول له موجودة فيه من كونه مصدرا متحد الفاعل والزمان.".

(١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٥٦٢/٢

٣٠.   ٣٠-"لا يرث مع الابن، وأن الجدة لا يفرض لها الثلث بإجماع، فلم ينزل ابن الابن منزلة الابن مع وجوده، ولا الجدة منزلة الأم.

فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث قوله: فإن لم يكن له ولد قسيم لقوله: إن كان له ولد «١» وورثه أبواه دليل على أنهما انفردا بميراثه ليس معهما أحد من أهل السهام، لا ولد ولا غيره، فيكون قوله: وورثه أبواه حكما لهما بجميع المال. فإذا خلص للأم الثلث كان الثاني وهو الثلثان للأب، فذكر القسم الواحد يدل على الآخر كما تقول: هذا المال لزيد وعمرو، لزيد منه الثلث، فيعلم قطعا أن باقيه وهو الثلثان لعمرو.

فلو كان معهما زوج كان للأم السدس وهو: الثلث بالإضافة إلى الأب.

وقال ابن عباس وشريح: للأم الثلث من جميع المال مع الزوج، والنصف للزوج، وما بقي للأب، فيكون معنى: وورثه أبواه منفردين أو مع غير ولد، وهذا مخالف لظاهر قوله: وورثه أبواه. إذ يدل على أنهما انفردا بالإرث، فيتقاسمان للذكر مثل حظ الأنثيين.

ولا شك أن الأب أقوى في الإرث من الأم، إذ يضعف نصيبه على نصيبها إذ انفردا بالإرث، ويرث بالفرض وبالتعصيب وبهما. وفي قول ابن عباس وشريح: يكون لها مع الزوج والأب مثل حظ الذكرين، فتصير أقوى من الأب، وتصير الأنثى لها مثلا حظ الذكر، **ولا دليل على** ذلك من نص ولا قياس.

وفي إقامة الجد مقام الأب خلاف. فمن قال: أنه أب وحجب به الإخوة جماعة منهم: أبو بكر رضي الله عنه، ولم يخالفه أحد من الصحابة في أيام حياته. وقال بمقالته بعد وفاته: أبي ومعاذ، وأبو الدرداء، وابن عباس، وابن الزبير عبد الله، وعائشة، وعطاء، وطاووس، والحسن، وقتادة، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأبو ثور. وذهب علي، وزيد، وابن مسعود: إلى توريث الجد مع الإخوة، ولا ينقص من الثلث مع الإخوة للأب والأم أو للأم أو للأب، إلا مع ذوي الفروض، فإنه لا ينقص معهم من السدس شيئا في قول: زيد، وهو قول: مالك، والأوزاعي، والشافعي، ومحمد، وأبي يوسف. كان علي يشرك بين الجد والإخوة في السدس، ولا ينقصه من السدس شيئا مع ذوي الفروض وغيرهم، وهو قول ابن أبي ليلى. وذهب الجمهور: إلى أن الجد يسقط بني الإخوة من الميراث، إلا ما

روي عن الشعبي عن علي: أنه أجرى بين الإخوة في المقاسمة مجرى الإخوة.

---

(١) سورة النساء: ٤/ ١١. [.....]".[1]

٣١. ٣١-"جعل له مكانا ونحوه أرض له، وتمكينه في الأرض إثباته فيها. المدرار المتتابع يقال: مطر مدرار وعطاء مدرار وهو في المطر أكثر، ومدرار مفعال من الدر للمبالغة كمذكار ومئناث ومهذار للكثير ذلك منه. الإنشاء: الخلق والإحداث من غير سبب، وكل من ابتدأ شيئا فقد أنشأه، والنشأ الأحداث واحدهم ناشئ كقولك: خادم وخدم. القرطاس اسم لما يكتب عليه من رق وورق وغير ذلك، قال الشاعر وهو زهير:

لها أخاديد من آثار ساكنها ... كما تردد في قرطاسه القلم

ولا يسمى قرطاسا إلا إذا كان مكتوبا وإن لم يكن مكتوبا فهو طرس وكاغذ وورق، وكسر القاف أكثر استعمالا وأشهر من ضمها وهو أعجمي وجمعه قراطيس. حاق يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا أي: أحاط، قاله الضحاك: ولا يستعمل إلا في الشر. قال الشاعر:

فأوطأ جرد الخيل عقر ديارهم ... وحاق بهم من بأس ضبه حائق

وقال الفراء: حاق به عاد عليه وبال مكره. وقال النضر: وجب عليه. وقال مقاتل:

دار. وقيل: حل ونزل ومن جعله مشتقا من الحوق وهو ما استدار بالشيء فليس قوله بصحيح، لاختلاف المادتين وكذلك من قال: أصله حق فأبدلت القاف الواحدة ياء كما قالوا: في تظننت: تظنيت لأنها دعوى **لا دليل على** صحتها. سخر منه: هزأ به والسخرى والاستهزاء والتهكم معناها متقارب. عاقبة الشيء: منتهاه وما آل إليه.

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هذه السورة مكية كلها. وقال الكسائي: إلا آيتين نزلتا بالمدينة وهما قل من أنزل الكتاب «١» وما يرتبط بها.

وقال ابن عباس: نزلت ليلا بمكة حولها سبعون ألف ملك يجأرون بالتسبيح، إلا ست آيات قل: تعالوا أتل وما قدروا الله ومن أظلم ممن افترى. ولو ترى إذ الظالمون. والذين آتيناهم الكتاب يعلمون. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه، انتهى.

وعنه أيضا وعن مجاهد والكلبي إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة قل تعالوا أتل إلى قوله لعلكم تتقون

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٣/٥٣٩

وقال قتادة: إلا وما قدروا الله حق قدره وهو الذي أنشأ، وذكر ابن العربي أن قوله قل لا أجد نزل بمكة يوم عرفة.

ومناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه

---

(١) سورة الأنعام: ١/ ٩١.". (١)

٣٢. ٣٢-"قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض لما تقدم أنه تعالى اخترع السموات والأرض، وأنه مالك لما تضمنه المكان والزمان أمر تعالى نبيه أن يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم أي من هذه صفاته هو الذي يتخذ وليا وناصرا ومعينا لا الآلهة التي لكم، إذ هي لا تنفع ولا تضر لأنها بين جماد أو حيوان مقهور، ودخلت همزة الاستفهام على الاسم دون الفعل لأن الإنكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي كقولك لمن ضرب زيدا وهو ممن لا يستحق الضرب بل يستحق الإكرام أزيدا ضربت، تنكر عليه أن كون مثل هذا يضرب ونحو، أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون «١» وآلله أذن لكم «٢» وقال الطبري وغيره: أمر أن يقول هذه المقالة للكفرة الذين دعوه إلى عبادة أوثانهم، فتجيء الآية على هذا جوابا لكلامهم، انتهى. وهذا يحتاج إلى سند في أن سبب نزول هذه الآية هو ما ذكره وانتصاب غير على أنها مفعول أول لا تخذ. وقرأ الجمهور فاطر فوجهه ابن عطية والزمخشري ونقلها الحوفي على أنه نعت لله، وخرجه أبو البقاء على أنه بدل وكأنه رأى أن الفضل بين المبدل منه والبدل أسهل من الفصل بين المنعوت والنعت، إذ البدل على المشهور هو على تكرار العامل وقرأ ابن أبي عبلة برفع الراء على إضمار هو. قال ابن عطية: أو على الابتداء انتهى. ويحتاج إلى إضمار خبر ولا دليل على حذفه وقرئ شاذا بنصب الراء وخرجه أبو البقاء على أنه صفة لولي على إرادة التنوين أو بدل منه أو حال، والمعنى على هذا أأجعل فاطر السماوات والأرض غير الله، انتهى.

والأحسن نصبه على المدح. وقرأ الزهري فطر جعله فعلا ماضيا.

وهو يطعم ولا يطعم أي يرزق ولا يرزق كقوله: ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون «٣» والمعنى أن المنافع كلها من عند الله، وخص الإطعام من بين أنواع الانتفاعات لمس الحاجة إليه كما

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٤/ ٤٢٧

خص الربا بالأكل وإن كان المقصود الانتفاع بالربا. وقرأ مجاهد وابن جبير والأعمش وأبو حيوة وعمرو بن عبيد وأبو عمرو وفي رواية عنه ولا يطعم بفتح الياء والمعنى أنه تعالى منزه عن الأكل ولا يشبه المخلوقين. وقرأ يمان العماني وابن أبي عبلة ولا يطعم بضم الياء وكسر العين مثل الأول فالضمير في وهو يطعم عائد على الله وفي ولا يطعم عائد على الولي. وروى ابن المأمون عن يعقوب

---

(١) سورة الزمر: ٣٩/ ٦٤.

(٢) سورة يونس: ١٠/ ٥٩.

(٣) سورة الذاريات: ٥١/ ٥٧. [.....]".[١]

٣٣. ٣٣-"وأشق ولأنه يكون المجيء فيه على غفلة من المهلكين، فهو كالمجيء بغتة وقوله أو هم قائلون جملة في موضع الحال ونص أصحابنا أنه إذ دخل على جملة الحال واو العطف فإنه لا يجوز دخول واو الحال عليها فلا يجوز جاء زيد ماشيا أو وهو راكب.

وقال الزمخشري: (فإن قلت) : لا يقال جاء زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله تعالى:

أو هم قائلون (قلت) : قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج. وقال: لو قلت جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاء زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث انتهى.

فأما بعض النحويين الذي اتهمه الزمخشري فهو الفراء، وأما قول الزجاج في التمثيلين لم يحتج فيه إلى الواو لأن الذكر قد عاد إلى الأول ففيه إبهام وتعيينه لم يجز دخولها في المثال الأول ويجوز أن يدخل في المثال الثاني فانتفاء الاحتياج ليس على حد سواء لأنه في الأول لامتناع الدخول وفي الثاني لكثرة الدخول لا لامتناعه، وأما قول الزمخشري والصحيح إلى آخرها فتعليله ليس بصحيح لأن واو الحال ليست حرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف لأنها لو كانت للعطف للزم أن يكون ما قبل الواو حالا حتى يعطف حالا على حال فمجيئها في ما لا يمكن أن يكون **حالا دليل على** أنها

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٤/٤٥٢

ليست واو عطف ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول جاء زيد والشمس طالعة فجاء زيد ليس بحال فيعطف عليه جملة حالية وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال وهي قسم من أقسام الواو كما تأتي للقسم وليست فيه للعطف إذا قلت والله ليخرجن وأما قوله: فخبيث فليس بخبيث وذلك أنه بناه على أن الجملة الاسمية إذا كان فيها ضمير ذي الحال فإن حذف الواو منها شاذ وتبع في ذلك الفراء وليس بشاذ بل هو كثير وقوعه في القرآن وفي كلام العرب نثرها ونظمها وهو أكثر من رمل بيرين ومها فلسطين وقد ذكرنا كثرة مجيء ذلك في شرح التسهيل وقد رجع عن هذا المذهب الزمخشري إلى مذهب الجماعة.

فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين قال ابن عباس:

دعواهم تضرعهم إلا إقرارهم بالشرك. وقيل دعواهم دعاؤهم. قال الخليل: يقول اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه فما زالت تلك دعواهم. وقيل: ادعاؤهم أي ادعوا معاذير تحسن حالهم وتقيم حجتهم في زعمهم. قال ابن عطية: وتحتمل الآية أن يكون". (١)

٣٤. ٣٤-"المخزي الغرق، والعذاب المقيم عذاب الآخرة، لأنه دائم عليهم سرمد. ومن يأتيه مفعول بتعلمون، وما موصولة، وتعدي تعلمون إلى واحد استعمالا لها استعمال عرف في التعدية إلى واحد. وقال ابن عطية: وجائز أن تكون التعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد انتهى. ولا يجوز حذف الثاني اقتصارا، لأن أصله خبر مبتدأ، ولا اختصارا هنا، لأنه **لا دليل على** حذفه وتعنتهم بقوله: من يأتيه. وقيل: من استفهام في موضع رفع على الابتداء، ويأتيه الخبر، والجملة في موضع نصب، وتعلمون معلق سدت الجملة مسد المفعولين. وحكى الزهراوي أنه يقرأ ويحل بضم الحاء، ويحل بكسرها بمعنى ويجب.

قال الزمخشري: حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه، ومعنى يخزيه:

يفضحه، أو يهلكه، أو يذله، وهو الغرق. أقوال متقاربة حتى إذا جاء أمرنا تقدم الكلام على دخول حتى على إذا في أوائل سورة الأنعام، وهي هنا غاية لقوله: ويصنع الفلك.

ويصنع كما قلنا حكاية حال أي: وكان يصنع الفلك إلى أن جاء وقت الوعد الموعود.

والجملة من قوله: وكلما مر عليه حال، كأنه قيل: ويصنعها، والحال أنه كلما مر، وأمرنا واحد الأمور،

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١٢/٥

أو مصدر أي: أمرنا بالفوران أو للسحاب بالإرسال، وللملائكة بالتصرف في ذلك، ونحو هذا مما يقدر في النازلة. وفار: معناه انبعث بقوة، والتنور وجه الأرض، والعرب تسميه تنورا قاله: ابن عباس، وعكرمة، والزهري، وابن عيينة، أو التنور الذي يخبز فيه، وكان من حجارة، وكان لحواء حتى صار لنوح قاله: الحسن، ومجاهد، وروي أيضا عن ابن عباس. وقيل: كان لآدم، وقيل: كان تنور نوح، أو أعلى الأرض والمواضع المرتفعة قاله: قتادة، أو العين التي بالجزيرة عين الوردة رواه عكرمة، أو من أقصى دار نوح قاله: مقاتل، أو موضع اجتماع الماء في السفينة، روي عن الحسن، أو طلوع الشمس
وروي عن علي، أو نور الصبح من قولهم: نور الفجر تنويرا قاله: علي ومجاهد
، أو هو مجاز والمراد غلبة الماء وظهور العذاب كما
قال صلى الله عليه وسلم لشدة الحرب: «حمي الوطيس»
والوطيس أيضا مستوقد النار، فلا فرق بين حمي وفار، إذ يستعملان في النار. قال الله تعالى: سمعوا لها شهيقا وهي تفور «١» ولا فرق بين الوطيس والتنور. والظاهر من هذه الأقوال حمله على التنور الذي هو مستوقد النار، ويحتمل أن تكون أل فيه للعهد لتنور مخصوص، ويحتمل أن تكون للجنس. ففار النار من التنانير، وكان ذلك من أعجب الأشياء أن يفور الماء من مستوقد النيران. ولا تنافي بين هذا وبين قوله: وفجرنا الأرض

---

(١) سورة الملك: ٦٧/ ٧.". (١)

٣٥. ٣٥-"رحيم، استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت. ومن ذهب إلى أن قوله: ذلك ليعلم إلى آخره، من كلام يوسف يحتاج إلى تكلف ربط بينه وبين ما قبله، ولا دليل يدل على أنه من كلام يوسف. فقال ابن جريج: في الكلام تقديم وتأخير، وهذا الكلام متصل بقول يوسف: إن ربي بكيدهن عليم، وعلى هذا فالإشارة بقوله ذلك إلى إلقائه في السجن والتماسه البراءة أي: هذا ليعلم سيدي أني لم أخنه. وقال بعضهم: إنما قال يوسف هذه المقالة حين قالت امرأة العزيز كلامها إلى قولها: وإنه لمن الصادقين، فالإشارة على هذا إلى قولها وصنع الله فيه، وهذا يضعف، لأنه يقتضي حضوره مع النسوة عند الملك. فكيف يقول الملك بعد ذلك: ائتوني به؟ وفسر الزمخشري الآية أولا على أنها من

---

(١) البحر المحيط في التفسير ١٥١/٦

كلام يوسف فقال: أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة، ليعلم العزيز أني لم أخنه بظهر الغيب في حرمته، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده، وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها في أمانة زوجها، وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه.

ويجوز أن يكون توكيدا لأمانته، وأنه لو كان خائنا لما هدى الله كيده، ولا سدده، ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا، ولحالها في الأمانة معجبا كما

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده، وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته. فقال: وما أبرىء نفسي من الزلل، وما أشهد لها بالبراءة الكلية، ولا أزكيها، إن النفس لأمارة بالسوء. أراد الجنس أي: هذا الجنس يأمر بالسوء، ويحمل على ما فيه من الشهوات انتهى. وفيه تكثير وتحميل للفظ ما ليس فيه، ويزيد على عادته في خطابته. ولما أحس الزمخشري بإشكال قول من قال: إنه من كلام يوسف قال:

(فإن قلت) : كيف صح أن يجعل من كلام يوسف **ولا دليل على** ذلك؟ (قلت) : كفى بالمعنى دليلا قائدا إلى أن يجعل من كلامه، ونحوه قوله: قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون؟ وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم انتهى. وهذا ليس كما ذكر، إذ لا يتعين في هذا التركيب أن يكون من كلام فرعون، بل هو من كلام الملأ تقدمهم فرعون إلى هذه المقالة، فقالوا ذلك بعض لبعض، فيكون في قول فرعون: يريد أن يخرجكم خطابا للملأ من فرعون، ويكون في هذا التركيب خطابا من بعضهم لبعض، ولا يتنافى اجتماع المقالتين. وبالغيب يحتمل أن يكون حالا من الفاعل أي: غائبا عنه، أو من المفعول أي: غائبا عني، أو ظرفا أي بمكان الغيب. والظاهر أن إلا ما رحم ربي استثناء متصل من قوله: لأمارة بالسوء، لأنه أراد". (١)

٣٦. ٣٦-"قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٦/٢٨٩

عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير.

لما ذكر تعالى أن الكفار يعبدون ما **لا دليل على** عبادته لا من سمع ولا من عقل ويتركوا عبادة من خلقهم، ذكر ما عليه معبوداتهم من انتفاء القدرة على خلق أقل الأشياء بل على رد ما أخذه ذلك الأقل منه، وفي ذلك تجهيل عظيم لهم حيث عبدوا من هذه صفته لقوله إن الذين تدعون بتاء الخطاب. وقيل: خطاب للمؤمنين أراد الله أن يبين لهم خطأ الكافرين فيكون تدعون خطابا لغيرهم الكفار عابدي غير الله. وقيل: الخطاب عام يشمل من نظر في أمر عبادة غير الله، فإنه يظهر له قبح ذلك. وضرب مبني للمفعول، والظاهر أن ضارب المثل هو الله تعالى، ضرب مثلا لما يعبد من دونه أي بين شبها لكم ولمعبودكم. وقيل: ضارب المثل هم الكفار، جعلوا مثلا لله تعالى أصنامهم وأوثانهم أي فاسمعوا أنتم أيها الناس لحال هذا المثل ونحوه ما قال الأخفش قال: ليس هاهنا مثل وإنما المعنى جعل الكفار لله مثلا. وقيل: هو مثل من حيث المعنى لأنه ضرب مثل من يعبد الأصنام بمن يعبد ما لا يخلق ذبابا.

وقال الزمخشري: فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا؟ قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم انتهى.

وقرأ الجمهور تدعون بالتاء. وقرأ الحسن ويعقوب وهارون والخفاف ومحبوب عن أبي عمرو بالياء وكلاهما مبني للفاعل. وقرأ اليماني وموسى الأسواري بالياء من أسفل مبنيا للمفعول. وقال الزمخشري لن أخت لا في نفي المستقبل إلا أن تنفيه نفيا مؤكدا، وتأكيده هنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم كأنه قال: محال أن يخلقوا انتهى. وهذا القول الذي قاله في لن هو المنقول عنه أن لن للنفي على التأبيد، ألا تراه فسر ذلك بالاستحالة وغيره من النحاة يجعل لن مثل لا في النفي ألا". (١)

٣٧. ٣٧-"وفي القصص، وجاء كذلك عن نافع. وفي مصحف عبد الله ط س م مقطوع، وهي قراءة أبي جعفر. وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغز والأحاجي، فتركت نقله، إذ **لا دليل على**

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٥٣٧/٧

شيء مما قالوه.
والكتاب المبين: هو القرآن، هو بين في نفسه ومبين غيره من الأحكام والشرائع وسائر ما اشتمل عليه، أو مبين إعجازه وصحة أنه من عند الله. وتقدم تفسير باخع نفسك في أول الكهف. ألا يكونوا: أي لئلا يؤمنوا، أو خيفة أن لا يؤمنوا. وقرأ قتادة وزيد بن علي: باخع نفسك على الإضافة. إن نشأ ننزل دخلت إن على نشأ وإن للممكن، أو المحقق المبهم زمانه. قال ابن عطية: ما في الشرط من الإبهام هو في هذه الآية في حيزنا، وأما الله تعالى فقد علم أنه لا ينزل عليهم آية اضطرار، وإنما جعل الله آيات الأنبياء والآيات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر، ليهتدي من سبق في علمه هداه، ويضل من سبق ضلاله، وليكون للنظرة كسب به يتعلق الثواب والعقاب، وآية الاضطرار تدفع جميع هذا أن لو كانت. انتهى. ومعنى آية: أي ملجئة إلى الإيمان يقهر عليه. وقرأ أبو عمرو في رواية هرون عنه: إن يشأ ينزل على الغيبة، أي إن يشأ الله ينزل، وفي بعض المصاحف: لو شئنا لأنزلنا. وقرأ الجمهور: فظلت، ماضيا بمعنى المستقبل، لأنه معطوف على ينزل. وقرأ طلحة: فتظلل، وأعناقهم. قال الزمخشري: فإن قلت: كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعناق؟ قلت: أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخشوع، وترك الكلام على أصله كقولهم: ذهبت أهل اليمامة، كان الأهل غير مذكور. انتهى. وقال مجاهد، وابن زيد، والأخفش: جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من الناس، أي جماعة، ومنه قول الشاعر:
إن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا وقيل: أعناق الناس: رؤساؤهم، ومقدموهم شبهوا بالأعناق، كما قيل:
لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال الشاعر:
في محفل من نواصي الخيل مشهود وقيل: أريد الجارحة. فقال ابن عيسى: هو على حذف مضاف، أي أصحاب الأعناق. وروعي هذا المحذوف في قوله: خاضعين، حيث جاء جمعا للمذكر". (١)

٣٨. ٣٨-"كبير في العنق، يقال: إنهما وريدان عن يمين وشمال. وقال الفراء: هو ما بين الحلقوم والعلباوين. وقال الأثرم: هو نهر الجسد، هو في القلب: الوتين، وفي الظهر: الأبهر، وفي الذراع والفخذ: الأكحل والنسا، وفي الخنصر: الأسلم. وقال الزمخشري: والوريدان عرقان مكتنفان بصحفتي العنق في

(١) البحر المحيط في التفسير ١٤٠/٨

مقدمها متصلان بالوتين، يردان من الرأس إليه، سمي وريدا لأن الروح ترده. قال:
كان وريديه رشا صلب ق والقرآن المجيد، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب، أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد، قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ، بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج، أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد، والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج، كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود، وعاد وفرعون وإخوان لوط، وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد.
هذه السورة مكية، قال ابن عطية: بإجماع من المتأولين. وقال صاحب التحرير: قال ابن عباس، وقتادة: مكية إلا آية، وهي قوله تعالى: ولقد خلقنا السماوات والأرض الآية. ومناسبتها لآخر ما قبلها، أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا آمنا، لم يكن إيمانهم حقا، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال: بل عجبوا أن جاءهم منذر. وعدم الإيمان أيضا يدل على إنكار البعث، فلذلك أعقبه به. وق حرف هجاء، وقد اختلف المفسرون في مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة، **لا دليل على** صحة شيء منها، فاطرحت نقلها في كتابي هذا.
والقرآن مقسم به والمجيد صفته، وهو الشريف على غيره من الكتب، والجواب محذوف يدل عليه ما بعده، وتقديره: أنك جئتهم منذرا بالبعث، فلم يقبلوا.
بل عجبوا، وقيل: ما ردوا أمرك بحجة. وقال الأخفش، والمبرد، والزجاج: تقديره لتبعثن. وقيل: الجواب مذكور، فعن الأخفش قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعن ابن كيسان، والأخفش: ما يلفظ من قول وعن نحاة الكوفة: بل عجبوا، والمعنى: لقد عجبوا. وقيل: إن في ذلك لذكرى، وهو اختيار محمد بن علي الترمذي. وقيل: ما يبدل". (١)

٣٩. ٣٩-"لقراءة الإمام في الصلاة، وقيل: في الخطبة، والأول الراجح، لوجهين: أحدهما: عموم اللفظ، **ولا دليل على** تخصيصه، والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة. وقوله تعالى: لعلكم ترحمون أي: بسبب ما تكتسبه القلوب من الرقة والخشية عند استماع القرآن، قال بعضهم:

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٥٢٨/٩

الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية. قاله ابن جزي.
الإشارة: الاستماع لكلام الحبيب أشهى للقلوب من كل حبيب، لا سيما لمن سمعه بلا واسطة، فكل واحد ينال من لذة الكلام على قدر حضوره مع المتكلم، وكل واحد ينال من لذة شهود المتكلم على قدر رفع الحجاب عن المستمع، والله تعالى أعلم.
ثم أمر بالذكر القلبي، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٠٥ الى ٢٠٦]
واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥) إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (٢٠٦)
يقول الحق جل جلاله، لنبيه صلى الله عليه وسلم ولمن تبعه: واذكر ربك في نفسك أي: في قلبك بحركة لسان القلب، أو في نفسك سرا بحركة لسان الحس، تضرعا وخيفة أي: متضرعا وخائفا، ودون الجهر من القول أي: متكلما كلاما فوق السر ودون الجهر، فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص، ولا حجة فيه لمن منع الذكر جهرا لأن الآية مكية حين كان الكفر غالبا، فكانوا يسبون الذاكر والمذكور، ولما هاجر المصطفى- عليه الصلاة والسلام- إلى المدينة، جهر الصحابة بالتكبير والذكر. فالآية منسوخة. انظر: الحاوي في الفتاوى للإمام السيوطي. فقد أجاب عن الآية بأجوبة.
فقوله: بالغدو والآصال أي: في الصباح والعشي، حين تتيقظ من نومك الشبيه بالبعث، وحين تريد النوم الشبيه بالموت، وقيل: المراد صلاة العصر والصبح، وقيل: صلاة المسلمين، قبل فرض الخمس، وقيل: للاستغراق، وإنما خص الوقتين لأنهما محل الاشتغال، فأولى غيرهما. ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله.
إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى، لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه ينزهونه عما لا يليق به، وله يسجدون أي: يخصونه بالعبادة والتذلل، لا يشركون به غيره، وهو تعريض بالكفار،". (١)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٢/٣٠٠

٤٠. ٤٠-"بعض ما فيه عبادة كالأذان والإمامة. وحاصل القول فيها أن الجمهور من العلماء أجازوا أخذ الأجر على تعليم القرآن فضلا عن الفقه والعلم فقال بجواز ذلك الحسن وعطاء والشعبي وابن سيرين ومالك والشافعي وأحمد وأبو ثور والجمهور، وحجتهم في ذلك
الحديث الصحيح عن ابن عباس أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله»

وعليه فلا محل لهاته الآية على هذا المعنى عندهم بحال لأن المراد بالاشتراء فيها معناه المجازي وليس في التعليم استبدال ولا عدول ولا إضاعة. وقد نقل ابن رشد إجماع أهل المدينة على الجواز ولعله يريد إجماع جمهور فقهائهم. وفي «المدونة» : لا بأس بالإجارة على تعليم القرآن. ومنع ذلك ابن شهاب من التابعين من فقهاء المدينة وأبو حنيفة وإسحاق بن راهويه وتمسكوا بالآية وبأن التعليم لذلك طاعة وعبادة كالصلاة والصوم فلا يؤخذ عليها أجر كذلك وبما
روي عن أبي هريرة أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: «دراهم المعلمين حرام»
وعن عبادة بن الصامت أنه قال: «علمت ناسا من أهل الصفة القرآن والكتابة فأهدى إلي رجل منهم قوسا فسألت النبيء صلى الله عليه وسلم فقال: «إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها»
وأجاب عن ذلك القرطبي بأن الآية محملها فيمن تعين عليه التعليم فأبى إلا بالأجر، **ولا دليل على** ما أجاب به القرطبي. فالوجه أن ذلك كان في صدر الإسلام وبث الدعوة فلو رخص في الأجر فيه لتعلل تعليم كثير لقلة من ينفق في ذلك لأن أكثرهم لا يستطيعه ومحمل حديث ابن عباس على ما بعد ذلك حين شاع الإسلام وكثر حفاظ القرآن. وأقول لا حاجة إلى هذا كله لأن الآية بعيدة عن هذا الغرض

كما علمت وأجاب القرطبي عن القياس بأن الصلاة والصوم عبادتان قاصرتان وأما التعليم فعبادة متعدية فيجوز أخذ الأجر على ذلك الفعل وهذا فارق مؤثر. وأما حديث أبي هريرة وحديث عبادة ففيهما ضعف من جهة إسناديهما كما بينه القرطبي، قلت ولا أحسب الزهري يستند لمثلهما ولا للآية ولا لذلك القياس ولكنه رآه واجبا فلا تؤخذ عليه أجرة وقد أفتى متأخرو الحنفية بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والفقه قال في «الدرر» و «شرحه» : «ويفتى اليوم بصحتها- أي الإجارة لتعليم القرآن والفقه- والأصل أن الإجارة لا تجوز عندنا على الطاعات والمعاصي لكن لما وقع الفتور في الأمور الدينية جوزها المتأخرون» اهـ.

ومن فروع هاته المسألة جواز أخذ الأجرة على الأذان والإمامة، قال ابن عبد البر هي مأخوذة من مسألة الأجر على تعليم القرآن وحكمهما واحد، وفي المدونة تجوز الإجارة على". [1]

٤١. ٤١-"والجهرة مصدر بوزن فعلة من الجهر وهو الظهور الواضح فيستعمل في ظهور الذوات والأصوات حقيقة على قول الراغب إذ قال: «الجهر ظهور الشيء بإفراط إما بحاسة البصر نحو رأيته جهارا ومنه جهر البئر إذا أظهر ماءها، وإما بحاسة السمع نحو:
وإن تجهر بالقول [طه: ٧] » وكلام «الكشاف» مؤذن بأن الجهر مجاز في الرؤية بتشبيه الذي يرى بالعين بالجاهر بالصوت والذي يرى بالقلب بالمخافت، وكان الذي حداه على ذلك اشتهار استعمال الجهر في الصوت وفي هذا كله بعد إذ **لا دليل على** أن جهرة الصوت هي الحقيقة ولا سبيل إلى دعوى الاشتهار في جهرة الصوت حتى يقول قائل إن الاشتهار من علامات الحقيقة على أن الاشتهار إنما يعرف به المجاز القليل الاستعمال، وأما الأشهرية فليست من علامات الحقيقة، ولأنه لا نكتة في هذه الاستعارة ولا غرض يرجع إلى المشبه من هذا التشبيه فإن ظهور الذوات أوضح من ظهور الأصوات.
وانتصب (جهرة) على المفعول المطلق لبيان نوع فعل ترى لأن من الرؤية ما يكون لمحة أو مع سائر شفاف فلا تكون واضحة.
ووجه العدول عن أن يقول عيانا إلى قوله (جهرة) لأن جهرة أفصح لفظا لخفته، فإنه غير مبدوء بحرف حلق والابتداء بحرف الحلق أتعب للحلق من وقوعه في وسط الكلام ولسلامته من حرف العلة وكذلك يجتبي البلغاء بعض الألفاظ على بعض لحسن وقعها في الكلام وخفتها على السمع وللقرآن السهم المعلى في ذلك وهو في غاية الفصاحة.
وقوله: فأخذتكم الصاعقة أي عقوبة لهم عما بدا منهم من العجرفة وقلة الاكتراث بالمعجزات. وهذه عقوبة دنيوية لا تدل على أن المعاقب عليه حرام أو كفر لا
سيما وقد قدر أن موتهم بالصاعقة لا يدوم إلا قليلا فلم تكن مثل صاعقة عاد وثمود. وبه تعلم أن ليس في إصابة الصاعقة لهم دلالة على أن رؤية الله تعالى مستحيلة وأن سؤالها والإلحاح فيه كفر كما زعم المعتزلة وأن لا حاجة إلى الجواب عن ذلك بأن الصاعقة لاعتقادهم أنه تعالى يشبه الأجسام

---

(١) التحرير والتنوير ٤٦٧/١

فكانوا بذلك كافرين إذ لا دليل في الآية ولا غيرها على أنهم كفروا، كيف وقد سأل الرؤية موسى عليه السلام.

والصاعقة نار كهربائية من السحاب تحرق من أصابته، وقد لا تظهر النار ولكن يصل هواؤها إلى الأحياء فيختنقون بسبب ما يخالط الهواء الذي يتنفسون فيه من الحوامض الناشئة عن شدة الكهربائية، وقد قيل: إن الذي أصابهم نار، وقيل: سمعوا صعقة فماتوا.". (١)

٤٢. ٤٢-"على عموم الناس الإعلام بذلك لحكمة، وهي أن تتعود الأمة بترك الاشتغال فيما ليست منه فائدة للدين أو للناس، ودل علم الاستقبال على أن الناس لا يزالون يخوضون في ذلك.

وضمير «يقولون» عائد إلى غير مذكور لأنه معلوم من المقام، أي يقول الناس أو المسلمون، إذ ليس في هذا القول حرج ولكنهم نبهوا إلى أن جميعه لا حجة لهم فيه.

ومعنى سين الاستقبال سار إلى الفعلين المعطوفين على الفعل المقترن بالسين، وليس في الانتهاء إلى عدد الثمانية إيماء إلى أنه العدة في نفس الأمر.

وقد أعلم الله أن قليلا من الخلق يعلمون عدتهم وهم من أطلعهم الله على ذلك.

وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن قصتهم جاءت على لسانه فلا شك أن الله أطلعه على عدتهم.

وروي أن ابن عباس قال: أنا من القليل.

وكأن أقوال الناس تمالأت على أن عدتهم فردية تيمنا بعدد المفرد، وإلا فلا دليل على ذلك دون غيره، وقد سمى الله قولهم ذلك رجما بالغيب.

والرجم حقيقته: الرمي بحجر ونحوه. واستعير هنا لرمي الكلام من غير روية ولا تثبت، قال زهير:

وما هو عنها بالحديث المرجم والباء في بالغيب للتعدية، كأنهم لما تكلموا عن أمر غائب كانوا يرجمون به.

وكل من جملة رابعهم كلبهم وجملة سادسهم كلبهم في موضع الصفة لاسم العدد الذي قبلها، أو موضع الخبر الثاني عن المبتدأ المحذوف.

وجملة وثامنهم كلبهم الواو فيها واو الحال، وهي في موضع الحال من المبتدأ المحذوف، أو من اسم

---

(١) التحرير والتنوير ٥٠٧/١

العدد الذي هو خبر المبتدأ، وهو وإن كان نكرة". (1)

٤٣. ٤٣-"يقتضيه دخول أن، وهي حرف الاستقبال، على فعل يحيف. فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأسند الحيف إلى الله ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفا لا يظهر الحقوق. وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من الله وأن يكون حكم الرسول بغير ما أمر الله، فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بأن شريعة الإسلام منزلة من الله ولا يؤمنون بأن محمدا عليه الصلاة والسلام مرسل من عند الله، فالكلام كناية عن إنكارهم أن تكون الشريعة إلهية وأن يكون الآتي بها صادقا فيما أتى به.

واعلم أن المنافقين اتصفوا بهذه الأمور الثلاثة وكلها ناشئة عن عدم تصديقهم الرسول سواء في ذلك من حلت به قضية ومن لم تحل.

وفيما فسرنا به قوله تعالى: أفي قلوبهم مرض ما يثلج صدر الناظر ويخرج به من سكوت الساكت وحيرة الحائر.

وبل للإضراب الانتقالي من الاستفهام التنبيهي إلى خبر آخر. ولم يؤت في هذا الإضراب ب أم لأن أم لا بد معها من معنى الاستفهام، وليس المراد عطف كونهم ظالمين على الاستفهام المستعمل في التنبيه بل المراد به إفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم لأنه قد اتضح حالهم فلا داعي لإيراده بصيغة استفهام التنبيه. وليست بل هنا للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال جميع الأقسام المتقدمة فإن منها مرض قلوبهم وهو ثابت، **ولا دليل على** قصد إبطال القسم الأخير خاصة، ولا على إبطال القسمين الآخرين.

وجملة: أولئك هم الظالمون مستأنفة استئنافا بيانا لأن السامع بعد أن طنت بأذنه تلك الاستفهامات الثلاثة ثم أعقبت بحرف الإضراب يترقب ماذا سيرسي عليه تحقيق حالهم فكان قوله: أولئك هم الظالمون بيانا لما يترقبه السامع.". (2)

---

(1) التحرير والتنوير ٢٩١/١٥

(2) التحرير والتنوير ٢٧٢/١٨

٤٤. ٤٤-"على الجزم بأن اليهود كانوا يستقبلون بيت المقدس بناء على كلام ابن عباس ومجاهد، ولم يثبت هذا من دين اليهود، كما علمت، وذكر الفخر عن أبي مسلم ما فيه أن اليهود كانوا يستقبلون جهة المغرب وأن النصارى يستقبلون المشرق، وقد علمت آنفا أن اليهود لم تكن لهم في صلاتهم جهة معينة يستقبلونها وأنهم كانوا يتيمنون في دعائهم بالتوجه إلى صوب بيت المقدس على اختلاف موقع جهته من البلاد التي هم بها فليس لهم جهة معينة من جهات مطلع الشمس ومغربها وما بينهما فلما تقرر ذلك عادة عندهم توهموه من الدين وتعجبوا من مخالفة المسلمين في ذلك. وأما النصارى فإنهم لم يقع في إنجيلهم تغيير لما كان عليه اليهود في أمر الاستقبال في الصلاة ولا تعيين جهة معينة ولكنهم لما وجدوا الروم يجعلون أبواب هياكلهم مستقبلة لمشرق الشمس بحيث تدخل أشعة الشمس عند طلوعها من باب الهيكل وتقع على الصنم صاحب الهيكل الموضوع في منتهى الهيكل عكسوا ذلك فجعلوا أبواب الكنائس إلى الغرب وبذلك يكون المذبح إلى الغرب والمصلون مستقبلين الشرق، وذكر الخفاجي أن بولس هو الذي أمرهم بذلك، فهذه حالة النصارى في وقت نزول الآية ثم إن النصارى من العصور الوسطى إلى الآن توسعوا فتركوا استقبال جهة معينة فلذلك تكون كنائسهم مختلفة الاتجاه وكذلك المذابح المتعددة في الكنيسة الواحدة.

وأما استقبال الكعبة في الحنيفية فالظاهر أن إبراهيم عليه السلام لما بنى الكعبة استقبلها عند الدعاء وعند الصلاة وأنه بناها للصلاة حولها فإن داخلها لا يسع الجماهير من الناس وإذا كان بناؤها للصلاة حولها فهي أول قبلة وضعت للمصلي تجاهها وبذلك اشتهرت عند العرب ويدل عليه قول زيد بن عمرو بن نفيل:

عذت بما عاذ به إبراهم ... مستقبل المعبة وهو قائم

أما توجهه إلى جهتها من بلد بعيد عنها **فلا دليل على** وقوعه فيكون الأمر بالتزام الاستقبال في الصلاة من خصائص هذه الشريعة ومن جملة معاني إكمال الدين بها كما سنبينه.

وقد دلت هذه الآية على أن المسلمين كانوا يستقبلون جهة ثم تحولوا عنها إلى جهة أخرى وليست التي تحول إليها المسلمون إلا جهة الكعبة فدل على أنهم كانوا يستقبلون بيت المقدس وبذلك جاءت الآثار. والأحاديث الصحيحة في هذا ثلاثة، أولها وأصحها حديث «الموطأ» عن ابن دينار عن ابن عمر «بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت

فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

٤٥. ٤٥-"لإخراج طواف القدوم فإنه وإن كان فعلا بجميع البدن إلا أنه به مثيل مفروض وهو الإفاضة فأغنى عن جعله فرضا، ولقوله في الحديث: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي» (رحمه الله ١) ، والأمر ظاهر في الوجوب، والأصل أن الفرض والواجب مترادفان عندنا في الحج، فالواجب دون الفرض لكن الوجوب الذي هو مدلول الأمر مساو للفرض.

وذهب أبو حنيفة إلى أنه واجب ينجبر بالنسك واحتج الحنفية لذلك بأنه لم يثبت بدليل قطعي في الدلالة فلا يكون فرضا بل واجبا لأن الآية قطعية المتن فقط والحديث ظني فيهما، والجواب أن مجموع الظواهر من القول والفعل يدل على الفرضية وإلا فالوقوف بعرفة **لا دليل على** فرضيته وكذلك الإحرام فمتى يثبت هذا النوع المسمى عندهم بالفرض؟ وذهب جماعة من السلف إلى أنه سنة.

وقوله: ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة بمفاد قوله: من شعائر الله، والمقصد من هذا التذييل الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل أو نوافل فقط فليس المقصود من خيرا خصوص السعي لأن خيرا نكرة في سياق الشرط فهي عامة ولهذا عطفت الجملة بالواو دون الفاء لئلا يكون الخير قاصرا على الطواف بين الصفا والمروة

بخلاف قوله تعالى في آية الصيام في قوله: وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له [البقرة: ١٨٤] لأنه أريد هنالك بيان أن الصوم مع وجود الرخصة في الفطر أفضل من تركه أو أن الزيادة على إطعام مسكين أفضل من الاقتصار عليه كما سيأتي.

وتطوع يطلق بمعنى فعل طاعة وتكلفها، ويطلق مطاوع طوعه أي جعله مطيعا فيدل على معنى التبرع غالبا لأن التبرع زائد في الطاعة. وعلى الوجهين فانتصاب خيرا على نزع الخافض أي تطوع بخير أو بتضمين تطوع معنى فعل أو أتى. ولما كانت الجملة تذييلا فليس فيها دلالة على أن السعي من التطوع أي من المندوبات لأنها لإفادة حكم كلي بعد ذكر تشريع عظيم، على أن تطوع لا يتعين لكونه بمعنى تبرع بل يحتمل معنى أتى بطاعة أو تكلف طاعة.

رحمه الله ____________

---

(١) التحرير والتنوير ٢/١٠

(رحمه الله١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٢١) ، ط الحلبي.". (١)

٤٦. ٤٦-"وقع هذه الآيات عقب ذكر وقعة قريظة وذكر الأرض التي لم يطؤوها وهي أرض بني النضير. وإذ قد كان شأن هذه السيرة أن يشق على غالب الناس وخاصة النساء أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينبيء أزواجه بها ويخيرهن عن السير عليها تبعا لحاله وبين أن يفارقهن. لذا فافتتاح هذه الأحكام بنداء النبيء صلى الله عليه وسلم ب: يا أيها النبيء تنبيه على أن ما سيذكر بعد النداء له مزيد اختصاص به وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النبوءة، وتحديد تزوجه وهو الغرض الثاني من الأغراض التي تقدم ذكرها في قوله يا أيها النبيء اتق الله [الأحزاب: ١] .

والأزواج المعنيات في هذه الآية هن أزواجه التسع اللاتي توفي عليهن. وهن:

عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أمية المخزومية، وجويرية بنت الحارث الخزاعية، وميمونة بنت الحارث

الهلالية من بني عامر بن صعصعة، وسودة بنت زمعة العامرية القرشية، وزينب بنت جحش الأسدية، وصفية بنت حيي النضيرية. وأما زينب بنت خزيمة الهلالية الملقبة أم المساكين فكانت متوفاة وقت نزول هذه الآية.

ومعنى إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها: إن كنتن تؤثرن ما في الحياة من الترف على الاشتغال بالطاعات والزهد، فالكلام على حذف مضاف يقدر صالحا للعموم إذ **لا دليل على** إرادة شأن خاص من شؤون الدنيا. وهذه نكتة تعدية فعل تردن إلى اسم ذات الحياة دون حال من شؤونها.

وعطف زينتها عطف خاص على عام، وفي عطفه زيادة تنبيه على أن المضاف المحذوف عام، وأيضا ففعل تردن يؤذن باختيار شيء على غيره فالمعنى: إن كنتن تردن الانغماس في شؤون الدنيا، وقد دلت على هذا مقابلته بقوله: وإن كنتن تردن الله ورسوله كما سيأتي.". (٢)

٤٧. ٤٧-"أتاركة تدللها قطام ... وضنا بالتحية والسلام

ولذلك كان قوله تعالى: وسلموا غير مجمل ولا محتاج إلى بيان فلم يسأل عنه الصحابة النبيء صلى الله

---

(١) التحرير والتنوير ٢/٦٤

(٢) التحرير والتنوير ٢١/٣١٥

عليه وسلم وقالوا: هذا السلام قد عرفناه، وقال لهم: والسلام كما قد علمتم، أي كما قد علمتم من صيغة السلام بين المسلمين ومن ألفاظ التشهد في الصلاة.

وإذ قد كانت صيغة السلام معروفة كان المأمور به هو ما يماثل تلك الصيغة أعني أن نقول: السلام على النبيء أو عليه السلام، وأن ليس ذلك بتوجه إلى الله تعالى بأن يسلم على النبيء بخلاف التصلية لما علمت مما اقتضى ذلك فيها.

والآية تضمنت الأمر بشيئين: الصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه، ولم تقتض جمعهما في كلام واحد وهما مفرقان في كلمات التشهد فالمسلم مخير بين أن يقرن بين الصلاة والتسليم بأن يقول: صلى الله على محمد والسلام عليه، أو أن يقول: اللهم صل على محمد والسلام على محمد، فيأتي في جانب التصلية بصيغة طلب ذلك من الله، وفي جانب التسليم بصيغة إنشاء السلام بمنزلة التحية له، وبين أن يفرد الصلاة ويفرد التسليم وهو ظاهر الحديث الذي

رواه عياض في «الشفاء» أن النبيء صلى الله عليه وسلم قال: لقيت جبريل فقال لي: أبشرك أن الله يقول: من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه.

وعن النووي أنه قال بكراهة إفراد الصلاة والتسليم، وقال ابن حجر: لعله أراد خلاف الأولى.

وفي الاعتذار والمعتذر عنه نظر إذ **لا دليل على** ذلك.

وأما أن يقال: اللهم سلم على محمد، فليس بوارد فيه مسند صحيح ولا حسن عن

النبيء صلى الله عليه وسلم ولم يرد عنه إلا بصيغة إنشاء السلام مثل ما في التحية، ولكنهم تسامحوا في حالة الاقتران بين التصلية والتسليم فقالوا: صلى الله عليه وسلم، لقصد الاختصار فيما نرى. وقد استمر عليه عمل الناس من أهل العلم والفضل. وفي حديث أسماء بنت أبي بكر المتقدم أنها قالت: «صلى الله على محمد وسلم» .

ومعنى تسليم الله عليه إكرامه وتعظيمه فإن السلام كناية عن ذلك.". (١)

٤٨. ٤٨-"يعلمون أن الله هو الخالق للعوالم، وأما ما يجري في العالم من التصرفات فلم يكن لهم فيه رأي وكيف وحالتهم الأمية لا تساعد على ذلك، وكانوا يخطئون في التفاصيل حتى يأتوا بما يناقض ما يعتقدونه، ولذلك أعقبه بقوله تعالى: وما لهم بذلك من علم فإشارة بذلك إلى قولهم وما يهلكنا إلا

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/١٠٢

الدهر أي لا علم لهم بأن الدهر هو المميت إذ **لا دليل على** ذلك فإن الدليل النظري بين أن الدهر وهو الزمان ليس بمميت مباشرة وهو ظاهر ولا بواسطة في الإماتة إذ الزمان أمر اعتباري لا يفعل ولا يؤثر وإنما هو مقادير يقدر بها الناس الأبعاد بين الحوادث مرجعه إلى تقدير حصة النهار والليل وحصص الفصول الأربعة، وإنما توهم عامة الناس أن الزمان متصرف، وهي توهمات شاعت حتى استقرت في الأذهان الساذجة.

والمراد بالظن في قوله: إن هم إلا يظنون ما ليس بعلم فهو هنا التخيل والتوهم وجملة إن هم إلا يظنون مبينة بجملة وما لهم بذلك من علم أو استئناف بياني كأن سائلا حين سمع قوله: وما لهم بذلك من علم سأل عن مستندهم في قولهم ذلك فأجيب بأنه الظن المبني على التخيل.

وجيء بالمضارع في يظنون لأنهم يحددون هذا الظن ويتلقاه صغيرهم عن كبيرهم في أجيالهم وما هم بمقلعين عنه.

[٢٥]

[سورة الجاثية (٤٥) : آية ٢٥]

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٢٥)

عطف على وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون [الجاثية: ٢٤] ، أي عقدوا على عقيدة أن لا حياة بعد الممات استنادا للأوهام والأقيسة الخيالية. وإذا تليت عليهم آيات القرآن الواضحة الدلالة على إمكان البعث وعلى لزومه لم يعارضوها بما يبطلها بل يهرعون إلى المباهتة فيقولون إن كان البعث حقا فأتوا بآبائنا إن صدقتم. فالمراد بالآيات آيات القرآن المتعلقة بالبعث بدليل ما قبل الكلام وما بعده.". (١)

٤٩. ٤٩-"والواو عطفت جملة ربك فكبر على جملة قم فأنذر [المدثر: ٢] .

ودخلت الفاء على (كبر) إيذانا بشرط محذوف يكون (كبر) جوابه، وهو شرط عام إذ **لا دليل على** شرط مخصوص وهيئ لتقدير الشرط بتقديم المفعول. لأن تقديم المعمول قد ينزل منزلة الشرط كقول النبيء صلى الله عليه وسلم «ففيهما فجاهد»

---

(١) التحرير والتنوير ٣٦٣/٢٥

(يعني الأبوين) .

فالتقدير: مهما يكن شيء فكبر ربك.

والمعنى: أن لا يفتر عن الإعلان بتعظيم الله وتوحيده في كل زمان وكل حال وهذا من الإيجاز. وجوز ابن جني أن تكون الفاء زائدة قال: هو كقولك زيدا فاضرب، تريد:

زيدا اضرب.

وتكبير الرب تعظيمه ففعل (كبر) يفيد معنى نسبة مفعوله إلى أصل مادة اشتقاقه وذلك من معاني صيغة فعل، أي أخبر عنه بخبر التعظيم، وهو تكبير مجازي بتشبيه الشيء المعظم بشيء كبير في نوعه بجامع الفضل على غيره في صفات مثله.

فمعنى وربك فكبر: صف ربك بصفات التعظيم، وهذا يشمل تنزيهه عن النقائص فيشمل توحيده بالإلهية وتنزيهه عن الولد، ويشمل وصفه بصفات الكمال كلها.

ومعنى (كبر) : كبره في اعتقادك: وكبره بقولك تسبيحا وتعليما. ويشمل هذا المعنى أن يقول: «الله أكبر» لأنه إذا قال هذه الكلمة أفاد وصف الله بأنه أكبر من كل كبير، أي أجل وأنزه من كل جليل، ولذلك جعلت هذه الكلمة افتتاحا للصلاة.

وأحسب أن في ذكر التكبير إيماء إلى شرع الصلاة التي أولها التكبير وخاصة اقترانه بقوله: وثيابك فطهر [المدثر: ٤] فإنه إيماء إلى شرع الطهارة، فلعل ذلك إعداد لشرع الصلاة. ووقع في رواية معمر عن الزهري عند مسلم أن قال: وذلك قبل أن تفرض الصلاة. فالظاهر أن الله فرض عليه الصلاة عقب هذه السورة وهي غير الصلوات الخمس فقد ثبت أنه صلى في المسجد الحرام.". (١)

٥٠. ٥٠-"بأنهما من القرآن. وقد جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على القراءة بهما في الصلاة وكتبتا في مصاحفهم، وصح أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في صلاته.

أغراضها

والغرض منها تعليم النبيء صلى الله عليه وسلم كلمات للتعوذ بالله من شر ما يتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، والأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها لئلا يرمى

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩٦/٢٩

فاعلوها بتبعاتها، فعلم الله نبيئه هذه المعوذة ليتعوذ بها، وقد ثبت أن النبيء صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهذه السورة وأختها ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين.

[١، ٢]

[سورة الفلق (١١٣) : الآيات ١ إلى ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق (١) من شر ما خلق (٢)

الأمر بالقول يقتضي المحافظة على هذه الألفاظ لأنها التي عينها الله للنبيء صلى الله عليه وسلم ليتعوذ بها فإجابتها مرجوة، إذ ليس هذا المقول مشتملا على شيء يكلف به أو يعمل حتى يكون المراد: قل لهم كذا كما في قوله: قل هو الله أحد [الإخلاص: ١] ، وإنما هو إنشاء معنى في النفس تدل عليه هذه الأقوال الخاصة.

وقد

روي عن ابن مسعود في أنه سأل النبيء صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فقال: «قيل لي قل فقلت لكم فقولوا»

. يريد بذلك المحافظة على هذه الألفاظ للتعوذ وإذ قد كانت من القرآن فالمحافظة على ألفاظها متعينة والتعوذ يحصل بمعناها وبألفاظها حتى كلمة قل والخطاب ب قل للنبيء صلى الله عليه وسلم وإذ قد كان قرآنا كان خطاب النبيء صلى الله عليه وسلم به يشمل الأمة حيث **لا دليل على** تخصيصه به، فلذلك أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بالتعوذ بهذه السورة ولذلك أيضا كان يعوذ بهما الحسن والحسين كما ثبت في «الصحيح» ، فتكون صيغة الأمر الموجهة إلى المخاطب مستعملة في معنيي الخطاب من توجهه إلى معين وهو الأصل، ومن إرادة كل من يصح خطابه وهو". [(١)]

٥١. ٥١-"وهو تنظير ضعيف لأن بيت جرير ظهر منه الثلث الثالث، فهم الصميم، بخلاف الآية فإن بقية الآيات لم يعرف. ويجوز أن نجعل قوله تعالى: ولله على الناس حج البيت إلخ متضمنا الثالثة من الآيات البينات.

---

(١) التحرير والتنوير ٦٢٥/٣٠

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين.
حكم أعقب به الامتنان: لما في هذا الحكم من التنويه بشأن البيت فلذلك حسن عطفه. والتقدير: مباركا وهدى، وواجبا حجه. فهو عطف على الأحوال.
والحج تقدم عند قوله تعالى: الحج أشهر معلومات في سورة البقرة [١٩٧] ، وفيه لغتان- فتح الحاء وكسرها- ولم يقرأ في جميع مواقعه في القرآن- بكسر الحاء- إلا في هذه الآية: قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر - بكسر الحاء-.
ويتجه أن تكون هذه الآية هي التي فرض بها الحج على المسلمين، وقد استدل بها علماؤنا على فرضية الحج، فما كان يقع من حج النبيء صلى الله عليه وسلم والمسلمين، قبل نزولها، فإنما كان تقربا إلى الله، واستصحابا للحنيفية. وقد ثبت أن النبيء صلى الله عليه وسلم حج مرتين بمكة قبل الهجرة ووقف مع الناس. فأما إيجاب الحج في الشريعة الإسلامية **فلا دليل على** وقوعه إلا هذه الآية وقد تمالأ علماء الإسلام على الاستدلال بها على وجوب الحج، فلا يعد ما وقع من الحج قبل نزولها، وبعد البعثة إلا تحنثا وتقربا، وقد صح أنها نزلت سنة ثلاث من الهجرة، عقب غزوة أحد، فيكون الحج فرض يومئذ. وذكر القرطبي الاختلاف في وقت فرضية الحج على ثلاثة أقوال: فقيل: سنة خمس، وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة تسع، ولم يعز الأقوال إلى أصحابها، سوى أنه ذكر عن ابن هشام، عن أبي عبيد الواقدي أنه فرض". (١)

٥٢. ٥٢-"يفعل قط ما لا يحمد عليه ويثني به عليه، ويكون له فيه العواقب الحميدة والغايات المطلوبة. فإن كونه على صراط مستقيم: يأبى ذلك كله.
قال محمد بن جرير الطبري: وقوله: إن ربي على صراط مستقيم يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه، والمسيء بإساءته. لا يظلم أحدا منهم شيئا، ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به.
ثم حكى عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه إن ربي على صراط مستقيم قال: الحق. وكذلك رواه ابن جريج عنه.
وقالت فرقة: هي مثل قوله: ٨٩: ١٤ إن ربك لبالمرصاد.

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/٤

وهذا اختلاف عبارة. فإن كونه بالمرصاد: هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.
وقالت فرقة: في الكلام حذف، تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ويحضكم عليه.
وهؤلاء، إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها. فليس هو كما زعموا. **ولا دليل على** هذا المقدر.
وقد فرق سبحانه بين كونه آمرا بالعدل، وبين كونه على صراط مستقيم.
وإن أرادوا: أن حثه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط مستقيم، فقد أصابوا.
وقالت فرقة أخرى: معنى كونه على صراط مستقيم: أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله، لا يفوته شيء منها.
وهؤلاء: إن أرادوا أن هذا معنى الآية فليس كذلك. وإن أرادوا: أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم، ومن مقتضاه وموجبه: فهو حق.". (١)

٥٣. ٥٣-"رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلاة الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها قالت الحنفية كبر لافتتاح الصلاة فصلى ومن ثم قالوا ان تكبيرة الافتتاح ليست ركنا من الصلاة بل هو شرط عملا بمقتضى الفاء العاطفة الدالة على المغايرة والتعقيب لا يقال عطف العام على الخاص جايز اجماعا مع كون العام مشتملا على الخاص فكذا عطف الكل على الجزء لانا نقول جواز عطف العام على الخاص لنكتة بلاغية وهى منعدمة فى عطف الكل على الجزء ولا نظير له فى الاستعمال فعلى هذا جوز وأبناء النافلة على الفريضة وعلى النافلة وروى عن ابى اليسر جواز بناء الفريضة على النافلة ايضا وجمهور الحنفية على منعه وكذا على منع بناء الفرض على الفرض قلت وكونه شرطا لا يقتضى جواز البناء الا ترى ان النية شرط ولا يجوز الصلاتان بنية واحدة والوضوء شرط وكان فى صدر الإسلام واجبا لكل صلوة غير ان بناء النفل على الفرض يجوز تبعا كمن صلى الظهر خمسا ناصيا وقعد للاخيرة ضم إليها السادسة وسجد للسهو والركعتان نافلة وقال الشافعي وغيره تكبيرة الإحرام ركن لانه يشترط له كسائر الأركان وهذا اية الركنية قالت الحنفية مراعاة الشرائط لما يتصل بها من القيام لا لنفسها ولذا قالوا لو تحرم حامل النجاسة او مكشوف العورة او قبل ظهور الزوال او متحرفا عن القبلة والقاها واستتر لعمل يسير وظهر الزوال واستقبل مع اخر الجزء من التحريمة جاز وذكر فى الكافي انها عند بعض أصحابنا ركن انتهى وهو ظاهر كلام الطحاوي فيجب على قول هؤلاء ان لا يصح

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ص/٥٦٣

هذا الفروع والله تعالى اعلم قلت ويحتمل ان يكون المراد بذكر اسم ربه الاذان والاقامة يعنى اذن واقام فصلى وحينئذ **لا دليل على** نفى ركنية تكبيرة الافتتاح وقيل تزكى اى تصدق للفطر وذكر اسم اى كبر يوم العيد فصلى صلوته كذا قال عطاء وقال ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ثم قرأ هذه الاية وقال نافع كان ابن عمر إذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع أخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما نزلت هذه الاية فى هذا قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وهو قول ابو العالية وابن سيرين وقال بعضهم لا أدرى ما وجه هذا التأويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة ولا فطر قال البغوي يجوز ان يكون النزول سابقا عن الحكم قال الله تعالى وأنت حل بهذا البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب لا أدرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي – صلى الله عليه وسلم – يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قلت سيهزم الجمع". (١)

٥٤. ٥٤–"لتؤمنن به ولتنصرنه– او موصولة يعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له والباقون بفتح اللام توطية للقسم لان أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما حينئذ يحتمل ان يكون شرطية ولتؤمنن به ساد مساد جواب القسم وجزاء الشرط جميعا والمعنى أخذ الله ميثاق النبيين واستحلفهم لئن اتيتكم من كتاب ثم جاءكم رسول مصدق له لتومنن به– ويحتمل ان يكون موصولة مبتدا بمعنى الذي وخبره لتؤمنن به يعنى للذى اتيتكم من كتاب ثم جاءكم رسول مصدق له لتؤمنن به قرا نافع وابو جعفر– ابو محمد آتيناكم على التعظيم كما فى قوله تعالى واتينا داود زبورا والآخرون بالإفراد من كتاب وحكمة اى سنة او فقه فى الدين ثم جاءكم رسول مصدق لما للكتاب الذي جاء معكم جملة ثم جاء عطف على الصلة والعائد فيه الى الموصول مظهر وضع موضع المضمر وهو لما معكم تقديره مصدقا له– قيل المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لكونه مبعوثا الى كافة الأنام وهو المستفاد من قول ابن عمرو ما ذكر من قول على– والصحيح عندى ان اللفظ عام **ولا دليل على** التخصيص ولا شك ان الايمان بجميع الأنبياء والقول بلا نفرق بين أحد من رسله واجب على جميع الأمم السابقة واللاحقه وقد قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقول على وابن

---

(١) التفسير المظهري ٢٤٦/١٠

عباس رضى الله عنهما بتخصيص ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لالزام اهل الكتاب المعاندين فان الكلام معهم انما كان فى امر محمد صلى الله عليه وسلم لا غير وليس المقصود من قولهما نفى الحكم عما عداه وجاز ان يكون تخصيص العهد لمحمد صلى الله عليه وسلم لاظهار فضله وفى قوله تعالى مصدقا لما معكم اشارة الى ان تكذيبه يستلزم تكذيب ما معكم لتؤمنن به اى بالرسول ولتنصرنه بانفسكم ان أدركتموه او بامركم بالنصر لمن أدركه من اتباعكم ان لم تدركوه- قال البغوي حين استخرج الله الذرية من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصابيح والسرج أخذ عليهم الميثاق فى امر محمد صلى الله عليه وسلم قال استيناف بيان لاخذ الميثاق كانه قيل كيف أخذ الله الميثاق- او ناصب لاذ اى قال إذ أخذ الله الميثاق وعلى الاول ناصبه إذ كرع أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري اى عهدى استفهام تقرير قالوا اى الأنبياء أو هم والأمم جميعا يوم الميثاق ... ...". (١)

٥٥. ٥٥-"مع أنثى عند عدم ولد ذكر بالفرض وما بقي من ذوى الفروض بالعصوبة لانه اولى رجل ذكر بعد الأبناء وأبناء الابن فإن لم يكن له ولد صلبى ولا ولد ابن وورثه أبواه فلأمه الثلث يعنى ثلث جميع المال ان لم يكن معهما وارث صاحب فرض غيرهما وثلث ما بقي بعد فرض أحد الزوجين ان كان معهما أحد الزوجين ولا يتصور معهما غير الزوجين لان الاخوة والأخوات والجد لا يرثون مع الأب والجدة مع الام والمفروض عدم الولد، او المعنى وورثه أبواه فقط فلامه الثلث مما ترك بقرينة تقيد السدس به فعلى هذا يعرف ميراثهما مع أحد الزوجين بالمقايسة فكما كان للام نصف ما للاب عند عدم غيرهما تضعيفا للذكر على الأنثى مع اتحاد القرابة يعنى ثلث الكل والثلثان فكذا مع غيرهما يعنى ثلث ما بقي والثلثان عن ابن مسعود قال كان عمر بن الخطاب إذا سلك طريقا فاتبعناه وجدنا سهلا وانه سئل عن امراة وأبوين فقال للمرءة الربع وللام الثلاث ما بقي وما بقي فللاب وبه قال زيد بن ثابت ان للام ثلث ما بقي بعد فرض أحد الزوجين فى مسئلة زوج وأبوين ومسئلة زوجة وأبوين وعليه انعقد الإجماع ولو كان مكان الأب الجد فلها ثلث الكل وروى البيهقي من طريق عكرمة قول ابن عباس ان للام فى المسألتين ثلث الكل وبه قال شريح ووافقه ابن سيرين فى زوجة وأبوين وخالفه فى زوج وأبوين روى البيهقي عن النخعي انه قال خالف ابن عباس جميع اهل الفرائض فى ذلك والسكوت عن حكم الأب بعد قوله وورثه أبواه يدل على ان الباقي يعنى الثلثين للاب لانه اولى بالميراث من الام

---

(١) التفسير المظهري ٢ ق ٨١/١

فلا جائز حرمانه وقد نبه على ميراثه بقوله ورثه ولو كان له بعض المال لم يجز السكوت عن بيانه ولا يرث معه غيره بالعصبية لانه اقرب العصبات عند عدم الولد فلا يترك لغيره شيئا وهذه الاية تدل على انه لو ورثته «١» امه فقط بدون الأب يكون لها الثلث بالطريق الاولى **ولا دليل على** الزيادة فإن كان له إخوة لاب او لام أولهما والمراد بالاخوة ما فوق الواحد اجماعا سواء كانوا ذكورا او إناثا او مختلطين وكذا المراد بكل جمع وقع فى باب الفرائض والوصايا اجماعا وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة روى الحاكم وصححه ان ابن عباس دخل على عثمان فقال له محتجا بانه كيف ترد الام الى السدس بالأخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شيء كان قبلى ومضى فى البلدان

---

(١) فى الأصل لو ورثه-". (١)

٥٦. ٥٦-"وبقرة او بدنتين او بقرتين او شاتين او نحو ذلك يعنى يكون قيمة الهدى مثل قيمة الصيد او اكثر منه وما كان قيمته كقيمة الشاة جائز التضحية يهدى شاة كذلك وما يكون قيمته اقل من قيمة الشاة كالضبع والوبر واليربوع والغزال وأم جنين والحرباء والضب والثعلب يهدى عناقا او جفرة او حملا اعنى ما يكون قيمته كقيمة الصيد او اكثر منه من نوع الغنم وفى الحمامة وما دونه إذا اختار الهدى يهدى ادنى ما يطلق عليه اسم الشاة هذا على اصل الجمهور انه لا يشترط ان يكون الهدى جائز التضحية وهو المختار عندى للفتوى واما على اصل ابى حنيفة رحمه الله فلا بد ان يهدى فى كل ما يكون قيمته اقل من قيمة الشاة شاة جائز التضحية وبه قال مالك ان المقتول سواء كان صغيرا او كبيرا صحيحا او معيبا الواجب انما هو الهدى جائز التضحية الكبير الصحيح وجه قولهما ان مطلق الاسم ينصرف اليه ولذا لا يجوز فى هدى المتعة وسائر الجنايات فى الحج ان يهدى الا جائز التضحية لنا ان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أوجبوا عناقا وجفرة ولا نسلم ان المذكور فى النص مطلق اسم الهدى حتى ينصرف الى الكامل كما فى هدى المتعة ونحوه بل المذكور هاهنا مثل ما قتل من النعم هديا فالمراد الهدى المماثل بالمقتول اما صورة كما قال الشافعي او قيمة كما قلنا فلا وجه لايجاب الكبير جائز التضحية وما ذكرنا من التفسير للاية لا يزاحمه اقوال الصحابة فان الصحابة انما

---

(١) التفسير المظهري ٢ ق ٢٥/٢

حكموا فى

الأرنب بعنز لأن العنز يماثل قيمة بقيمة الأرنب وفى الحمامة بشاة لان الشاة ادنى اقسام الهدى وأشبهها وأقربها بالحمامة قيمة بالنسبة الى البقرة والبدنة فلو أراد الهدى يهدى ادنى افراد الشاة **ولا دليل على** انهم اعتبروا المماثلة فى الخلقة فان قيل روى البيهقي بسند حسن عن ابن عباس وروى ايضا من عطاء الخراسانى عن عمر وعثمان وعلى وزيد بن ثابت وابن عباس ومعاوية انهم قالوا فى النعامة يقتلها المحرم بدنة ورواه مالك من طريق ابى عبيدة بن عبد الله بن مسعود مكاتبة عن أبيه وقال مالك لم ازل اسمع ان فى النعامة بدنة ولا شك ان حكمهم فى النعامة ببدنة ليس الا لرعاية المشابهة فى طول العنق والرجلين دون القيمة قلنا فى الأثر ضعف وانقطاع وقال الشافعي هذا غير ثابت عند اهل العلم بالحديث وبالقياس قلنا ان فى النعامة بدنة او يقال لعل بعض افراد النعامة فى بعض الازمنة بلغ قيمة شيء من الإبل فحكم بعض الصحابة ان فى النعامة بدنة ثم تبعه جماعة من التابعين زعما". [١]

٥٧. ٥٧-"موصوفا ببلوغه الى الكعبة حال حكمهما به على التحقيق فالتقدير على تفسيركم انه يحكمان به مقدرا بلوغه فلزوم التقدير ثابت غير انه يختلف محله على الوجهين.

(مسئلة:) هل يجب فى الهدى السوق أم يجوز ان يشترى بمكة فقال مالك يجب فيه السوق عملا بظاهر قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وصف به هديا لان إضافته لفظية وقال الجمهور لا يجب السوق بل انما ذكر قوله هديا بالغ الكعبة للدلالة على ان الحرم شرط لذبح الهدى وعليه انعقد الإجماع وكونه مهدى من خارج غير مقصود قلت والدليل على ان السوق ليس بشرط قصة حجة الوداع ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضى حجه ومن لم يكن منكم اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهدو من لم يجد هديا فليصم وهذا صريح فى ان بعض الصحابة لم يسق الهدى واشتروا هديا بمكة ومن لم يجد هديا صام وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم هديا حيث قال ثم ليهل بالحج وليهدو قد قال الله تعالى فى التمتع ايضا فما استيسر من الهدى وما قاله مالك فيمن اشترى الهدى من الحرم الواجب ان يخرج به إذا حج الى عرفة امر لا دليل عليه.

(مسئلة) هل يجب التصدق بلحم الهدى على فقراء مكة فقال الجمهور يجب ذلك لان صفة بلوغ

---

(١) التفسير المظهري ١٨٠/٣

الهدى الكعبة يشعر ان ينفق اللحم على مساكين الحرم وقال ابو حنيفة لا يجب ذلك بل يتصدق على من يشاء من المساكين فى الحرم وغيره لان الذبح عبادة غير معقولة فلا بد فيه من رعاية المكان حتى انه من ذبح فى غير الحرم لا يجزيه الا ان يبلغ اللحم قيمة الصيد فينفقه بنية الإطعام واما انفاق اللحم فعبادة معقولة **ولا دليل على** التخصيص بمساكين الحرم وما ذكروا من الاشعار ممنوع أو كفارة عطف على جزاء قرأ نافع وابن عامر بالاضافة الى طعام مسكين اضافة بيانية والباقون بتنوين كفارة ورفع طعام على انه عطف بيان او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اى هى طعام مساكين وكلمة او للتخيير «١» تفيد ان الجاني مخير

(١) والعطف بكلمة او للتخيير اى تخيير الجاني بين الخصال الثلاثة تخفيفا عليه كما فى خصال كفارة اليمين هذا عند ابى حنيفة وابى يوسف رح وقال محمد والشافعي رح الخيار فى تعيين شيء من الخصال الى الحكمين ولا دليل لهذا القول فى الاية بل الاية تدل على ان المراد بالمثل القيمة وتقدير القيمة مفوض الى الحكمين فاذا حكما بمقدار القيمة فالخيار الى الجاني ان شاء يشترى بها هديا بالغ الكعبة وان شاع يشترى بها طعاما للمساكين وان شاء صام مكان كل مسكين يوما ولا مدخل للحكمين فى التعيين فان الحاكم هو الله لا غير وانما التخيير للتخفيف رحمة من الله تعالى وذلك فى تخيير الجاني ١٢ منه". (١)

٥٨. ٥٨-"من استجمع تلك الصفات فهو الحقيق بالعبادة دون غيره من خلقه وهو على كل شيء وكيل بالحفظ له والتدبير فيه يعنى هو متول لاموركم رقيب على أموالكم فكلوا إليه الأمور وتوسلوا اليه بالعبادة ينجح ما ربكم ويجازى على حسناتكم

لا تدركه الأبصار اخرج ابن ابى حاتم وغيره بسند ضعيف عن ابى سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا استدل المعتزلة بهذه الاية على امتناع الروية واجمع اهل السنة على نفى الروية فى الدنيا وإثباتها فى الاخرة للمؤمنين فى الجنة والاستدلال بها على الامتناع باطل بوجوه أحدها ان صيغة المضارع اما للحال ويستعمل فى الاستقبال مجازا او هى مشترك فى المعنيين والحال مراد فى الاية اجماعا

(١) التفسير المظهري ١٨٣/٣

إذ لا قايل بروية الله تعالى فى الدنيا فلا يجوز ارادة الاستقبال والا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز او عموم المشترك ثانيها ان الابصار بصيغة الجمع يدل على ارادة الافراد دون الجنس فاللام اما للعهد يعنى الابصار الموجودة فى الدنيا او للاستغراق فانكان للعهد **فلا دليل على** نفى الروية بالأبصار المخلوقة للمؤمنين فى الجنة وان كان للاستغراق فمدلول الاية نفى الاستغراق لا استغراق النفي فلا دليل فيه على نفى الروية بابصار اهل الجنة روى ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أرني انظر إليك قال قال الله يا موسى انى لا يرانى حى إلا مات ولا يابس الا تدهده ولا رطب الا تفرق وانما يرانى اهل الجنة لا يموت أعينهم ولا يبلى أجسامهم ثالثها ان الإدراك غير الروية لان الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء والإحاطة به او الوصول الى الشيء بحيث لا يفوت منه شيء والروية المعاينة ولا تلازم بينهما قال الله تعالى فلما ترائ الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا فى هذه الاية نفى للدرك بعد اثبات الروية من الجانبين رابعها ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الأبصار يحيط بها علمه وهو اللطيف فى القاموس هو البر بعباده المحسن الى خلقه بايصال المنافع إليهم برفق ومن هاهنا قال ابن عباس اللطيف باوليائه وفيه ايضا اللطيف العالم بخفايا الأمور وفى الصحاح قد يعبر باللطيف ما لا يدرك بالحاسة وعلى هذا ففى الكلام لف ونشر مرتب يعنى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير قد جاءكم". [١]

٥٩. ٥٩-"والمولود يقول الهالك فى الفترة رب لم يأتيني كتاب ويقول المعتوه رب لم تجعل لى عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترتفع لهم نار فيقول ردوها فيردها من كان فى علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان فى علم الله شقيا لو أدرك العمل فيقول إياي عصيتم فكيف لو رسلى أتتكم- واخرج الطبراني وابو نعيم عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى يوم القيامة بالممسوح عقلا وبالهالك فترة وبالهالك صغيرا فيقول الممسوح عقلا رب لو أتيتني عقلا ما كان من أتيته عقلا بأسعد منى وذكر فى الهالك فى الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب تبارك وتعالى انى أمركم بامرى فتطيعونى فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار- قال لو دخلوها ما ضرتهم فيخرج عليهم فرائض فيظنون انها قد أهلك ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمر الثانية فيرجعون ذلك فيقول الرب تعالى قبل ان خلقتكم علمت ما أنتم عاملون- قلت وهذا القول

(١) التفسير المظهري ٢٧٤/٣

الخامس لا يلائم ضروريات الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرا- وعن النائم حتى يستيقظ- وعن الصبي حتى يكبر رواه احمد وابو داود والحاكم عن عائشة بسند صحيح وعن على وعمر بسند صحيح- وفى لفظ اخر رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرا وعن الصبى حتى يكبر رواه احمد وابو داؤد والنسائي وابن ماجة والحاكم عن عائشة بسند صحيح- وقد ثبت بالحديث انه من هم بسيئة لا يؤاخذ بها ما لم يعملها- فكيف بمن لم يهم بها ولم يعقلها- وقال الله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

وقال الله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت- ... وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - واجمع الامة على ان مناط التكليف العقل والبلوغ- فلعل لفظ المولود والمجنون فى هذه الأحاديث من وهم الرواة او المولود والمجنون يمتثلون امر الله ويدخلون النار عند الامتحان فينجون بخلاف المشركين من اهل الفترة- قال السيوطي وقيل فى أطفال المشركين انهم يكونون فى برزخ بين الجنة والنار- وقيل يصيرون ترابا- **ولا دليل على** ذلك واما أولاد المسلمين فلم يجر فيهم خلاف بل الإجماع انهم فى الجنة والله اعلم.". (١)

٦٠. ٦٠-"ذلك فكيف تحكمون باستحقاقها للعبادة وتخصيص الشرك بالسماوات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة فى إيجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من عند الله ناطق بالشرك من قبل هذا القران الناطق بالتوحيد أو أثارة اخرج احمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم او اثارة من علم قال الخط قال مجاهد وعكرمة اى رواية وقال قتادة خاصة وقال الكلبي بقية فى القاموس الأثر البقية من الشيء من علم الأنبياء الأولين مستندا الى الوحى القطعي يدل على الشرك إن كنتم صادقين (٤) فى ان الله امر بعبادة الأوثان شرط مستغن عن الجزاء بما مضى يعنى **لا دليل على** استحقاقها العبادة عقلا ولا نقلا..

ومن أضل عطف على مقولة القول يعنى لا أحد أضل ممن يدعوا اى يعبد ويطلب حاجاته من دون الله من لا يستجيب له إذا دعاه لو سمع دعاءهم فرضا ان يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم إلى يوم القيامة اى ما دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون (٥) لانها اما جمادات لا يسمع ولا يعقل واما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم كعيسى وعزير والملائكة.

---

(١) التفسير المظهري ٤٢٧/٥

وإذا حشر الناس يوم القيامة عطف على لا يستجيب كانوا اى كانت المعبودون لهم أعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين (٦) مكذبين قائلين تبرانا إليك ما كانوا ايانا يعبدون يعنى ليسوا فى الدارين على منفعة إذ لا ينفعهم فى الدنيا ويضرهم فى الاخرة فلا أضل ممن عبدها وترك عبادة الله السميع البصير الخبير القادر المجيب. وقيل الضمير فى قوله كانوا بعبادتهم كافرين للعابدين القائلين والله ربنا ما كنا مشركين.

وإذا تتلى عليهم عطف على قوله والذين كفروا عما انذروا معرضون او على يدعوا فى ممن يدعوا يعنى ومن اضل ممن قال للحق هذا سحر مبين إذا تتلى عليه آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق اى لاجله وفى شأنه والمراد به الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وظهور الصدق وعليهم بالكفر والانهماك فى الضلالة لما جاءهم اى فورا حين مجيئها إليهم". (١)

٦١. ٦١-"وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن رصيف وأحب إليهم من رصيف أو تركتموها قائمة على أصولها كما فعل عبد الله بن سلام فبإذن الله خبر مبتداء محذوف يعنى فقطعه وتركه بإذن الله ليس فى شىء من ذلك اثم اخرج البخاري عن ابن عمران رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرق نخل بنى نضير وقطع وهى البويرة هذه الاية كذا روى اصحاب الكتب واخرج ابو يعلى بسند ضعيف عن جابر قال رخص وقطع النخل ثم شدد عليهم فاتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا يا رسول الله هل علينا اثم فيما قطعنا وتركنا فانزل الله هذه الاية وليخزي الله بالاذن فى القطع الفاسقين اليهود عطف على بإذن الله وعلة لمحذوف والجملة معطوفة على جملة تقريره وفعلتم او اذن لكم لنخزى هم على فسقهم بما غاظهم منه (مسئله) من هاهنا قال ابو حنيفة رح إذا حاصر الامام حصنا للكفار جاز ان يقطع أشجارهم ويفسد زروعهم وهدم بيوتهم ويحرقها قال ابن همام هذا إذا لم يغلب على الظن انهم ماخذون بغير ذلك فان كان الظاهر انهم مغلوبون وان الفتح لا بد منه كره ذلك لانه إفساد وفى غير محل الحاجة وما أبيح الا لها وقال احمد لا يجوز قطع أشجارهم الا بأحد الشرطين أحدهما ان يفعلوا بنا مثل ذلك ثانيهما ان يكون لنا حاجة الى قطع ذلك لنتمكن من قتالهم وقال الشافعي يجوز إتلاف بنائهم وشجرهم لحاجة القتال والظفر بهم وكذا ان لم يرج حصولها لنا فان رجى ندب الترك

---

(١) التفسير المظهري ٣٩٤/٨

والدليل على جواز قطع الأشجار هذا الاية والحديثين المذكورين وما روى احمد عن اسامة بن زيد قال بعثني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الى قرية قال أيتها صباحا ثم حرق قال ابن الجوزي احتجاجا لمذهبه انه قد روى أصحابنا ان النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا بعث جيشا قال لا تعود واعينا ولا تعقروا شجرا إلا شجر يمنعكم من القتال والحديثان يعنى حديث ابن عمر وحديث اسامة بن زيد محمولان على ما ذكرنا انتهى كلامه قلنا لا يجوز على ما ذكر ابن الجوزي لان بنى نضير لم يقطعوا أشجار المدينة قط **ولا دليل على** كون القطع لحاجة القتال بل الاية صريحة فى ان الأمر بالقطع كان لخزى الفاسقين وكبت اعداء الله وكسر شوكتهم لا لغرض اخر لكن الظاهر ان الفتح لم يكن غالبا فى الظن حين امر النبي – صلى الله عليه وسلم – بقطع أشجارهم يدل على قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا ما نعتهم حصونهم وما روى اصحاب احمد حجة على عدم جواز القطع ان صح لا يمكن ان يكون معارضا لكتاب الله المستلزم للجواز والله اعلم قال البغوي فلما ترك بنو النضير رياعهم وضياعهم طلب المسلمون تقسيمها بيتهم كما فعل لغنايم خيبر فبين الله تعالى حكمها وقال.

وما أفاء الله على رسوله القى الرجوع وأفاء بمعنى عاد وقال الجوهري الفى الرجوع الى حالة محمودة قال الله تعالى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا ... فإن فاؤ فإن الله غفور رحيم ولما كان الرجوع يقتضى سبق الملك قال البيضاوي". (١)

٦٢. ٦٢-"سورة الجمعة

مدنية وهى احدى عشرة اية وفيها ركوعان بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض الملك القدوس المنزه عما لا يليق العزيز الحكيم فى ملكه وصنعه فان كل شيء يدل على وجوده وينزهه عما لا يليق بشانه وايضا كل شيء وان كان جمادا فله نوع من الحيوة والشعور فيقر بوحدانيته ويسبحه ولكن لا تفقهون تسبيحهم.

هو الذي بعث في الأميين يعنى العرب كان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرون رسولا منهم اى من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم آياته تعالى مع كونه أميا لم يعهد منه قراءة ولا تعلما ويزكيهم يظهرهم من الشرك والخبائث ويعلمهم الكتاب المعجز البليغ الذي لو اجتمع الانس والجن على ان يأتون بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والحكمة الشريعة الحكمة المطابقة بشرائع الأنبياء فى الأصول

---

(١) التفسير المظهري ٢٣٦/٩

المشهود عليها بالكتب السماوية بالقبول وإن كانوا يعنى وانهم يعنى العرب كانوا من قبل بعثته – صلى الله عليه وسلم – لفي ضلال مبين ظاهر بطلانه حيث يعهدون الحجارة ويأكلون الجيفة ويقولون ويعتقدون مالا يقبل العقل والنقل.

وآخرين عطف على الضمير المنصوب فى يعلمهم اى ويعلم اما؟؟؟ آخرين منهم اى كائنين من جنس الأولين حيث يدينون بدينهم ويسلكون على طريقهم قال عكرمة ومقاتل هم التابعون وقال ابن زيدهم جميع من دخل فى الإسلام الى يوم القيمة وهى رواية ابن نجيح عن مجاهد وقال عمرو بن سعيد بن جبير وليث عن مجاهدهم العجم لحديث ابى هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى سال مرتين او ثلاثا قال فينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي – صلى الله عليه وسلم – يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لنا له رجال من هؤلاء متفق عليه وفى رواية عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لو كان الدين عند الثريا لذهب اليه رجل او قال رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه قلت هذا الحديث يدل على فضل رجال من العجم وانهم ممن أريد بهذه الاية **ولا دليل على** نفى خيرهم على ما يدل عليه عموم الاية ولعل المراد لقوله – صلى الله عليه وسلم – رجال من هؤلاء أبناء فارس أكابر النقشبندية فانهم من ال بخارا وسمرقند ونحو ذلك وهم منتسبون فى الطريقة". (١)

٦٣. ٦٣–"من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلثة ايام رواه مسلم ولا شك ان الأحاديث الدالة على عدم الوجوب ليست فى القوة مثل أحاديث الوجوب لكن عمل الصحابة واجماع الامة على عدم الوجوب يثبت ان أحاديث الوجوب اما منسوخة او ماولة روى الشيخان فى الصحيحين عن ابن عمران عمر بينما هو قائم فى الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين فناداه عمر اية ساعة هذه قال انى شغلت فلم انقلب الى أهلي حتى سمعت التأذين فلم أزد على ان توضأت فقال والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يأمر بالغسل قال ابن الجوزي والرجل عثمان ولم ينكر عمر على عثمان فى ترك الغسل ولم ينكر أحد فظهر ان الغسل سنة ليس بواجب وأحاديث التي يحتج بها للوجوب

---

(١) التفسير المظهري ٢٧٥/٩

ماولة وليست بمنسوخة ولو كانت منسوخة لم يقل عمران رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يأمر بالغسل فان المنسوخ لا يحتج به فظهر ان الأمر للاستحباب والسنية والله تعالى اعلم (مسئله) سن يوم الجمعة اربع ركعات قبل الجمعة واربع بعدها عند ابى حنيفة رح وقال ابو يوسف رح بعدها ست ركعات ومحمد قيل مع ابى يوسف **ولا دليل على** اربع قبل الجمعة الا عموم انه كان – صلى الله عليه وسلم – يصلى إذا زالت الشمس أربعا ويقول هذه الساعة يفتح فيها أبواب السموات فاحب ان يصعد لى فيها عمل صالح رواه ابن ماجة عن ابى يوسف بإسناد حسن والقياس على الظهر وقد صح انه – صلى الله عليه وسلم – كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة رواه البخاري وابو داود والنسائي عن عائشة واما الصلاة بعد الجمعة فقد صح عن ابن عمران النبي – صلى الله عليه وسلم – كان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى ركعتين فى بيته رواه مالك والشيخان فى الصحيحين وابو داود والنسائي وفى سنن ابى داود عن ابن عمر انه إذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلى أربعا وإذا كان بالمدينة فصلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين فقيل له كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يفعل ذلك قال ابن همام فالظاهر ان السنة سنة غير ان ابن عمر لم يعلم كل ما كان يفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – بمكة فاذا كان مسافرا كان يصليها فى المسجد فيعلم ابن عمرو به قال ابو يوسف رح وابو حنيفة رح أخذا بما روى عن ابن مسعود انه كان يصلى قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا قاله الترمذي فى الجامع واليه ذهب ابن المبارك والثوري وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها اربع ركعات والله تعالى اعلم (مسئله) عن ابى هريرة ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب". (١)

٦٤. ٦٤–"وقيل تقديره إذا راوا تجارة انفضوا إليها وإذا راوا لهوا انفضوا اليه وقال الحسن وابو مالك أصاب اهل المدينة جوع وغلا سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي – صلى الله عليه وسلم – يخطب يوم الجمعة فلما راوه قاموا اليه بالبقيع خشوا ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي – صلى الله عليه وسلم – الارهط منهم ابو بكر وعمر رض فنزلت هذه الاية فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد سال بكم الوادي نارا

---

(١) التفسير المظهري ٩/٢٩٤

وقال مقاتل بينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يخطب يوم الجمعة إذ اقبل دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة فكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق الا أتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق ويرو غيره فنزل عند أحجار الزيت وهو مكان من سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل ان يسلم ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس فلم يبق فى المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كم بقي فى المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لولا هؤلاء لقد سومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الاية وأراد باللهو الطبل قيل كانت العير إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وتركوك قائما تخطب كذا صرح مسلم فى رواية انهم انفضوا وهو يخطب ورجحه البيهقي على رواية من روى وهو يصلى يجمع بينهما بان يراد من قال وهو يصلى يخطب مجازا وقد مر فيما سبق حديث كعب بن عجرة وقال علقمة سئل عبد الله كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قائما او قاعدا قال اما تقرأ وتركوك قائما وفى قصة انفضاض الناس فى حالة الخطبة وبقاء اثنى عشر **رجلا دليل على** جواز الجمعة باقل من أربعين رجلا واحتمال انه – صلى الله عليه وسلم – لم يصل بهم الجمعة وصلى الظهر او انهم رجعوا الى النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد الانفضاض او اجتمع اليه رجال آخرون غيرهم فصلى بهم امر لا يقتضيه سياق القصة ولا دليل عليه ولو كان شيء من الاحتمالات المذكورة لنقل والله تعالى اعلم وليس فى القصة دليل على اشتراط اثنى عشر رجلا كما قال بعضهم كما انه لا دليل فى قصة اسعد بن زرارة انه صلى أول جمعة جمع بأربعين رجلا على اشتراط أربعين رجلا ولا فى صلوته صلى الله عليه وسلم فى بنى سالم بن عمرو بماية رجل على اشتراط الماية والله تعالى اعلم (مسئله) لو شرع الامام الصلاة بعدد ينعقد بهم الجمعة على اختلاف الأقوال فذهب منهم واحد ولم يبق ذلك العدد قال ابو حنيفة رح ان ذهب قبل سجود الامام فى الركعة الاولى بطلت الجمعة ويستانف بالظهر وان ذهب بعد سجوده أتمها جمعة وقال مالك ان انفضوا بعد تمام الركعة بسجدتيها أتمها جمعة وقال احمد ان انفضوا بعد إحرام أتمها جمعة وقال الشافعي رح فى أصح أقواله ان بقاء الأربعين". (١)

(١) التفسير المظهري ٢٩٩/٩

٦٥. ٦٥-"٤- إن عندكم من سلطان بهذا، أي ليس عندكم من حجة **ولا دليل على** صحة قولكم، والدعوى العارية من الدليل باطلة بطلانا مطلقا. «١»

٥- أتقولون على الله مالا تعلمون؟ من إثبات الولد له، والولد يقتضي المجانسة والمشابهة، والله تعالى لا يجانس شيئا، ولا يشابه شيئا. وهذا بالإضافة إلى كونه تأكيدا لما سبق إنكار شديد ووعيد أكيد وتقريع وتوبيخ على من تجرأ بنسبة الولد إلى الله تعالى.

وأما ظهور كون هذا المذهب افتراء وكذبا على الله، فواضح مترتب على بطلان الادعاء بثبوت الولد لله تعالى.

وقد دل قوله تعالى: أتقولون على الله ما لا تعلمون على أن إثبات العقيدة لا سيما فيما يتعلق بإثبات الله الصانع يتطلب دليلا قطعيا يقينا، ولا يقبل فيه التقليد والوراثة ومحاكاة عقائد المسلمين المؤمنين بحق. ودل قوله لا يفلحون على إفلاس الكافر وخسارته المحققة يوم القيامة وعدم نجاته من العذاب.

كذلك دل قوله تعالى: متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ... الآية على أن التمتع في الدنيا قليل وحقير جدا بالنسبة لنعيم الآخرة، وأن مرجع جميع الخلائق إلى الله تعالى، وأن الكفار والمشركين معذبون عذابا شديدا بسبب كفرهم.

---

(١) تفسير الرازي: ١٧/ ١٣٢ وما بعدها.". [1]

٦٦. ٦٦-"٢- تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا أي وأنتم تريدون أن نترك ما وجدنا عليه آباءنا، بهذه الدعوى التي **لا دليل على** صحتها.

٣- فأتونا بسلطان مبين أي فأتونا بأمر خارق نقترحه عليكم، أو بحجة ظاهرة تدل على صحة ادعائكم النبوة، فنحن لا نؤمن إلا بالحسيات، أما خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب، فلا نعقلهما، ولا يصلح دليلا على صحة ما تقولون.

ثم ذكر الله ما رد به الأنبياء على شبهاتهم الثلاث، وهو المصادقة والتسليم للشبهتين الأولى والثانية، وإسناد الأمر إلى الله في الثالثة، فقال: قالت لهم رسلهم.. أي قالت الرسل للأمم: ما نحن إلا بشر مثلكم كما ذكرتم، نأكل ونشرب وننام ونمشي في الأسواق ونبحث عن الرزق، ولكن الله سبحانه

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ١١/٢٢٤

يتفضل على من يشاء من عباده بالرسالة والنبوة: الله أعلم حيث يجعل رسالته [الأنعام ٦/ ١٢٤] وقد من الله علينا بالرسالة.

وأما تقليدكم الآباء لمجرد كونهم آباء فهذا شيء لا يقبله العقل.

وأما طلبكم الحجة والبرهان على صدق رسالتنا، والإتيان بسلطان على وفق ما سألتم، بالرغم من المعجزات التي ظهرت لنا، فأمره إلى الله، ولا نتمكن من الإتيان بسلطان إلا بمشيئة الله وإرادته، ولا نقدر عليه.

وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي على جميع المؤمنين أن يتكلوا على الله في جميع أمورهم، لدفع شر عدوهم، والصبر على معاداتهم.

ثم أكدوا اعتمادهم على الله فقالوا: وما لنا ألا نتوكل.. أي وكيف لا نتوكل على الله الذي هدانا إلى سبيل المعرفة، وأرشدنا إلى طريق النجاة؟! وما يمنعنا من التوكل عليه، وقد هدانا لأقوم الطرق وأوضحها وأبينها.". (١)

٦٧. ٦٧-"المفردات اللغوية:

واذكر في الكتاب مريم

واذكر في القرآن خبر مريم. إذ انتبذت

حين اعتزلت.

مكانا شرقيا

أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار. فاتخذت من دونهم حجابا

أرسلت سترا تستتر به للاغتسال من الحيض، وكانت في العادة تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت، وتعود إليه إذا طهرت، فبينا هي في مغتسلها أتاها جبريل متمثلا بصورة شاب أمرد، سوي الخلق، لتستأنس بكلامه. فأرسلنا إليها روحنا

جبريل. فتمثل لها

بعد لبسها ثيابها. بشرا سويا

تام الخلق. قالت: إني أعوذ بالرحمن منك

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢١٩/١٣

من غاية عفافها. إن كنت تقيا

تتقي الله، وتحتفل بالاستعاذة، فتنتهي عني بتعوذي. وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي فإني عائذة منك، أو فاتعظ بتعويذي، أو فلا تتعرض لي. ويجوز أن يكون للمبالغة، أي إن كنت تقيا متورعا، فإني أعوذ منك، فكيف إذا لم تكن كذلك.

قال: إنما أنا رسول ربك

الذي استعذت به. لأهب لك غلاما زكيا

أي لأكون سببا في هبته بالنفخ في القميص (الدرع) . وزكيا

طاهرا من الذنوب، أو ناميا على الخير والصلاح. ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال من طريق الزواج. بغيا زانية.

قال: كذلك أي الأمر هكذا من خلق غلام منك من غير أب، أو كذلك الأمر حكم ربك، بمجيء الغلام منك، وإن لم يكن لك زوج. هو علي هين أي فإن الأمر على الله يسير سهل. ولنجعله آية للناس على قدرتنا، وهذا معطوف على جملة. هو علي هين التي هي في معنى العلة. ورحمة منا أي ورحمة لهم ببعثته نبيا يهتدون بإرشاده، لمن آمن به.

وكان أمرا مقضيا أي وكان خلقه أمرا مقضيا به في الأزل وفي علم الله، فنفخ جبريل في جيب قميصها، فأحست بالحمل في بطنها مصورا، إذ دخلت النفخة في جوفها، وكانت مدة حملها سبعة أشهر، وقيل: ثمانية، أو تسعة، وقيل: ساعة، كما حملته نبذته، وسنها ثلاث عشرة سنة، وقيل:

عشر سنين، وقد حاضت حيضتين، والأولى أن يكون حملها في المدة المعتادة وهي تسعة أشهر، إذ **لا دليل على** تلك الأقوال.

فانتبذت به مكانا قصيا اعتزلت، وهو في بطنها، مكانا بعيدا من أهلها وراء الجبل.

المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى قصة زكريا عليه السلام، وأنه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا، أردفه بذكر قصة مريم في إنجاب ولدها عيسى عليه السلام من غير أب، وبين القصتين

تناسب وتشابه واضح". (١)

٦٨. ٦٨-"قال ابن عطية: وكانت هذه السيرة موروثة عند العرب عن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فإنه كان لا يأكل وحده. وكان بعض العرب إذا كان له ضيف لا يأكل إلا أن يأكل مع ضيفه فنزلت الآية مبينة سنة الأكل، ومذهبة كل ما خالفها من سيرة العرب، ومبيحة من أكل المنفرد ما كان عند العرب محرما، نحت به نحو كرم الخلق، فأفرطت في إلزامه، وإن إحضار الأكيل لحسن، ولكن بألا يحرم الانفراد.

٤- يسن السلام عند الدخول على الأهل والأقارب في البيوت المسكونة، وكذا غير المسكونة، فيسلم المرء فيها على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وكذا المساجد، فيسلم على من كان فيها، فإن لم يكن في المساجد أحد، فالسلام أن يقول المرء: السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال إبراهيم النخعي والحسن البصري عن آية: فإذا دخلتم بيوتا أراد المساجد.

قال ابن العربي: «القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، **ولا دليل على** التخصيص» وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان لغيره أو لنفسه، فإذا دخل الإنسان بيتا لغيره استأذن كما تقدم، فإذا دخل بيتا لنفسه سلم، كما ورد في الخبر المتقدم عن ابن عمر، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فإن كان فيه أهله وخدمه فليقل: السلام عليكم. وإن كان مسجدا فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

وقال القشيري في قوله: فإذا دخلتم بيوتا: والأوجه أن يقال: إن هذا عام في دخول كل بيت، فإن كان فيه ساكن مسلم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإن لم يكن فيه ساكن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإن كان في البيت من ليس بمسلم قال: السلام على من اتبع الهدى، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.". (٢)

٦٩. ٦٩-"ومدة الرضاع الكاملة حولان كاملان عند اختلاف الزوجين في تحديد المدة القصوى التي تجب فيها أجرة الرضاع. ويجوز اتفاقهما على أقل من ذلك من غير مضارة الولد. وقوله تعالى:

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٦٧/١٦

(٢) التفسير المنير للزحيلي ٣٠٩/١٨

فإن أرادا **فصالا دليل على** جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة الله تعالى للوالدين التشاور فيما يؤدي إلى صلاح الصغير، وذلك موقوف على غالب ظنونهما، لا على الحقيقة واليقين. وإذ أرشد القرآن إلى التشاور في أدنى الأعمال لتربية الولد، فهو مطلوب بالأولى في أجل الأعمال خطرا وأعظمها فائدة، وهي مشورة الحكام في مصالح الأمة، لذا أمر الله رسوله بمشاورة أصحابه قائلا: وشاورهم في الأمر [آل عمران ٣/ ١٥٩] ومدح المؤمنين بقوله: وأمرهم شورى بينهم [الشورى ٤٢/ ٣٨] .

ودل قوله سبحانه: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم على جواز اتخاذ الظئر (أي استئجار المرضع) إذا اتفق الآباء والأمهات على ذلك، ويجب حينئذ تسليم الأجرة إلى المرضعة الظئر لقوله تعالى: إذا سلمتم ما آتيتم..

والأصل أن كل أم يلزمها رضاع ولدها، كما أخبر الله عز وجل، فأمر الزوجات بإرضاع أولادهن، وأوجب لهن على الأزواج النفقة والكسوة والزوجية قائمة، فلو كان الرضاع على الأب لذكره مع ما ذكر من رزقهن وكسوتهن، إلا أن مالكا رحمه الله دون فقهاء الأمصار استثنى الحسيبة كما بينا، فقال: لا يلزمها رضاعه، فأخرجها من الآية، وخصصها بأصل من أصول الفقه، وهو العمل بالعادة: وهو ما كان عليه عرب الجاهلية، فجاء الإسلام ولم يغيره، واستمر ذوو الثروة والأحساب على تفريغ الأمهات للمتعة، بدفع الرضعاء للمراضع إلى زمن مالك فقال به، وكذا إلى زماننا «١» .

وجاء الأمر الإلهي بإرضاع الأمهات أولادهن على مقتضى الفطرة، فأفضل

---

(١) تفسير القرطبي: ٣/ ١٧٢". (١)

٧٠. ٧٠-"عند الله وجيها

[الأحزاب ٣٣/ ٦٩] . وقال السدي: إن نبيين وآيتين أقوى من نبي واحد وآية واحدة.

بآياتنا، أنتما ومن اتبعكما الغالبون أي اذهبا بآياتنا، أو نجعل لكما سلطانا، أي نسلطكما بآياتنا، أو لا يصلون إليكما أي تمتنعون منهم بآياتنا، أنت يا موسى وأخوك ومن آمن بكما وتبعكما في رسالتكما الغالبون بالحجة والبرهان لأن حزب الله دائما هم الغالبون.

وتعليق الآيات بالسلطان يجعل انقلاب العصا حية معجزة، ومانعا أيضا من وصول ضرر فرعون إلى

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢/٣٦٦

موسى وهارون عليهما السلام، ولذا يجوز الوقوف على إليكما ويكون في الكلام تقديم وتأخير، كما يجوز الوصل.

ثم أبان تعالى موقف فرعون من محاجة موسى وهارون فقال: فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات، قالوا: ما هذا إلا سحر مفترى، وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين أي حين عرض موسى وهارون على فرعون وملئه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة الواضحة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توحيده واتباع أوامره، قالوا: ما هذا إلا سحر مفتعل مصنوع، مكذوب موضوع، وما سمعنا بما تدعونا إليه من عبادة الله وحده لا شريك له في أيام الأسلاف، وما رأينا أحدا من آبائنا على هذا الدين، ولم نر الناس إلا يشركون مع الله آلهة أخرى.

وهذا مجرد تمسك بالتقليد الذي **لا دليل على** صحة العمل به. فأجابهم موسى:

وقال موسى: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده، ومن تكون له عاقبة الدار، إنه لا يفلح الظالمون أي أجاب موسى فرعون وملأه بقوله: ربي الله الذي لا إله غيره الذي خلق كل شيء ويعلم غيب السموات والأرض أعلم مني ومنكم". (١)

٧١. ٧١-"الحديبية. ذرونا اتركونا. نتبعكم لنأخذ منها. يريدون أن يبدلوا كلام الله ويقرأ: كلم لله، أي يريدون أن يغيروا كلام الله، وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم عن مغانم مكة مغانم خيبر، فهم يريدون الشركة في المغانم دون أن ينصروا دين الله تعالى.

لن تتبعونا نفي في معنى النهي. كذلكم قال الله من قبل أي مثل ذلك قال الله من قبل استعدادهم للخروج إلى خيبر، وقبل عودنا. بل تحسدوننا أي تحسدوننا أن نصيب معكم شيئا من الغنائم. لا يفقهون لا يفهمون. إلا قليلا إلا فهما قليلا وهو فهمهم لأمور الدنيا دون الدين. ومعنى الإضراب الأول. بل تحسدوننا رد منهم أن يكون حكم الله ألا يتبعوهم، وإثبات الحسد، والثاني: بل كانوا لا يفقهون رد من الله تعالى لذلك، وإثبات لجهلهم بأمور الدين.

قل للمخلفين من الأعراب كرر ذكرهم بهذا الوصف مبالغة في الذم وإشعارا بشناعة التخلف. ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد أي أصحاب بأس شديد أي قوة في القتال، وهم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، أو غيرهم من ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فارس والروم. **ولا دليل على** التعيين.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ١٠٣/٢٠

تقاتلونهم أو يسلمون أي يكون أحد الأمرين: إما المقاتلة أو الإسلام، لا غير.
فإن تطيعوا في قتالهم يؤتكم الله أجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا، والجنة في الآخرة. وإن تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية. أليما مؤلما، لعظم جرمكم.
ليس على الأعمى حرج.. أي إثم وذنب في ترك الجهاد، ويلاحظ أنه تعالى لما أوعد على التخلف، نفى الحرج عن أصحاب الأعذار (الأعمى والأعرج والمريض) استثناء لهم من الوعيد.
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فصل الوعد وأجمل في الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته. ومن يتول يعذبه عذابا أليما هذا تعميم بعد تفصيل الوعد، إذ الترهيب هنا أنفع من الترغيب.

سبب نزول الآية (١٧) :
ليس على الأعمى..: قال ابن عباس: لما نزلت: وإن تتولوا كما توليتم من قبل.. الآية، قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله: ليس على الأعمى حرج ...". [(١)]

٧٢. ٧٢-"كذلك الخروج تشبيه مرسل مجمل، شبه إحياء الموتى بإخراج النبات من الأرض الميتة.

المفردات اللغوية:
ق حرف هجاء، يقرأ هكذا: قاف، بإسكان القاف. للتنبيه على إعجاز القرآن وعلى خطورة ما يتلى بعده من الأحكام والأحداث. قال أبو حيان: ق: حرف هجاء، وقد اختلف المفسرون في مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة، **لا دليل على** صحة شيء منها، فاطرحت نقلها في كتابي هذا.
والقرآن المجيد قسم من الله تعالى بالقرآن ذي المجد والشرف على سائر الكتب، ولكثرة ما فيه من الخير الدنيوي والأخروي، قال الراغب: المجد: السعة في الكرم. بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، وهو أن ينذرهم ويخوفهم بالنار بعد بعث رسول من أنفسهم ومن جنسهم. فقال الكافرون: هذا شيء عجيب أي هذا الإنذار، وهو حكاية لتعجبهم، قال البيضاوي: وهذا إشارة إلى اختيار الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة، وإضمار ذكرهم، ثم تسجيل الكفر

---
(١) التفسير المنير للزحيلي ١٦٨/٢٦

عليهم بذلك.
أإذا متنا أي أنبعث أو نرجع إذا متنا. ذلك رجع بعيد أي ذلك البعث بعث أو رجوع بعد الموت في غاية البعد عن التصديق والإمكان والعادة. قد علمنا ما تنقص الأرض منهم تأكل من أجسادهم بعد موتهم، وهو رد لاستبعادهم. وعندنا كتاب حفيظ هو اللوح المحفوظ، والحافظ لجميع الأشياء المقدرة وتفاصيلها كلها، وهو تأكيد لعلمه بما يحدث.
بل كذبوا بالحق أي بالنبوة الثابتة بالمعجزات وبالقرآن. فهم في شأن القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم في أمر مريج مضطرب، وهو قولهم تارة: إنه شاعر وشعر، وتارة: إنه ساحر وسحر، وتارة: إنه كاهن وكهانة.
أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث إلى السماء فوقهم إلى آثار قدرة الله تعالى في خلق العالم. كيف بنيناها رفعناها بلا عمد. وزيناها بالكواكب. وما لها من فروج شقوق وفتوق تعيبها.
والأرض مددناها بسطناها أي بحسب نظر الإنسان الجزئي إلى الموقع الجغرافي الذي يعيش فيه، لا بالنظرة الكلية الشاملة للأرض، فهي كروية، كما أثبت العلم القديم والحديث، وبخاصة بعد غزو الفضاء وإطلاق الصواريخ ورؤية رواد الفضاء أنها كرة معلقة في هذا الكون.
رواسي أي جبالا ثوابت لحفظ الأرض من الاضطراب. زوج صنف من النبات.
بهيج حسن مبهج.". (١)

٧٣. ٧٣-"رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الكتاب والفسق، فإنه يجيء من بعدي أقوام يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم، وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»
فهذا نعي على الترجيع بالقرآن ترجيع الغناء والنوح.
ثانيا-
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أشراط الساعة، وذكر أشياء، منها: أن يتخذ القرآن مزامير، وقال: «يقدمون أحدهم، ليس بأقرئهم ولا أفضلهم ليغنيهم غناء» .
ثالثا-

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢٦/٢٨٠

أخرج الدارقطني عن ابن عباس قال: كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الأذان سهل سمح، فإن كان أذانك سهلا سمحا، وإلا فلا تؤذن»

فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرب المؤذن في أذانه، مما يدل على كراهة التطريب في القراءة بالأولى.

رابعا- أنكر أنس بن مالك على زياد النميري حينما قرأ ورفع صوته وطرب، وقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون.

خامسا- إن التغني والتطريب يؤدي إلى أن يزاد على القرآن ما ليس منه لأنه يقتضي مد ما ليس بممدود، وهمز ما ليس بمهموز، وجعل الحرف الواحد حروفا كثيرة، وهو لا يجوز. كما أن التلحين يلهي النفس بنغمات الصوت، ويصرفها عن تدبر معاني القرآن.

والحق التوسط في الأمر، فإذا كان التلحين والتطريب يغير من ألفاظ القرآن، ويخل بطرق الأداء، أو كان تكلفا وتصنعا يشبه توقيعات الموسيقى، فهو ممنوع وحرام. أما إذا كان تحبيرا وترقيقا وتحزينا يؤدي إلى اتعاظ القارئ، وكمال تأثره بمعاني القرآن، **فلا دليل على** المنع، بل الأدلة تجيزه.". [1]

٧٤. ٧٤-"والحق أن هذا الآية الكريمة على رأس الآيات التي تخرس أصحاب الأقوال التي **لا دليل على** صحتها، وتعلم الناس مناهج البحث الصحيح الذي يوصلهم إلى الحق والعدل..

ثم بين- سبحانه- أن هؤلاء المشركين قد بلغوا الذروة في ضلالهم وجهلهم فقال: ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة.

أى: لا أحد أشد ضلالا وجهلا من هؤلاء المشركين الذين يعبدون من دون الله- تعالى- آلهة، هذه الآلهة لا تسمع كلامهم، ولا تعقل نداءهم، ولا تشعر بعبادتهم لها منذ أن عبدوها، إلى أن تقوم الساعة.

فإذا ما قامت الساعة، تحولت هذه الآلهة- بجانب عدم شعورها بشيء إلى عدوة لهؤلاء العابدين لها. قال بعض العلماء: وفي قوله: إلى يوم القيامة نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المغيا عندها. لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية، لأنهم في يوم القيامة لا يستجيبون لهم.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢٩/١٩٨

فالوجه- والله أعلم- أنها من الغايات المشعرة، بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها، إلا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعا واحدا، لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة، بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم «١» .

ثم أكد- سبحانه- عدم إحساس الأصنام بعابديها فقال: وهم عن دعائهم غافلون.

أى: وهذه الأصنام عن عبادة عابديها غافلة، لا تدرك شيئا، ولا تحس بمن حولها.

قال صاحب الكشاف: وإنما قيل «من» و «هم» لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة.

ويجوز أن يريد: كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان «٢» .

ثم بين ما يكون بين العابدين والمعبودين من عداوة يوم القيامة فقال: وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين.

---

(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢٩٥.

(٢) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢٩٦.". [1]

٧٥. ٧٥-"ويرى بعض آخر من العلماء أن المراد بهذا الحق ما فصلته السنة النبوية من الزكاة المفروضة وهذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكية.

ويبدو لنا أن الرأى الأول أرجح، لأنه **لا دليل على** أن هذه الآية مدنية ولأن فرضية الزكاة لا تمنع إعطاء الصدقات، وفي الأمر بإيتاء هذا الحق يوم الحصاد، مبالغة في العزم على المبادرة إليه.

والمعنى: اعزموا على إيتاء هذا الحق واقصدوه، واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء.

وقيل: إنما ذكر وقت الحصاد تخفيفا على أصحاب الزروع حتى لا يحسب عليهم ما أكل قبله.

ثم ختمت الآية بالنهى عن الإسراف فقالت: ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. أى لا تسرفوا في أكلكم قبل الحصاد ولا في صدقاتكم ولا في أى شأن من شئونكم، لأنه- سبحانه- لا يحب المسرفين.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ١٨١/١٣

وقال ابن جريج، نزلت في ثابت بن قيس، قطع نخلا له فقال. لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته، فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة، فنزلت هذه الآية.

وقال عطاء، نهوا عن السرف في كل شيء.

وقال إياس بن معاوية، ما جاوزت به أمر الله فهو سرف.

ثم بين- سبحانه- حال الأنعام. وأبطل ما تقولوه عليه في شأنها بالتحريم والتحليل فقال.

ومن الأنعام حمولة وفرشا.

الحمولة، هي الأنعام الكبار الصالحة للحمل. والفرش هي صغارها الدانية من الأرض، مثل الفرش المفروش عليها.

وقيل الحمولة كل ما حمل عليه من إبل وبقر وبغل وحمار. والفرش ما اتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش.

أى: وأنشأ لكم- سبحانه- من الأنعام حمولة وهي ما تحملون عليه أثقالكم، كما أنشأ لكم منها فرشا وهي صغارها التي تفرش للذبائح من الضأن والمعز والإبل والبقر.

والجملة معطوفة على جنات. والجهة الجامعة بينهما إباحة الانتفاع بهما.

وقوله كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.

أى: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار والزروع والأنعام وغيرها، وانتفعوا منها بسائر أنواع". (١)

٧٦. ٧٦-"العذاب، أما آباؤهم وأصحاب الجاه فيهم، فقد انحازوا إلى فرعون طمعا في عطائه، وخوفا من بطشه بهم.

ويرى بعض المفسرين أن الضمير في قوله من قومه يعود إلى فرعون لا إلى موسى.

فيكون المعنى: فما آمن لموسى إلا عدد قليل من شباب قوم فرعون.

قال ابن كثير ما ملخصه مرجحا هذا الرأى: «يخبر الله- تعالى- أنه لم يؤمن بموسى- عليه السلام- مع ما جاء به من الآيات والحجج، إلا قليل من قوم فرعون، من الذرية- وهم الشباب-، على وجل وخوف منه ومن ملئه.

قال العوفى عن ابن عباس: «إن الذرية التي آمنت لموسى من قوم فرعون منهم:

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ١٩٦/٥

امرأته، ومؤمن آل فرعون، وخازنه، وامرأة خازنه» .

ثم قال: واختار ابن جرير قول مجاهد في الذرية، أنها من بني إسرائيل، لا من قوم فرعون. لعود الضمير على أقرب مذكور.

وفي هذا نظر، لأن من المعروف أن بني إسرائيل كلهم آمنوا بموسى. واستبشروا به، فقد كانوا يعرفون نعته وصفته والبشارة به.

وإذا تقرر هذا فكيف يكون المراد إلا ذرية من قوم موسى وهم بنو إسرائيل؟» «١» .

والذي نراه أن ما اختاره ابن جرير من عودة الضمير إلى موسى- عليه السلام- أرجح، لأن هناك نوع خفاء في إطلاق كلمة الذرية على من آمن من قوم فرعون، ومنهم زوجته، وامرأة خازنه.

ولأنه لا دليل على أن بني إسرائيل كلهم قد آمنوا بموسى، بل الحق أن منهم من آمن به ومنهم من كفر به، كقارون والسامري وغيرهما.

ولأن رجوع الضمير إلى موسى- عليه السلام- هو الظاهر المتبادر من الآية، لأنه أقرب مذكور، وليس هناك ما يدعو إلى صرف الآية الكريمة عن هذا الظاهر.

ورحم الله ابن جرير فقد قال في ترجيحه لما ذهب إليه من عودة الضمير إلى موسى- عليه السلام- ما ملخصه:

وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية، القول الذي ذكرته عن مجاهد وهو أن الذرية في

---

(١) تفسير أبن كثير ج ٤ ص ٣٢٣.". (١)

٧٧. ٧٧-"الزمان الذي استغرقه الطوفان فوق الأرض.

وما ورد في ذلك من أقوال وأخبار، أكثرها من الإسرائيليات التي لا يؤيدها دليل من الشرع أو العقل.

ومن المسائل التي تكلم عنها كثير من العلماء، وذهبوا بشأنها مذاهب شتى مسألة الطوفان.

وقد أصدر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده- رحمه الله- فتوى في هذا الشأن، ملخصها كما يقول صاحب المنار: أن ظواهر القرآن والأحاديث أن الطوفان كان عاما شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم فيجب اعتقاده، ولكنه لا يقتضى أن يكون عاما للأرض، إذ لا دليل على أنهم كانوا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ١١٨/٧

يملؤون الأرض.

وهذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن، ولذلك لم يبينها بنص قطعى، فنحن نقول بما تقدم إنه ظاهر النصوص، ولا نتخذه عقيدة دينية قطعية، فإن أثبت العلم خلافه لا يضرنا، لأنه لا ينقض نصا قطعيا عندنا) «١» .

٦- أن سنة الله- تعالى- في خلقه لا تتخلف ولا تتبدل وهي أن العاقبة للمتقين، مهما طال الصراع بين الحق والباطل، وبين الأخيار والأشرار.

فلقد لبث نوح- عليه السلام- في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وقد لقى خلال تلك المدة الطويلة ما لقى من الأذى ... ولكن كانت النتيجة في النهاية نجاته ومن معه من المؤمنين، وإغراق أعدائه بالطوفان العظيم.

ولقد أفاض صاحب الظلال- رحمه الله- وهو يتحدث عن هذا المعنى فقال ما ملخصه:

«ثم نقف الوقفة الأخيرة مع قصة نوح، لنرى قيمة الحفنة المسلمة في ميزان الله- سبحانه-.

إن حفنة من المسلمين من أتباع نوح- عليه السلام- تذكر بعض الروايات، أنهم اثنا عشر، هم كانوا حصيلة دعوة نوح في ألف سنة إلا خمسين عاما.

إن هذه الحفنة- وهي ثمرة ذلك العمر الطويل والجهد الطويل-، قد استحقت أن يغير الله لها المألوف من ظواهر هذا الكون، وأن يجرى لها ذلك الطوفان الذي يغمر كل شيء ...

وأن يجعل هذه الحفنة وحدها هي وارثة الأرض بعد ذلك، وبذرة العمران فيها.

وهذه هي عبرة الحادث الكونى العظيم.

إنه لا ينبغي لأحد يواجه الجاهلية بالإسلام، أن يظن أن الله تاركه للجاهلية وهو يدعو إلى

---

(١) تفسير المنار ج ١٢ ص ١٠٨.". (١)

٧٨. ٧٨-"من قضائه، لا يعارض ذلك شيء، ولا يحيله عن مجراه، إنهم سيقرون بلا تردد بأن المالك المدبر للكون هو الله، لا غيره، فقل لهم مستغربا موبخا: فأنى تسحرون أي فكيف تخدعون عن توحيد الله وطاعته؟! والخادع: هو الشيطان والهوى.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي ٢١٩/٧

والواقع: ليس الأمر كما يقولون من نسبتهم إلى الله تعالى ما لا يليق به، فلقد جئناهم بالقول الحق، والدليل القاطع، والإخبار الصادق الثابت بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الدليل الصحيح على ذلك كله، ولكنهم مع كل ذلك لكاذبون فيما ذكروا لله تعالى من الصاحبة والولد والشريك، وفي إنكار الحق، وفي عبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم على مزاعمهم الباطلة وعقائدهم الملوثة، إنهم حيارى تائهون، وجهلة بعيدون عن المنطق والعقل، وذلك كما جاء في آية أخرى: ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٧) [المؤمنون: ٢٣/ ١١٧] . فهؤلاء المشركون **لا دليل على** صحة عقائدهم، وإنما هم قوم مقلدون عن غير وعي ورشد، آباءهم وأسلافهم الضالين.

نفي اتخاذ الله ولدا

وقع العقل الوثني بسبب الوثنية في ألوان مختلفة من الخرافات والأوهام، ومن أخطرها نسبة الولد والصاحبة والشريك لله، وهذا فضلا عن كونه يتنافى مع حقيقة الألوهية والعقل والحكمة، هو مدعاة للفساد والخراب في العالم، لأن سلطان الألوهية يضعف ويفسد، وتنهار معه النظم الكبرى، وتتداعى المشكلات المدمرة إذا قلنا بتعدد الآلهة، لذا كان جوهر الرسالات الإلهية والنبوات والكتب السماوية إقرار مبدأ توحيد الإله، ورفض كل أنواع تعدد الآلهة ومزاعم الوثنية، قال الله تعالى معلنا مبدأ وحدة الألوهية والربوبية:". (١)

٧٩. ٧٩-"«١» «٢» «٣» «٤» [الروم: ٣٠/ ٣٣- ٣٧] .

هذا لوم وتقريع لفئتين من الناس: عبدة الأصنام المشركين بالله تعالى غيره، وبعض الجاحدين الذين يبتغون من وراء عبادة الله تحقيق المنافع ومكاسب الدنيا، فإن حصلوا على مبتغاهم اطمأنوا، وإذا حرموا بعض الخيرات، تبرموا وسخطوا.

إن الفئة الأولى: وهم المشركون الوثنيون كسائر البشر، متى مسهم ضر (أي شدة وبلاء) دعوا الله سبحانه، راجعين إليه دون سواه، خاضعين لسلطانه، وتركوا الأصنام مطروحة، فإذا أذاقهم الله رحمته، أي أصابهم أمره بها، والذوق هنا مستعار لإيصال النعمة والنجاء من الشدة، عادوا للشرك بالله، وعبدوا معه غيره من الأوثان والأصنام. وهذا يقتضي العجب، ويستدعي اللوم.

ويلحق بهؤلاء الانتهازيين النفعيين بعض المؤمنين، إذا جاءهم فرح بعد شدة، علقوا ذلك بمخلوق، أو

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ٢/١٧١٤

بحذق آرائهم ومهاراتهم، أو بغير ذلك، وهذا شرك مجازا، لأن فيه قلة شكر لله تعالى.
وتكون عاقبة هؤلاء المتناقضين الوقوع في الكفر وجحود فضل الإله وإحسانه، فاستحقوا التهديد، ويقال لهم: فتمتعوا فسوف تعلمون أي استمتعوا أيها المشركون بمتاع الدنيا ورخائها، فسوف تعلمون عذابي في الآخرة على كفركم في الدنيا.
بل في الواقع **لا دليل على** صحة ما أنتم عليه من الضلال، فهل لكم سلطان، أي

---

(١) كتابا وحجة.
(٢) بطروا وأشروا.
(٣) ييأسون من رحمة الله. [.....]
(٤) يضيقه على من يشاء بحسب حكمته.". (١)

٨٠. ٨٠-"إنكار البعث والرد على المشركين
المشكلة الحقيقية في كفار قريش بعد وثنيتهم: أنهم كانوا منكري البعث، فلا حياة ولا وجود بعد الموت في زعمهم، **ولا دليل على** إمكان الإعادة، فتوالت الردود عليهم في القرآن الكريم، وتتابعت التنبيهات والتحذيرات، وألوان الوعيد والتهديد، ومن أخطرها: تحقق العذاب فيهم في نيران جهنم، وتناولهم أشد أنواع الشجر مرارة: وهو شجر الزقوم، فتغلي به بطونهم، تنهال على رؤوسهم حمم النار، فتصهرهم، ويتعرضون لكل ألوان الإهانة والذل فتتركهم أذلة مهانين منبوذين، قال الله تعالى واصفا المشكلة وأسبابها:
[سورة الدخان (٤٤) : الآيات ٣٤ الى ٥٠]
إن هؤلاء ليقولون (٣٤) إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين (٣٥) فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين (٣٦) أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين (٣٧) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين (٣٨)
ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٩) إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين (٤٠) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون (٤١) إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم (٤٢) إن شجرة

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ٣/٢٠٠٠

الزقوم (٤٣)

طعام الأثيم (٤٤) كالمهل يغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم (٤٧) ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨)

ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون (٥٠)

«١» «٢» «٣» «٤» «٥» «٦» «٧» «٨» [الدخان: ٤٤/ ٣٤- ٥٠] .

تشير هذه الآيات في مطلعها إلى قريش إشارة تحقير، فهؤلاء كفار مكة يقولون ما

---

(١) أي بمبعوثين أحياء.

(٢) ملك حميري في اليمن والشحر وحضرموت.

(٣) القوي الغالب.

(٤) هي الشجرة الملعونة في قعر جهنم.

(٥) عكر الزيت والقطران.

(٦) جروه وسوقوه بعنف وشدة.

(٧) وسط الجحيم.

(٨) تشكون.". (١)

٨١. ٨١-"وهي حينئذ على ظرفيتها خلافا لمن زعم أنها حينئذ حرف جر، وإن كان النحاس ادعى الإجماع في ذلك، وهي من الأسماء اللازمة للإضافة، وقد تقطع لفظا فتنتصب حالا غالبا، تقول: جاء الزيدان معا أي مصطحبين، وقد تقع خبرا، قال الشاعر:

١٩٨ - حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعباكما معا

فشعباكما مبتدأ، و» معا «خبره، على أنه يحتمل أن يكون الخبر محذوفا، و» معا «حالا. واختلفوا في» مع «حال قطعها عن الإضافة: هل هي من باب المقصور نحو: عصا ورحا، أو المنقوص نحو: يد ودم؟ قولان، الأول قول يونس والأخفش، والثاني قول الخليل وسيبويه، وتظهر فائدة ذلك إذا سمينا به فعلى الأول تقول: جاءني معا ورأيت معا ومررت بمعا، وعلى الثاني: جاءني مع ورأيت معا ومررت

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي ٢٣٨٥/٣

بمع كيد، **ولا دليل على** القول الأول في قوله:» وشعباكما معا لأن معا منصوب على الظرف النائب عن الخبر، نحو: «زيد عندك» وفيها كلام أطول من هذا، تركته إيثارا للاختصار.

قوله: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ كقوله: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ [البقرة: ١١] ، وهذه الجملة الظاهر أنها لا محل لها من الإعراب لاستئنافها إذ هي جواب لرؤسائهم، كأنهم لما قالوا لهم: «إنا معكم» توجه عليهم سؤال منهم، وهو فما بالكم مع المؤمنين تظاهرونهم على دينهم؟ فأجابوهم بهذه الجملة، وقيل: محلها النصب، لأنها بدل من قوله تعالى: «إنا معكم» . وقياس تخفيف همزة «مستهزئون» ونحوه أن تجعل بين بين، أي بين الهمزة والحرف الذي". [1]

٨٢. ٨٢-"انتفاء الاحتياج على حد سواء، لأنه في الأول لامتناع الدخول، وفي الثاني لكثرته لا لامتناعه «. قلت: أما امتناعها في المثال الأول فلأن النحويين نصوا على أن الجملة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها، والعلة فيه المشابهة اللفظية، ولأن واو الحال في الأصل عاطفة.

ثم قال الشيخ:» وأما قول الزمخشري فالصحيح إلى آخره فتعليله ليس بصحيح، لأن واو الحال ليست بحرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرفي عطف؛ لأنها لو كانت حرف عطف للزم أن يكون ما قبلها حالا حتى تعطف حالا على حال، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون **حالا دليل على** أنها ليست واو عطف ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول: «جاء زيد والشمس طالعة» فجاء زيد ليس بحال فتعطف عليها جملة حال، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال، وهي قسم من أقسام الواو، كما تأتي للقسم وليست فيه للعطف كما إذا قلت: «والله ليخرجن» . قلت: أبو القاسم لم يدع في واو الحال أنها عاطفة، بل يدعي أن أصلها العطف، ويدل على ذلك قوله: استعيرت للوصل، فلو كانت عاطفة على حالها لما قال: استعيرت، فدل قوله ذلك على أنها خرجت عن العطف واستعملت لمعنى آخر، لكنها أعطيت حكم أصلها في امتناع مجامعها لعاطف آخر. وأما تسميتها حرف عطف فباعتبار أصلها، ونظير ذلك واو «مع» فإنهم نصوا على أن أصلها واو العطف، ثم استعملت في

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١/١٤٧

المعية، فكذلك واو الحال، لا امتناع أن يكون أصلها واو العطف/.". [١]

٨٣. ٨٣-"كانت «تعلمون» متعدية لاثنين و «من» موصولة كانت في موضع المفعول الأول، والثاني محذوف. قال ابن عطية: «وجائز أن تكون المتعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد» وهذه العبارة ليست جيدة؛ لأن الاقتصار في هذا الباب على أحد المفعولين لا يجوز؛ لما تقرر غير مرة من أنهما مبتدأ وخبر في الأصل، وأما حذف الاختصار فهو ممتنع أيضا، إذ **لا دليل على** ذلك. وإن كانت متعدية لواحد و «من» موصولة فأمرها واضح.

وحكى الزهراوي: «ويحل» بضم الحاء بمعنى يجب.

و «التنور» معروف. وقيل: هو وجه الأرض. وهل أل فيه للعهد أو للجنس؟ ووزن تنور قيل: تفعول من لفظ النور فقلبت الواو الأولى همزة لانضمامها، ثم حذفت تخفيفا، ثم شددوا النون كالعوض عن المحذوف، ويعزى هذا لثعلب. وقيل: وزنه فعول ويعزى لأبي علي الفارسي. وقيل: هو أعجمي وعلى هذا فلا اشتقاق له. والمشهور أنه مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون.". [٢]

٨٤. ٨٤-"والعامة على كسر همزة» إما «وهي المرادفة ل» أو «وتقدم خلاف النحويين فيها. ونقل مكي عن الكوفيين أنها هنا» إن «الشرطية زيدت بعدها» ما «ثم قال:» وهذا لا يجيزه البصريون؛ لأن «إن» الشرطية لا تدخل على الأسماء، إلا أن يضمر فعل نحو: ﴿وإن أحد﴾ [التوبة: ٦] . ولا يصح إضمار الفعل هنا؛ لأنه كان يلزم رفع «شاكرا» وأيضا فإنه **لا دليل على** الفعل «انتهى. قلت: لا نسلم أنه يلزم رفع» شاكرا «مع إضمار الفعل، ويمكن أن يضمر فعل ينصب» شاكرا «تقديره:» إن خلقناه شاكرا فشكور، وإن خلقناه كافرا فكفور.

وقرأ أبو السمال وأبو العجاج بفتحها. وفيها وجهان، أحدهما: أنها العاطفة، وإنما لغة بعضهم فتح همزتها، وأنشدوا على ذلك:

٤٤٣٧ - يلفحها أما شمال عرية ... وأما صبا جنح العشي هبوب". [٣]

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٥/٢٥١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٦/٣٢٣

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٠/٥٩٥

٨٥. ٨٥-"الأرض السفلى فكيف تكون في السماء؟ أجيب: بأنه يحتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بما رأى.

وقوله: إذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى، ففيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على حال الكافر منهم وقوله في إدريس مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قد اتفق المؤرخون أنه هو أخنوخ جد نوح فيكون جد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن إبراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم وإبراهيم؟ وأجيب: بأنه قيل إن إدريس المذكور هنا هو إلياس وهو من ذرية إبراهيم فليس هو جد نوح قاله القاضي عياض. وقال النووي: ليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريس أبا لنبينا صلى الله عليه وسلم وأن قوله: الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وإن كان ابنا لأن الأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة انتهى. وإنما أطلت في بيان ذلك لأن الكلام مع الأحبة يحلو ولولا خوف الملل ما اقتصرت على ذلك. فقد قال بعض المفسرين لا أعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الأنبياء ما تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لأولي الألباب. ولما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات في هذا الوقت اليسير أتبعه ما منح في السير من مصر إلى الأرض المقدسة من الآيات في مدد طوال موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الأنبياء بركة على هذه الأمة ليلة الإسراء لما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إليه من مراجعة الله تعالى في
تخفيف

الصلاة حتى رجعت من خمسين إلى خمس مع أجر خمسين فقال: ﴿وآتينا﴾ أي: بعظمتنا ﴿موسى الكتاب﴾ أي: التوراة ﴿وجعلناه﴾ أي: الكتاب بما لنا من العظمة ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ بالحمل على العدل في التوحيد والأحكام وأسرينا بموسى عليه السلام وبقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج إلا المتقين الموفين بالعهد فقد بان الفضل بين الإسراءين كما بان الفضل بين الكتابين، فذكر الإسراء **أولا دليل على** حذف مثله أولا فالآية من الاحتباك ثم نبه على أن المراد من ذلك كلمة التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله تعالى: ﴿أن

لا﴾ أي: لئلا ﴿يتخذوا﴾ على قراءة أبي عمرو بالياء على الغيبة، وقرأ غيره بالتاء على أن لا تتخذوا كقولك كتبت إليه أن أفعل كذا. ﴿من دوني وكيلا﴾ أي: ربا تكلون إليه أموركم، وذلك هو التوحيد فلا معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا نعمة أعظم من أن يصير المرء غريقا في بحر التوحيد وأن لا يعول في أمر من الأمور إلا على الله تعالى، فإن نطق نطق بذكر الله، وإن تفكر تفكر في دلائل تنزيه الله وإن طلب طلب من الله، فيكون كله لله وبالله وإلى الله. وقوله تعالى:

﴿ذرية﴾ نصب على الاختصاص في قراءة أبي عمرو وعلى النداء عند الباقين أي: يا ذرية ﴿من حملنا﴾ أي: في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الماء الذي طبق ما تحت أديم السماء ونبه تعالى على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى: ﴿مع نوح﴾ ففي ذلك تذكير بإنعام الله تعالى". (١)

٨٦. ٨٦-"وإنكارا عليهم ﴿أشهدوا﴾ أي: أحضروا ﴿خلقهم﴾ أي: خلقي إياهم فشاهدوهم إناثا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة، وقرأ نافع بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية مضمومة مسهلة كالواو وسكون الشين، وأدخل قالون بينهما ألفا ولم يدخل ورش والباقون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح الشين.

﴿ستكتب﴾ بكتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به ﴿شهادتهم﴾ أي: قولهم فيهم أنهم إناث الذي لا ينبغي أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة فهو قول ركيك سخيف ضعيف كما أشار إليه التأنيث ﴿ويسألون﴾ عنها عند الرجوع إلينا، قال الكلبي ومقاتل: «لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما يدريكم أنهم إناث؟ قالوا: سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فقال تعالى ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ عنها في الآخرة هذا يدل على أن القول بغير دليل منكر وأن التقليد حرام يوجب الذم العظيم قال المحققون: هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه؛ أولها: إثبات الولد ثانيها: أن ذلك الولد بنت ثالثها: الحكم على الملائكة بالأنوثة.

تنبيه: قال البقاعي: يجوز أن يكون في السين استعطاف التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به فإنه قد روى أبو أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٢/٢٨١

يسبح الله أو يستغفر» . ثم نبه سبحانه على أنهم عبدوهم مع ادعاء الأنوثة فيهم فقال تعالى معجبا منهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم وهو من أوهى الشبه:

﴿وقالوا﴾ أي: بعد عبادتهم لهم ونهيهم عن عبادة غير الله تعالى ﴿لو شاء الرحمن﴾ أي: الذي له عموم الرحمة ﴿ما عبدناهم﴾ أي: الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها ولولا أنه راض بها لعجل لنا العقوبة، فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على الرضا بها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض، مأمورا كان أو منهيا حسنا كان أو غيره ولذلك جهلهم فقال تعالى: ﴿ما لهم بذلك﴾ أي: المقول من الرضا بعبادتها ﴿من علم إن﴾ أي: ﴿هم إلا يخرصون﴾ أي: يكذبون في هذه النتيجة التي زعموا أنها دلتهم على رضا الله تعالى بكفرهم فيترتب عليهم العقاب.

ولما بين تعالى بطلان قولهم بالعقل أتبعه بطلان قولهم بالنقل فقال تعالى:

﴿أم آتيناهم﴾ أي: على ما لنا من العظمة ﴿كتابا﴾ أي: جامعا لما يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه ﴿من قبله﴾ أي: القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلنا الملائكة إناثا وأنا لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه ونأمر به ﴿فهم به﴾ أي: فتسبب عن هذا الإتيان أنهم به وحده ﴿مستمسكون﴾ أي: موجدون الاستمساك به فيأخذون بما فيه، لم يقع ذلك.

ولما بين تعالى أنه **لا دليل على** صحة قولهم البتة لا من العقل ولا من النقل، بين أنه لا حامل لهم يحملهم عليه إلا التقليد بقوله تعالى:

﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا﴾ أي: وهم أرجح منا عقولا وأصح منا إفهاما ﴿على أمة﴾ أي: طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد وتؤم ثم أكدوا قطعا الرجاء المخالف عن لفتهم عن ذلك فقالوا ﴿وإنا على آثارهم﴾ أي: خاصة لا غيرها ﴿مهتدون﴾ أي: متبعون فلم نأت بشيء من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع". (١)

٨٧. ٨٧-"إبراهيم﴾ (الأنبياء: ٦٠)

وعن يعقوب: ﴿إن له ابا شيخا كبيرا﴾ (يوسف: ٧٨)

. وقالوا: وأقل أهل الجنة من يخدمه ألف غلام، ويعطى في الجنة قدر الدنيا عشر مرات. وقرأ حمزة

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٣/٥٥٨

بضم الهاء والباقون بكسرها.

ثم وصف تعالى تلك الغلمان بقوله تعالى: ﴿مخلدون﴾ أي: قد حكم من لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك دائما من غير علة ولا ارتفاع عن ذلك الحد مع أنهم مزينون بالحلي وهو الحلق والأساور والقرط والملابس الحسنة.

﴿إذا رأيتهم﴾ أي: يا أعلى الخلق وأنت أثبت الناس نظرا أو أيها الرائي الشامل لكل راء في أي حالة رأيتهم فيها ﴿حسبتهم﴾ أي: من بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لؤلؤا منثورا﴾ أي: من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك، قال بعض المفسرين: هم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين. وقال بعضهم: أطفال المؤمنين لأنهم ماتوا على الفطرة. وقال ابن برجان: وأرى والله أعلم أنهم من علم الله تعالى إيمانه من أولاد الكفار، وتكون خدما لأهل الجنة كما كانوا لنا في الدنيا سبيا وخداما. وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سنا وملكا سرورا لهم. ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم في ابنه إبراهيم عليه السلام: «إن له لظئرا تتم رضاعه في الجنة» فإنه يدل على انتقال شأنه فيما هنالك وكتنقله في الأحوال في الدنيا، **ولا دليل على** خصوصيته بذلك. وقرأ السوسي وشعبة بإبدال الهمزة الأولى الساكنة وقفا ووصلا، وإذا وقف حمزة أبدل الأولى والثانية.

ولما ذكر المخدوم والخدم ذكر المكان بقوله تعالى: ﴿وإذا رأيت﴾ أي: وجدت منك الرؤية ﴿ثم﴾ أي: هناك في أي مكان كان في الجنة، وأي شيء كان فيها. وقوله تعالى ﴿رأيت﴾ جواب إذا أي: رأيت ﴿نعيما﴾ أي: ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف. ﴿وملكا كبيرا﴾ أي: لم يخطر على باله مما هو فيه من السعة وكثرة الموجود والعظمة.

قال سفيان الثوري: بلغنا أن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم. وقيل: كون التيجان على رؤوسهم كما تكون على رؤوس الملوك، وقال الحكيم الترمذي: هو ملك التكوين إذا أرادوا شيئا، قالوا له: كن فيكون. وفي الخبر: إن الملك الكبير هو أن أدناهم منزلة أي: وما فيهم دنيء الذي في ملكه مسيرة ألف عام ويرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه سبحانه وتعالى كل يوم. أي: قدر يوم من أيام الدنيا مرتين.

ولما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم وخدم ذكر لباسهم بقوله تعالى: ﴿عاليهم﴾ أي: فوقهم ﴿ثياب

سندس﴾ هو ما رق من الحرير ﴿خضر وإستبرق﴾ وهو ما غلظ من الديباج فهو البطائن، والسندس الظهائر، وقرأ نافع وحمزة ﴿عاليهم﴾ بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الياء وضم الهاء؛ لأن الياء لما سكنت كسرت الهاء ولما تحركت ضمت الهاء، فأما قراءة نافع وحمزة ففيها أوجه: أظهرها: أن يكون خبرا مقدما، وثياب مبتدأ مؤخر.

وأما قراءة الباقين ففيها أيضا أوجه: أظهرها: أن يكون خبرا مقدما وثياب مبتدأ مؤخرا. كأنه قال: فوقهم ثياب. قال أبو البقاء: لأن عاليهم بمعنى فوقهم، والضمير المتصل به للمطوف عليهم أو للخادم والمخدوم جميعا وإن كانت تتفاوت بتفاوت الرتب. وقرأ نافع وحفص خضر وإستبرق برفعهما، وقرأ حمزة والكسائي بخفضهما. وقرأ أبو عمرو وابن عامر برفع خضر وجر إستبرق، وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع إستبرق.

وحاصل القراءات". (١)

٨٨. ٨٨-"الأول: قول يونس، والأخفش.

والثاني: قول الخليل وسيبويه، وتظهر فائدة ذلك إذا سمي به

فعلى الأول تقول: «جاءني معا» و «مررت بمع» ك «يد» ، **ولا دليل على** القول الأول في قوله: «وشعباكما معا» ؛ لأن معا منصوب على الظرف النائب عن الخبر، نحو: «زيد عندك» وفيها كلام كثير.

فصل في نظم الآية

لم كانت مخاطبتهم للمؤمنين بالجملة الفعلية ومخاطبة شياطينهم بالجملة الاسمية محققة ب «إن» ؟

قال ابن الخطيب: الجواب: ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين؛ لأن أنفسهم لا تساعدهم على المبالغة، لأن القول الصادر عن النفاق والكراهة قلما يحصل معه المبالغة، وإما لعلمهم بأن ادعاء الكمال في الإيمان لا يروج على المسلمين، وأما كلامهم مع إخوانهم، فكانوا يقولونه عن الاعتقاد، ويعلمون أن المستمعين يقبلون ذلك منهم، فلا جرم كان التأكيد لائقا به. واختلفوا في قائل هذا القول أهم كل المنافقين، أو بعضهم؟

فمن حمل الشياطين على كبار المنافقين، فحمل هذا القول على أنه من صغارهم، فكانوا يقولون

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤٥٧/٤

للمؤمنين: «آمنا» وإذا عادوا إلى أكابرهم قالوا: «إنا معكم» ، ومن قال: المراد بالشياطين الكفار لم يمنع إضافة هذا القول إلى كل المنافقين.

وقوله: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾ كقوله: ﴿إنما نحن مصلحون﴾ [البقرة: ١١] ، وهذه الجملة الظاهرة أنها لا محل لها من الإعراب لاستئنافها؛ إذ هي جواب لرؤسائهم، كأنهم لما قالوا لهم: «إنا معكم» توجه عليهم سؤال منهم، وهو: فما بالكم مع المؤمنين تظاهرونهم على دينهم، فأجابوهم بهذه الجملة. وقيل: محلها النصب، لأنها بدل من قوله: «إنا معكم» .

وقياس تخفيف همزة «مستهزؤون» ونحوه أن تجعل بين بين، أي بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها وهو «الواو» ، وهو رأي سيبويه، ومذهب الأخفش قلبها «ياء» محضة.

وقد وقف حمزة على ﴿مستهزئون﴾ و ﴿فمالئون﴾ [الصافات: ٦٦] و ﴿ليطفئوا﴾ [الصف: ٨] و ﴿ليواطئوا﴾ [التوبة: ٣٧] و ﴿ويستنبئونك﴾ [يونس: ٥٣] و ﴿الخاطئين﴾ [يوسف: ٢٩] و ﴿الخاطئون﴾ [الحاقة: ٣٧] ، و ﴿متكئين﴾ [الكهف: ٣١] و ﴿متكئون﴾ [".(١)

٨٩. ٨٩-"ثم إنه تعالى حكى عنه أنه كان يقول: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم﴾ أي: مثل سخريتكم إذا غرقتم في الدنيا ووقعتم في العذاب يوم القيامة. وقيل: إن حكمتم علينا بالجهل فيما نصنع فإنا نحكم عليكم بالجهل فيما أنتم عليه من الكفر، والتعرض لسخط الله وعذابه، فأنتم أولى بالسخرية منا.

فإن قيل: كيف تجوز السخرية من النبي؟ .

فالجواب: هذا ازدواج للكلام يعنى: إن تستجهلوني فإني أستجهلكم إذا نزل بكم العذاب.

وقيل: معناه: إن تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم.

وقيل: سمى المقابلة سخرية كقوله ﴿وجزآء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] .

قوله: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ .

في «من» وجهان:

أحدهما: أن تكون موصولة.

والثاني: أن تكون استفهامية، وعلى كلا التقديرين ف «تعلمون» إما من باب اليقين، فتتعدى لاثنين،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٦٢/١

وإما من باب العرفان فتتعدى لواحد.

فإذا كانت هذه عرفانية و «من» استفهامية كانت «من» ، وما بعدها سادة مسد مفعول واحد، وإن كانت متعدية لاثنين كانت سادة مسد المفعولين وإذا كانت «تعلمون» متعدية لاثنين، و «من» موصولة كانت في موضع المفعول الأول، والثاني محذوف قال ابن عطية: «وجائز أن تكون المتعدية إلى مفعولين، واقتصر على الواحد» .

وهذه العبارة ليست جيدة؛ لأن الاقتصار في هذا الباب على أحد المفعولين لا يجوز، لما تقرر من أنهما مبتدأ وخبر في الأصل، وأما حذف الاختصار، فهو ممتنع أيضا، إذ **لا دليل على** ذلك. وإن كانت متعدية لواحد و «من» موصولة فأمرها واضح.

قوله: «ويحل عليه» أي: يجب عليه، وينزل به «عذاب مقيم» دائم. وحكى الزهراوي - رضي الله عنه -: «ويحل» بضم الحاء، بمعنى يجب أيضا.

قوله: ﴿حتى إذا جآء أمرنا﴾ عذابنا، أو وقته، أو قولنا «كن» .

﴿وفار التنور﴾ اختلفوا في التنور: قال عكرمة والزهري: هو وجه الأرض، أي نبعث الأرض من سائر أرجائها حتى نبعث التنانير التي هي محال النار وذلك أنه قيل لنوح: إذ رأيت الماء قد فار على وجه الأرض، فاركب السفينة أنت وأصحابك.". (١)

٩٠. ٩٠-"في الحكاية للقولين كذلك فيلزم أنهم لو نطقوا بتلك الأشياء على سبيل الجد أن يكونوا محقين ومعلوم أنه كفر.

وأما القول بأن الظن في القولين الأولين إنما يوجد على بعض ذلك القول وبعض القول الثالث لا على نفسه، بل على إيراده على سبيل الاستهزاء فهذا يوجب تشويش النظم، وأنهم لا يجوز في كلام الله تعالى.

قال ابن الخطيب: والجواب الحق عندي عن هذا الحكم هو ما ذكرنا في سورة الأنعام وهو أن القوم لما ذكروا هذا الكلام، استدلوا بمشيئة الله تعالى للكفر على أنه لا يجوز ورود الأمر بالإيمان، فاعتقدوا أن الأمر والإرادة يجب كونهما متطابقين وعندنا أن هذا باطل فالقوم لم يستحقوا الذم لمجرد قولهم: إن الله يريد الكفر من الكافر، بل لأجل أنهم قالوا: لما أراد الكفر من الكافر وجب أن يقبح منه أمر الكافر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٤٨٤/١٠

بالإيمان، فإذا صرفنا الذم إلى هذا سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية. وتمام التقرير موجود في سورة الأنعام.

قوله: ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ فيما يقولون ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ ما هم إلا كاذبون في قولهم: إن الله رضي عنا بعبادتنا. وقيل: إن هم إلا يخرصون في قولهم: الملائكة إناث وهم بنات الله.

قوله: ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله﴾ أي من قبل القرآن، أو الرسول بأن يعبد غير الله ﴿فهم به مستمسكون﴾ يعني أن القول الباطل الذي حكاه الله عنهم عرفوا صحته بالعقل أو بالنقل؟ أما إثباته بالعقل فهو أيضا باطل، لقوله تعالى: ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون﴾ والمعنى أنهم وجدوا ذلك الباطل في كتاب منزل قبل القرآن، حتى جاز لهم أن يتمسكوا به؟ فذكر هذا في معرض الإنكار.

قوله: ﴿بل قالوا إنا وجدنآ آبآءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾ والمقصود أنه تعالى لما بين أنه **لا دليل على** صحة قولهم ألبتة لا من العقل ولا من النقل، بين أنه ليس لهم حامل يحملهم عليه إلا التقليد المحض. ثم بين أن تمسك الجهال بالتقليد أمر كان حاصلا من قديم الزمان فقال: ﴿وكذلك مآ أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال". (١)

٩١. ٩١-"والثاني: أنه حال من «السبيل» على المجاز.

قال الزمخشري: «ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل، إما سبيلا شاكرا، وإما سبيلا كفورا، كقوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد: ١٠] ، فوصف السبيل بالشكر والكفر مجازا» .

والعامة على كسر همزة «إما» وهي المرادفة ل «أو» وقد تقدم خلاف النحويين فيها.

ونقل مكي عن الكوفيين أن هاهنا: «إن» الشرطية زيدت بعدها «ما» ثم قال: «وهذا لا يجيزه البصريون؛ لأن» إن «الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن يضمر فعل نحو: ﴿وإن أحد من المشركين﴾ [التوبة: ٦] ، ولا يصح إضمار الفعل، ويمكن أن يضمر فعل ينصب» شاكر «، وأيضا **لا دليل على** الفعل» انتهى.

قال شهاب الدين: لا نسلم أنه يلزم رفع «شاكرا» مع إضمار الفعل، ويمكن أن يضمر فعل ينصب «شاكرا» تقديره: إنا خلقناه شاكرا فشكورا، وإنا حلقناه كافرا فكفورا.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٧/٢٤٨

وقرأ أبو السمال، وأبو العجاج: بفتحها، وفيه وجهان:

أحدهما: أنها العاطفة وأنها لغة، وبعضهم فتح الهمزة؛ وأنشدوا على ذلك: [الطويل]

٥٠٢٦ – تنفخها أما شمال عرية ... وأما صبا جنح العشي هبوب

بفتح الهمزة.

ويجوز مع فتح الهمزة إبدال ميمها الأولى ياء؛ قال [البسيط]

٥٠٢٧ – أيما إلى جنة أيما إلى نار ... وحذف الواو بينهما.

والثاني: أنها «إما» التفصيلية وجوابها مقدر.

قال الزمخشري: وهي قراءة حسنة، والمعنى: إما شاكرا فبتوفيقنا، وإما كفورا فبسوء اختياره انتهى، ولم يذكر غيره.". (١)

٩٢. ٩٢–"ليألفوا الخروج ولا يتجرأ عليهم، قاله مجاهد وابن عباس في رواية سعيد بن جبير.

قال ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ قال: نعمتي على قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، قال: كانوا يشتون ب «مكة» ، ويصيفون ب «الطائف» ، وعلى هذا القول يجوز الوقف على رءوس الآي، وإن لم يكن الكلام تاما.

قال ابن الخطيب: والمشهور أنهما سورتان، ولا يلزم من التعلق الاتحاد؛ لأن القرآن كسورة واحدة.

وقال الخليل: ليست متصلة، كأنه قال: ألف الله قريشا إيلافا، فليعبدوا رب هذا البيت [واللام متعلقة بقوله تعالى: فليعبد هؤلاء رب هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتياز، ويحمل ما بعد الألف ألفا على ما قبلها؛ لأنها زائدة غير عاطفة كقولك: زيد فاضرب، وأما مصحف أبي فمعارض بإطباق على الفصل بينهما، وأما قراءة عمر – رضي الله عنه – فالإمام قد يقرأ سورتين] .

قال ابن العربي: وليست المواقف التي ينتزع بها القراء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرويا، وإنما أرادوا به تعليم الطلبة المعاني، فإذا علموها وقفوا [حيث شاءوا، فأما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه، ولا تعد ما قبله إذا اعتراك ذلك، ولكن ابدأ من حيث وقف بك نفسك، هذا رأيي فيه] ، **ولا دليل على** ما قالوه بحال، ولكني أعتمد الوقف على التمام، كراهية الخروج عنهم.

قال القرطبي: «وأجمع المسلمون أن الوقف عند قوله:» كعصف مأكول «، ليس بقبيح، وكيف يقال

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١١/٢٠

بقبحه، وهذه السورة تقرأ في الركعة الأولى، والتي بعدها في الركعة الثانية، ولا يمنع الوقف على إعجاز الآيات، سواء تم الكلام أم لا» .

فصل في الكلام على قريش

قريش: اسم القبيلة.

قي: هم ولد النضر بن كنانة، وكل من ولده النضر فهو قرشي، وهو الصحيح وقيل: هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي، فوقع الوفاق على أن بني فهر قرشيون، وعلى أن كنانة ليسوا بقرشيين، ووقع الخلاف في النضر ومالك، ثم اختلف في اشتقاقه على أوجه:". (١)

٩٣. ٩٣-"عطف؛ لأن واو الحال [هي] واو العطف استعيرت للوصل، فقولك: «جاء زيد راجلا أو هو فارس» كلام فصيح وارد على حده، وأما «جاءني زيد هو فارس» فخبيث.

قال أبو حيان: أما [بعض النحويين الذي أبهمه] الزمخشري فهو الفراء، وأما قول الزجاج: كلا التمثيلين لم يحتج فيه إلى الواو؛ لأن الذكر قد عاد على الأول ففيه إبهام وتعيينه أنه يمتنع دخولها في المثال الأول [ويجوز في المثال] الثاني؛ فليس انتفاء الاحتياج على حد سواء؛ لأنه في الأول لامتناع الدخول، وفي الثاني لكثرته لا لامتناعه.

قال شهاب الدين: أم امتناعها في المثال الأول؛ فلأن النحويين نصوا على أن الجلمة الحالية إذا دخل عليها حرف عطف امتنع دخول واو الحال عليها، والعلة فيه المشابهة اللفظية؛ ولأن واو الحال في الأصل عاطفة، ثم قال أبو حيان. وأما قول الزمخشري فالصحيح إلى آخره، فتعليله ليس بصحيح؛ لأن واو الحال ليست بحرف عطف فيلزم من ذكرها اجتماع حرلإي عطف؛ لأنها لو كانت حرف عطف للزم أن يكون ما قبلها حالا، حتى يعطف حالا على حال، فمجيئها فيما لا يمكن أن يكون حالا دليل على أنها ليست واو عطف، ولا لحظ فيها معنى واو عطف تقول: «جاء زيد، والشمس طالعة» فجاء زيد ليس بحال فيعطف عليها جملة حال، وإنما هذه الواو مغايرة لواو العطف بكل حال، وهي قسم من أقسام الواو كما تأتي للقسم، وليست فيه للعطف كما إذا قلت: «والله ليخرجن» .

قال شهاب الدين: أبو القاسم لم يدع في واو الحال أنها عاطفة، بل يدعي أن أصلها العطف، ويدل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٥٠٦/٢٠

على ذلك قوله: استعيرت للوصول، فلو كانت عاطفة على حالها لما قال: استعيرت فدل قوله ذلك على أنها خجرت عن العطف، واستعملت لمعنى آخر لكنها أعطيت حكم أصلها في امتناع مجامعتها لعاطف آخر.

وأما تسميتها حرف عطف، فباعتبار أصلها ونظير ذلك أيضا واو «مع» فإنهم نصوا على أن أصلها واو عطف، ثم استعملت في المعية، فكذلك واو الحالن لامتناع أن يكون أصلها واو العطف.

ثم قال أبو حيان: «وأما قوله» فخبيث «فليس بخبيث؛ وذلك أنه بناه على أن الجلمة الحالية إذا كانت اسمية، وفيها ضمير ذي الحال فحذف الواو منها [شاذ] وتبع في ذلك الفراء، وليس بشاذ بل هو كثير في النظم والنثر.

قال شهاب الدين: قد يبق أبا القاسم في تسمية هذه الواو حرف عكف الفراء، وأبو بكر بن الأنباري.". (١)

٩٤. ٩٤-"والمروي عن مجاهد: أنه تعالى مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم، لا أنه مسخ صورهم، وهو مثل قوله تعالى: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ (٥: الجمعة) ، ونظيره أن يقول الأستاذ للمتعلم البليد لا ينجح فيه تعليمه: كن حمارا، واحتج على امتناعه (أي المسخ) بأمرين:

الأول: أن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد، والبنية المحسوسة؛ فإذا أبطلها، وخلق في تلك الأجسام تركيب القرد وشكله، كان ذلك إعداما للإنسان، وإيجادا للقرد؛ فيرجع حاصل المسخ على هذا القول إلى أنه تعالى أعدم الأعراض التي باعتبارها كانت تلك الأجسام إنسانا، وخلق فيها الأعراض التي باعتبارها كانت قردا١؛ فهذا يكون إعداما وإيجادا، لا أنه يكون مسخا.

ثم قال الرازي: وأجيب٢ بأن الإنسان ليس هو تمام هذا الهيكل، وذلك لأن هذا الإنسان قد يصير سمينا بعد أن كان هزيلا وبالعكس بالمسخ، ثم أثار إشكالات عليه ثم نقضها، ثم لم يجد محظورا البتة من الصيرورة إلى التأويل وقبول رأي مجاهد.

ويقول كاتبه: فأما عن الإشكال الأول فإن المسخ لغة هو٣: "تحويل صورة إلى ما هو أقبح منها"، وهذا التبديل أو التحويل **لا دليل على** استحالته من نقل أو عقل أو علم.

فأما النقل فدلالته بينة -كما سنوضح بإذن الله -.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٦/٩

وأما العقل والعلم فإن دراسة آيات الله في الأنفس والآفاق - بتعميق واستيعاب - تقرب إلى أذهاننا القاصرة وعلمنا المحدود هذا الذي يراه البعض بعيدا، وخاصة بعد تقدم علم الأحياء (البيولوجيا) في الكشف عن كثير من أسرار (الخلية) و (الغدد) و (الهرمونات) ، وما قرأناه في الصحف منذ سنوات عما سمي (بالإنسان القرد) ، وهو طفل نشأ في غابة بين القرود، فصار يطعم طعامهم ويسير على أربع، ونبت على جسمه شعر القردة.. وانقطعت صلته بالإنسانية.

وفصل القول:

أن المسألة عقاب "أراده الله ببني إسرائيل لعدوانهم وظلمهم، وشاءت إرادته أن يكون العقاب خرقا للعادات ومجريات السنن، ليكون عبرة ونكالا، وليكون آية على تفرده وحده بالقدرة والقهر والجبروت، فهل يعجزه سبحانه شيء في الأرض أو السماء؟ تعالى علوا كبيرا، ﴿إنه كان عليما قديرا﴾ (٤٤: فاطر) .

وكما قال الرازي نفسه:

---

١ هذا بالأصل ولو قال: (صارت قرودا) لكان هذا ما يدل عليه السياق، لكن لعله راعى المقابلة بين (إنسانا) و (قردا) .

٢ ذكرنا الرد عقب الإشكال مخالفين ترتيب الرازي لأن هذا - في نظرنا - هو الأولى.

٣ انظر المختار مادة مسخ ص ٦٢٤.". [١]

٩٥. ٩٥-"٦٨ - وإذا كان عبدة الأوثان قد أشركوا فى العبادة حجارة، ولم ينزهوا الله حق التنزيه، وقالوا: إن لله ولدا. فالله منزه عن ذلك. إنه غنى عن أن يتخذ ولدا، لأن الولد مظهر الحاجة إلى البقاء، والله باق خالد، وكل ما فى السموات وما فى الأرض مخلوق ومملوك له، وليس عندكم - أيها المفترون - حجة **ولا دليل على** ما زعمتم، فلا تختلقوا على الله أمرا لا أساس له من الحقيقة.". [٢]

---

(١) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل ص/١٧٣

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص/٢٩٨

٩٦.   ٩٦-"وذلك كله، على ما سبق فى علم الله فيهم.

وأجاز الكوفيون أن تكون «ما» : زائدة، و «إن» : للشرط.

ولا يجوز هذا عند البصريين، لأن التي للشرط لا تدخل على الأسماء، إذ لا يجازى بالأسماء إلا أن يضمر بعد «إن» فعلا، نحو قوله: «وإن أحد من المشركين» ٩: ٦، فأضمر «استجارك» بعد أن ورد عليه الثاني، فحسن حذفه، ولا يمكن إضمار فعل بعد «إن» هاهنا، لأنه يلزم رفع «شاكر» و «كفور» بذلك الفعل.

وأيضا فإنه **لا دليل على** الفعل المضمر فى الكلام.

وقيل: فى الآية تقديم وتأخير والتقدير: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه إما شاكرا وإما كفورا فجعلناه سميعا بصيرا، فيكونان حالين من «الإنسان» على هذه.

٤- إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا «سلاسلا، قواريرا» الآيتان: ١٥، ١٦، أصله كله يصرف، لأنه جمع، والجمع ثقيل، ولأنه لا يجمع، فخالف سائر الجموع، ولأنه لا نظير له فى الواحد، ولأنه غاية الجموع، إذ لا يجمع، فثقل فلم ينصرف.

فأما من صرفه من القراء، فإنها لغة لبعض العرب.

حكى الكسائي: أنهم يصرفون كل ما لا ينصرف، إلا: أفعل منك.

وقال الأخفش: سمعنا من العرب من يصرف هذا وجميع ما لا ينصرف.

وقيل: إنما صرفه لأنه وقع فى المصحف بالألف، فصرفه على الإتباع لخط المصحف، وإنما كتب فى المصحف بالألف، لأنها رؤوس الآي، فأشبهت القوافي والفواصل، التي يزاد فيها الألف للوقف.

وقيل: إنما صرفه من صرفه لأنه جمع كسائر الجموع، وجمعه بعض العرب، فصار كالواحد فانصرف كما ينصرف الواحد، ألا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة: إنكم لأنتن صواحبات يوسف، فجمع «صواحب» بالألف والتاء، كما يجمع الواحد، فصار كالواحد فى الحكم، إذ قد جمع كما يجمع الواحد، فانصرف كما ينصرف الواحد.

وحكى الأخفش: مواليات فلان، فجمع «موالى» ، فصار كالواحد.

٥، ٦- إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا

انتصب «عينا» ، على البدل من «كافورا» .". (١)

٩٧. ٩٧-"ففي الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها- "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ينفث عن نفسه بالمعوذات" (١) .

وسياق النسائي (٢) لحديث عقبة بن عامر المتقدم: "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ وقرأت معه في الإخلاص، ثم: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس. فلما ختمهن، قال: «ما تعوذ بمثلهن أحد» ".

وكما جمع - صلى الله عليه وسلم - بينهن في التسمية والتعوذ، جمع بينهن عمليا في قراءة الوتر.

هذا إجمال المناسبة الخاصة بين السور الثلاث.

***

رب الفلق:

قال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ .

الأمر المفرد للنبي عليه السلام.

ومن حسن الأدب في مقدرات القرآن، أن تقدر في مثل هذا الأمر: أيها الرسول، أو أيها النبي، لأنهما الوصفان اللذان نطق بهما القرآن في نداء النبي عليه الصلاة والسلام، وأن لا نقدر يا محمد كما هو جار على الألسنة وفي التصانيف؛ فإن القرآن لم يخاطبه باسمه.

والأمر لنبينا أمر لنا، لأننا المقصودون بالتكليف، **ولا دليل على** الخصوصية، فهو في قوة: قل أنت، وقل لأمتك يقولون.

و ﴿أعوذ﴾ أستجير وألتجىء، ويتعدى هو وجميع تصاريفه بالباء ك"أستجير". والعوذ والعياذ مصدران منه كالصوم والصيام. وفي القرآن مما جاء على المعنى اللغوي: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ [الجن: ٦] . ومن كلام العرب: قد استعذت بمعاذ.

و (الرب) الخالق المكون المربي، ومواقع استعمال هذه الكلمة في القرآن هي التي تكشف كل الكشف عن معناها الكامل.

و ﴿الفلق﴾ الفجر المفلوق المفري.

---

(١) الموسوعة القرآنية ٤/٤٨٤

ومن لطائف هذه اللغة الشريفة: أن الفتح، والفلح، والفجر، والفلق، والفرق، والفتق، والفرى والفأ، والفقأ، والفقه ... كلها ذات دلالات واحدة، وتخصيصها بمتعلقاتها باب من فقه اللغة عظيم.

---

(١) أخرجه مالك في العين حديث ١. والبخاري في فضائل القرآن باب ١٤. ومسلم في السلام حديث ٥١. وأبو داود في الطب باب١٠. وابن ماجة في الطب باب ٣٨. وأحمد في المسند (٦/ ١٠٤، ١١٤، ١٢٤، ١٨١، ٢٥٦، ٢٦٣) .

(٢) في كتاب الاستعاذة باب ١.". (١)

٩٨. ٩٨-"هذا بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر كعدل، وإما تخفيفا في فعيل: كميت، والآخر: يؤمنون في حال غيبهم، أي باطنا وظاهرا، وبالغيب: على القول الأول: يتعلق بيؤمنون، وعلى الثاني: في موضع الحال، ويجوز في الذين أن يكون خفضا على النعت، أو نصبا على إضمار فعل، أو رفعا على أنه خبر مبتدأ ويقيمون الصلاة إقامتها: علمها من قولك: قامت السوق «١» ، وشبه ذلك، والكمال: المحافظة عليها في أوقاتها، بالإخلاص لله في فعلها، وتوفية شروطها، وأركانها، وفضائلها، وسننها، وحضور القلب الخشوع فيها، وملازمة الجماعة في الفرائض والإكثار من النوافل. ومما رزقناهم ينفقون فيه ثلاثة أقوال: الزكاة لاقترانها مع الصلاة، والثاني: أنه التطوع، والثالث: العموم، وهو الأرجح: لأنه **لا دليل على** التخصيص، والذين يؤمنون هل هم المذكورون قبل فيكون من عطف الصفات، أو غيرهم وهم من أسلم من أهل الكتاب، فيكون عطفا للمغايرة، أو مبتدأ وخبره الجملة بعد بما أنزل إليك القرآن وما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله عز وجل إن الذين كفروا فيمن سبق القدر أنه لا يؤمن كأبي جهل، فإن كان الذين للجنس: فلفظها عام يراد به الخصوص، وإن كان للعهد فهو إشارة إلى قوم بأعيانهم، وقد اختلف فيهم فقيل: المراد من قتل ببدر من كفار قريش، وقيل: المراد حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديان سواء خبر إن وأنذرتهم فاعل به لأنه في تقدير المصدر، وسواء مبتدأ، وأنذرتهم خبره أو العكس وهو أحسن، ولا يؤمنون على هذه الوجوه: استئنافا للبيان، أو للتأكيد، أو خبر بعد خبر، أو تكون الجملة اعتراضا، ولا يؤمنون الخبر، والهمزة في ء أنذرتهم لمعنى التسوية قد انسلخت من معنى الاستفهام ختم الآية تعليل لعدم إيمانهم، وهو عبارة عن إضلالهم،

---

(١) تفسير ابن باديس ص/٣٧١

فهو مجاز وقيل: حقيقة، وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال إصبعا إصبعا حتى يختم عليه، والأول أبرع، وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم، فيوقف عليه، وقيل الوقف على قلوبهم، والسمع راجع إلى ما بعده، والأول أرجح لقوله: «وختم على سمعه وقلبه» [الجاثية: ٢٣] غشاوة مجاز باتفاق، وفيه دليل على وقوع المجاز في القرآن خلافا لمن منعه، ووحد السمع لأنه مصدر في الأصل، والمصادر لا تجمع ومن الناس أصل الناس أناس لأنه مشتق من الإنس

---

(١) . المراد بإقامة الصلاة: عدم التهاون بها. راجع تفسير الطبري.". (١)

٩٩. ٩٩-"يبعثكم من قبوركم

فول وجهك الأمر كرر للتأكيد أو ليناط به ما بعده لئلا يكون للناس الآية: معناها أن الصلاة إلى الكعبة تدفع حجة المعترضين من الناس، فإن أريد اليهود فحجتهم أنهم يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه واله وسلم يتحول إلى الكعبة، فلما صلى إليها لم تبق لهم حجة على المسلمين، وإن أريد قريش فحجتهم أنهم قالوا: قبلة آبائه أولى به إلا الذين ظلموا أي من يتكلم بغير حجة ويعترض التحول إلى الكعبة، والاستثناء متصل لأنه استثناء من عموم الناس. ويحتمل الانقطاع على أن يكون استثناء ممن له حجة، فإن الذين ظلموا هم الذين ليس لهم حجة ولأتم متعلق بمحذوف أي فعلت ذلك لأتم، أو معطوف على لئلا يكون كما أرسلنا متعلق بقوله لأتم، أو بقوله فاذكروني والأول أظهر، فاذكروني أذكركم.

قال: سعيد بن المسيب: معناه اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب وقيل اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحو ذلك، وقد أكثر المفسرون، لا سيما المتصوفة في تفسير هذا الموضع بألفاظ لها معاني مخصوصة، **ولا دليل على** التخصيص، وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كما يرويه عن ربه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منهم» «١» .

والذكر ثلاثة أنواع: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وبهما معا، واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة، وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال: كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٧٠

من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى.

والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه الأول النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله» «٢» . وسئل رسول الله صلى الله

---

(١) . متفق عليه وعزاه المناوي في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للبيهقي عن أبي هريرة وروى مسلم بعضه عن أنس.

(٢) . رواه الترمذي عن أبي الدرداء ص ٤٥٩ ج ٥.". (١)

١٠٠. ١٠٠-"وفي معنى اجتبيتها قولان: أحدهما اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وعلى اله وسلم يتأخر عنه الوحي أحيانا، فيقول الكفار: هلا جئت بقرآن من قولك، والآخر معناه: طلبتها من الله، وتخيرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي يقولون: اطلب المعجزة من الله قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي معناه: لا أخترع القرآن على القول الأول، ولا أطلب آية من الله على القول الثاني هذا بصائر أي علامات هدى والإشارة إلى القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا فيه ثلاثة أقوال: أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة، والثاني أنه الإنصات للخطبة، والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين: أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه، والثاني أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة لعلكم ترحمون قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية واذكر ربك في نفسك يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول عطف متغاير أي حالة أخرى، وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للأول بالغدو والآصال أي في الصباح والعشي والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل قيل: المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل: فرض الخمس والأظهر الإطلاق إن الذين عند ربك هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار وله يسجدون قدم المجرور لمعنى

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ١٠١/١

الحصر أي لا يسجدون إلا لله، والله أعلم.". (١)

١٠١. ١٠١-"طرق للكواكب وما كنا عن الخلق غافلين يحتمل أن يريد بالخلق المخلوقين، أو المصدر ماء بقدر يعني المطر الذي ينزل من السماء، فتكون منه العيون والأنهار في الأرض، وقيل: يعني أربعة أنهار وهي النيل، والفرات، ودجلة، وسيحان، **ولا دليل على** هذا التخصيص، ومعنى بقدر: بمقدار معلوم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وشجرة تخرج من طور سيناء «١» يعني الزيتون، وإنما خص النخيل والأعناب والزيتون بالذكر: لأنها أكرم الشجر وأكثرها منافع، وطور سيناء: جبل بالشام وهو الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وينسب الزيتون إليه لأنها فيه كثيرة وسيناء اسم جبل أضافه إليه كقوله: جبل أحد، وقرأ الباقون: بفتح السين ولم ينصرف للتأنيث اللازم، وقرئ بالكسر، ولم ينصرف للعجمة أو للتأنيث مع التعريف، لأن فعلاء بالكسر لا تكون ألفه للتأنيث، وقيل: معناه مبارك، وقيل ذو شجرة، ويلزم على ذلك صرفه تنبت بالدهن يعني الزيت، وقرئ تنبت بفتح التاء، فالمجرور على هذا في موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: تنبت بضم التاء وكسر الباء، وفيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت بمعنى نبت، والثاني حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن والثالث زيادة الباء وصبغ للآكلين الصبغ الغمس في الإدام في الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والمقصود بالذكر الإبل، لقوله: وعليها وعلى الفلك تحملون وقد تقدم في [النحل: ٨٠] ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها.

ما هذا إلا بشر استبعدوا أن تكون النبوة لبشر فيا عجبا منهم إذ أثبتوا الربوبية لحجر! يريد أن يتفضل أي يطلب الفضل والرياسة عليكم ما سمعنا بهذا أي بمثل ما دعاهم إليه من عبادة الله، أو بمثل الكلام الذي قال لهم، وهذا يدل على أنه كان قبل نوح فترة طويلة به جنة أي جنون. فانظر اختلاف قولهم فيه: فتارة نسبوه إلى طلب الرياسة، وتارة إلى الجنون حتى حين أي إلى وقت لم يعينوه، ولكن أرادوا وقت زوال جنونه على قولهم، أو وقت موته انصرني بما كذبون تضمن هذا دعاء عليهم، لأن نصرته إنما هي

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٣١٩/١

(١) . سيناء بكسر السين وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو.". (١)

١٠٢. ١٠٢-"السموات والأرض ووصف نفسه بأنه نور كما تقول زيد كرم إذا أردت المبالغة في أنه كريم، فإن أراد بالنور المدرك بالأبصار، فمعنى نور السموات والأرض أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم، أو أنه خلقهما وأخرجهما من العدم إلى الوجود، فإنما ظهرت به كما تظهر الأشياء بالضوء، ومن هذا المعنى قرأ علي بن أبي طالب: «الله نور السموات والأرض» بفتح النون والواو والراء وتشديد الواو: أي جعل فيهما النور، وإن أراد بالنور المدرك بالقلوب، فمعنى نور السموات والأرض جاعل النور في قلوب أهل السموات والأرض ولهذا قال ابن عباس: معناه هادي أهل السموات والأرض.

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المشكاة هي الكوة غير النافذة تكون في الحائط، ويكون المصباح فيها شديد الإضاءة وقيل: المشكاة العمود الذي يكون المصباح على رأسه، والأول أصح وأشهر، والمعنى صفة نور الله في وضوحه كصفة مشكاة فيها مصباح، على أعظم ما يتصوره البشر من الإضاءة والإنارة، وإنما شبه بالمشكاة وإن كان نور الله أعظم، لأن ذلك غاية ما يدركه الناس من الأنوار، فضرب المثل لهم بما يصلون إلى إدراكه. وقيل: الضمير في نوره عائد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: على القرآن، وقيل:

على المؤمن، وهذه الأقوال ضعيفة لأنه لم يتقدم ما يعود عليه الضمير، فإن قيل: كيف يصح أن يقال الله نور السموات والأرض فأخبر أنه هو النور، ثم أضاف النور إليه في قوله:

مثل نوره، والمضاف عين المضاف إليه؟ فالجواب أن ذلك يصح مع التأويل الذي قدمناه أي الله ذو نور السموات والأرض، أو كما تقول: زيد كرم، ثم تقول: ينعش الناس بكرمه المصباح في زجاجة المصباح هو الفتيل بناره، والمعنى أنه في قنديل من زجاج لأن الضوء فيه أزهر، لأنه جسم شفاف الزجاجة كأنها كوكب دري شبه الزجاجة في إنارتها بكوكب دري، وذلك يحتمل معنيين إما أن يريد أنها تضيء بالمصباح الذي فيها، وإما أن يريد أنها في نفسها شديدة الضوء لصفائها ورقة جوهرها، وهذا أبلغ لاجتماع نورها مع نور المصباح، والمراد بالكوكب الدري أحد الدراري المضيئة: كالمشتري، والزهرة، وسهيل، ونحوها، وقيل: أراد الزهرة، **ولا دليل على** هذا التخصيص، وقرأ نافع دري بضم

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٥٠

الدال وتشديد الياء بغير همزة ولهذه القراءة وجهان: إما أن ينسب الكوكب إلى الدر لبياضه وصفائه، أو يكون مسهلا من الهمز، وقرأ [أبو عمرو والكسائي: دريء] وقرأ حمزة وأبو بكر: دريء بالهمز وكسر الدال بالهمز وضم الدال، وهو مشتق من الدرء بمعنى الدفع.

يوقد من شجرة مباركة زيتونة من قرأ يوقد «١» بالياء أو توقد بالفعل الماضي فالفعل مسند إلى المصباح، ومن قرأ توقد بالتاء والفعل المضارع فهو مسند إلى الزجاجة، والمعنى: توقد من زيت شجرة مباركة، ووصفها بالبركة لكثرة منافعها، أو لأنها تنبت في

---

(١) . قرأ نافع وابن عامر وحفص: يوقد. وحمزة والكسائي: توقد. وقرأ ابن كثير وأبو عمر: توقد.".
(١)

١٠٣. ١٠٣-"سورة الرحمن

مدنية وآياتها ٧٨ نزلت بعد الرعد بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الرحمن عز وجل) الرحمن علم القرآن هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن، وقيل: معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والأول أظهر وارتفع الرحمن بالابتداء، والأفعال التي بعده أخبار متوالية، ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف خلق الإنسان قيل: جنس الناس وقيل: يعني آدم وقيل: يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، **ولا دليل على** التخصيص. والأول أرجح علمه البيان يعني النطق والكلام الشمس والقمر بحسبان أي يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير والنجم والشجر يسجدان النجم عند ابن عباس النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذي له ساق، وقيل: النجم جنس نجوم السماء. والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى: وقيل: سجود الشمس: غروبها وسجود الشجر ظله ووضع الميزان يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكرر ذكره اهتماما به وقيل:

أراد العدل ولا تخسروا الميزان أي لا تنقصوا إذا وزنتم للأنام أي للناس وقيل:

الإنس والجن وقيل: الحيوان كله. الأكمام: يحتمل أن يكون جمع كم بالضم، وهو ما يغطي ويلف

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٧٠

النخل من الليف، وبه شبه كم القميص، أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة العصف «١» ورق الزرع وقيل: التبن والريحان قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشموم طيب الريح من النبات، وقيل: هو الرزق.

فبأي آلاء ربكما تكذبان الآلاء هي: النعم. واحدها إلى على وزن معي. وقيل:

---

(١) . قوله: والحب ذو العصف. قرأها ابن عامر: والحب ذا العصف بالنصب والباقون بالرفع. [.....]".[1]

١٠٤. ١٠٤-"سورة الفجر

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الليل بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الفجر) والفجر أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح، وقيل: أراد صلاة الفجر وقيل: أراد النهار كله، وقيل: فجر يوم الجمعة وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة **ولا دليل على** هذه التخصيصات وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا هذا بعيد والأول أظهر وأشهر وليال عشر هي عشر ذي الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل: العشر الأواخر من رمضان، وقيل العشر الأول منه والشفع والوتر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنها الصلوات منها شفع ووتر «١» وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة وقيل: الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد وقيل: الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى، وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل: الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية والوتر أبواب النار لأنها سبعة، وقيل الشفع قران الحج والوتر إفراده، وقيل المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال، وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان «٢» والليل إذا يسر «٣» أي إذا يذهب فهو كقوله: والليل إذ أدبر [المدثر: ٣٣] وقيل أراد يسري فيه فهو على هذا كقولهم: ليله قائم والمراد على هذا ليلة جمع لأنها التي يسري فيها والأول أشهر وأظهر هل في ذلك قسم لذي حجر هذا توقيف [سؤال] يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها. والحجر هنا هو: العقل. كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوي العقول. وجواب القسم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٢/٣٢٧

محذوف وهو ليأخذن الله

---

(١) . الحديث رواه الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية بسنده إلى عمران بن الحصين.

(٢) . قرأ حمزة والكسائي: والوتر: بكسر الواو والباقون بفتحها.

(٣) . يسر: قرأها أهل الكوفة والشام بدون ياء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالياء في الوصل وابن كثير في الوقف والوصل.". (١)

١٠٥. ١٠٥-"﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣) ﴾

يقول تعالى مخبرا عن إعذاره إلى المشركين بإرسال الرسول إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول، وأنه كتاب مفصل مبين، كما قال تعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت [من لدن حكيم خبير ﴾ (١) الآية [هود:١] .

وقوله: ﴿فصلناه على علم﴾ (٢) أي: على علم منا بما فصلناه به، كما قال تعالى: ﴿أنزله بعلمه﴾ [النساء:١٦٦]

قال ابن جرير: وهذه الآية مردودة على قوله: ﴿كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه [لتنذر به وذكرى للمؤمنين (٣)] ﴾ [الأعراف:٢] ﴿ولقد جئناهم بكتاب [فصلناه على علم] ﴾ (٤) الآية.

وهذا الذي قاله فيه نظر، فإنه قد طال الفصل، **ولا دليل على** ذلك، وإنما لما أخبر عما صاروا إليه من الخسار في الدار الآخرة، ذكر أنه قد أزاح عللهم في الدار الدنيا، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كقوله: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء:١٥] ؛ ولهذا قال: ﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ أي: ما وعد من العذاب والنكال والجنة والنار. قاله مجاهد وغير واحد.

وقال مالك: ثوابه. وقال الربيع: لا يزال يجيء تأويله أمر، حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ٤٧٨/٢

الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ.

﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي: يوم القيامة، قاله ابن عباس - ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي: تركوا العمل به، وتناسوه في الدار الدنيا: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ أي: في

(١) زيادة من ك، م.

(٢) في ك: "علم للعالمين" وهو خطأ.

(٣) زيادة من ك، م، وفي هـ "الآية".

(٤) زيادة من ك، م.". (١)

١٠٦. ١٠٦-"ب- فصل في نوعي الاختلاف في التفسير

النوع الأول: ما مستنده النقل أو بغير ذلك.

والنقل: إما أن يكون عن المعصوم أو غيره فمنه ما يمكن معرفة الصحيح منه والضعيف منه ما لا يمكن.

أما ما يحتاج إليه المسلمون فإن الله نصب على الحق فيه دليلا فمثال ما لا يفيد **ولا دليل على** صحته، اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي مقدار سفينة نوح، وفي الغلام الذي قتله الخضر واسمه. فمثل هذا المنقول عن كعب الأحبار، ووهب وابن إسحاق وغيرهم. ممن يأخذ عن أهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه. إلا بحجة كما ثبت في الصحيح: «إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما بباطل فتصدقوه» «فتح الباري» (٥/ ٣٢٣ و٨/ ١٣٨) «ومسند أحمد» (٤/ ١٣٦) ومعلوم أن المنقول في التفسير أكثره يشابه المنقول في المغازي والملاحم لذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي، ويروى عنه: ليس لها أصل. أي إسناد.

لأن الغالب عليها المراسيل مثل ما يذكره عروة والشعبي والزهري وابن إسحاق والواقدي ونحوهم.

أما التفسير: فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة وابن جبير وغيرهم.

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ٣/٤٢٥

والمراسيل: إذا تعددت طرقها وخلت عن المواطأة قصدا كانت صحيحة اتفاقا.
وللناس في التفسير مذاهب:
الطرف الأول: أهل الكلام ونحوهم ممن هو بعيد عن معرفة الحديث وأهله لا يميز بين الصحيح والضعيف، فيشك في صحة أحاديث مقطوع بصحتها.
وطرف ثان: يدعي اتباع الحديث لكن كلما وجد لفظا في حديث رواه ثقة يجعله دليلا له، ولكنه إذا وجد ما يخالف مذهبه أخذ يتكلف له ويتأوله.
وكما أن هناك أدلة على القطع بصحة الحديث فإن هناك أدلة تقطع بكذب ما يرويه الوضاعون من أهل البدع والغلو في الفضائل. مثل حديث «من صلى ركعتين يوم عاشوراء له أجر كذا وكذا نبيا» في التفسير من هذه الموضوعات كثير. ومثل الحديث الذي يرويه الثعلبي والواحدي والزمخشري في فضائل السور سورة سورة، فهو موضوع باتفاق أهل العلم.
والثعلبي: هو في نفسه فيه خير ودين، ولكنه كحاطب ليل ينقل من كتب التفسير الصحيح والضعيف والموضوع.
والواحدي صاحبه، كان أبصر منه بالعربية، لكنه أبعد منه عن اتباع السلف، والبغوي: تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة.". (١)

١٠٧. ١٠٧-"آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا أي تسخرون منهم وتستهزءون بهم حتى أنسوكم ذكري اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري وكنتم منهم تضحكون نزل في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم واستتهزائكم في الدنيا أنهم هم الفائزون أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال يعني أن الله قال للكفار يوم البعث كم لبثتم في الأرض أي في الدنيا وفي القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فسئل العادين يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم قال إن لبثتم أي ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا سماه قليلا لأن المرء وإن طال لبثه في الدنيا. فإنه يكون قليلا في جنب ما يلبث في الآخرة لو أنكم كنتم تعلمون يعني قدر لبثكم في الدنيا قوله عز

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث ١٤/١

وجل:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ١١٥ الى ١١٨]
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون (١١٥) فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم (١١٦) ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون (١١٧) وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (١١٨)
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي لعبا وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل وأنكم إلينا لا ترجعون أي في دار الآخرة للجزاء. روى البغوي بسنده عن الحسن: «أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على الجبل لزال» ثم نزه الله تعالى عما يصفه به المشركون فقال عز وجل فتعالى الله الملك الحق أي هو التام الملك الجامع لأصناف المملوكات لا إله إلا هو رب العرش الكريم أي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به يعني لا حجة ولا بينة له به إذ لا يمكن إقامة برهان **ولا دليل على** إلهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك فإنما حسابه أي جزاؤه عند ربه أي هو مجازيه بعلمه إنه لا يفلح الكافرون يعني لا يسعد من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين.". (١)

.١٠٨ ١٠٨-"نزاعة للشوى
[المعارج: ١٥، ١٦] وأسقط الفاء، لأنه يدل على الفراق، قال تعالى: يومئذ يتفرقون [الروم: ١٤] وأيضا قال: لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى [طه: ٦١] .
فإن قالوا: لا حرف من الحروف إلا وهو مذكور في شيء يوجب نوعا من العذاب فلا يبقى لما ذكرتم فائدة، فنقول: الفائدة فيه أنه تعالى قال في صفة جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم [الحجر: ٤٤] والله تعالى أسقط سبعة من الحروف من هذه السورة، وهي أوائل ألفاظ دالة على

(١) تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل ٢٧٨/٣

العذاب، تنبيها على أن من قرأ هذه السورة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمنا من الدركات السبع في جهنم، والله أعلم.

الباب الثالث في الأسرار العقلية المستنبطة من هذه السورة،

وفيه مسائل:

أسرار الفاتحة:

المسألة الأولى: [البحث عن السؤالين وهما ما الدليل على وجود الإله وما الدليل على أنه مستحق الحمد؟] اعلم أنه تعالى لما قال: الحمد لله فكأن سائلا يقول: الحمد لله مبني عن أمرين:

أحدهما: وجود الإله، والثاني: كونه مستحقا للحمد، فما الدليل على وجود الإله وما الدليل على أنه مستحق الحمد؟ ولما توجه هذان السؤالان لا جرم ذكر الله تعالى ما يجري مجرى الجواب عن هذين السؤالين، فأجاب عن السؤال الأول بقوله: رب العالمين وأجاب عن السؤال الثاني بقوله: الرحمن الرحيم مالك يوم الدين أما تقرير الجواب الأول ففيه مسائل:

المسألة الأولى: إن علمنا بوجود الشيء إما أن يكون ضروريا أو نظريا، لا جائز أن يقال العلم بوجود الإله ضروري، لأنا نعلم بالضرورة أنا لا نعرف وجود الإله بالضرورة فبقي أن يكون العلم نظريا، والعلم النظري لا يمكن تحصيله إلا بالدليل، **ولا دليل على** وجود الإله إلا أن هذا العالم المحسوس بما فيه من السموات والأرضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج إلى مدبر يدبره وموجود يوجده ومرب يربيه ومبق يبقيه، فكان قوله: رب العالمين إشارة إلى الدليل الدال على وجود الإله القادر الحكيم.

ثم فيه لطائف: اللطيفة الأولى: أن العالمين إشارة إلى كل ما سوى الله فقوله: رب العالمين إشارة إلى أن كل ما سواه فهو مفتقر إليه محتاج في وجوده إلى إيجاده، وفي بقائه إلى إبقائه، فكان هذا إشارة إلى أن كل جزء لا يتجزأ وكل جوهر فرد وكل واحد من آحاد الأعراض فهو برهان باهر ودليل قاطع على وجود الإله الحكيم القادر القديم، كما قال تعالى: وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم [الإسراء: ٤٤] .

اللطيفة الثانية: أنه تعالى لم يقل الحمد لله خالق العالمين، بل قال: الحمد لله رب العالمين والسبب فيه أن الناس أطبقوا على أن الحوادث مفتقرة إلى الموجد والمحدث حال حدوثها، لكنهم اختلفوا في أنها حال بقائها هل تبقى محتاجة إلى المبقي أم لا؟ فقال قوم: الشيء حال بقائه يستغني عن السبب،

والمربي هو القائم بإبقاء الشيء وإصلاح حاله حال بقائه، فقوله: رب العالمين تنبيه على أن جميع العالمين مفتقرة إليه في حال بقائها، والمقصود أن افتقارها إلى الموجد في حال حدوثها أمر متفق عليه، أما افتقارها إلى المبقي". (١)

١٠٩. ١٠٩-"في هذه الآية على أن الماء إنما ينزل من السماء، **ولا دليل على** امتناع هذا الظاهر، فوجب القول بحمله على ظاهره، ومما يؤكد ما قلناه: أن جميع الآيات ناطقة بنزول المطر من السماء. قال تعالى: / وأنزلنا من السماء ماء طهورا [الفرقان: ٤٨] وقال: وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به [الأنفال: ١١] وقال: وينزل من السماء من جبال فيها من برد [النور: ٤٣] فثبت أن الحق، أنه تعالى ينزل المطر من السماء بمعنى أنه يخلق هذه الأجسام في السماء. ثم ينزلها إلى السحاب. ثم من السحاب إلى الأرض.

والقول الثاني: المراد إنزال المطر من جانب السماء ماء.

والقول الثالث: أنزل من السحاب ماء وسمى الله تعالى السحاب سماء، لأن العرب تسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت، فهذا ما قيل في هذا الباب.

المسألة الثانية: نقل الواحدي في «البسيط» عن ابن عباس: يريد بالماء هاهنا المطر ولا ينزل نقطة من المطر إلا ومعها ملك، والفلاسفة يحملون ذلك الملك على الطبيعة الحالة في تلك الجسمية الموجبة لذلك النزول، فأما أن يكون معه ملك من ملائكة السموات، فالقول به مشكل والله أعلم.

المسألة الثالثة: قوله: فأخرجنا به نبات كل شيء فيه أبحاث:

البحث الأول: ظاهر قوله: فأخرجنا به نبات كل شيء يدل على أنه تعالى إنما أخرج النبات بواسطة الماء، وذلك يوجب القول بالطبع والمتكلمون ينكرونه، وقد بالغنا في تحقيق هذه المسألة في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم [البقرة: ٢٢] فلا فائدة في الإعادة.

البحث الثاني: قال الفراء: قوله: فأخرجنا به نبات كل شيء ظاهره يقتضي أن يكون لكل شيء نبات. وليس الأمر كذلك، فكان المراد فأخرجنا به نبات كل شيء له نبات، فإذا كان كذلك، فالذي لا نبات له لا يكون داخلا فيه.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٦١/١

البحث الثالث: قوله: فأخرجنا به بعد قوله: أنزل يسمى التفاتا. ويعد ذلك من الفضاحة.
واعلم أن أصحاب العربية ادعوا أن ذلك يعد من الفصاحة. وما بينوا أنه من أي الوجوه يعد من هذا الباب؟ وأما نحن فقد أطنبنا فيه في تفسير قوله تعالى: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة [يونس: ٢٢] فلا فائدة في الإعادة.
والبحث الرابع: قوله: فأخرجنا صيغة الجمع. والله واحد فرد لا شريك له، إلا أن الملك العظيم إذا كنى عن نفسه، فإنما يكني بصيغة الجمع، فكذلك هاهنا. ونظيره قوله: إنا أنزلناه [الدخان: ٣] إنا أرسلنا نوحا [نوح: ١] إنا نحن نزلنا الذكر [الحجر: ٩] .
أما قوله: فأخرجنا منه خضرا فقال الزجاج: معنى خضر، كمعنى أخضر، يقال اخضر/ فهو أخضر وخضر، مثل اعور فهو أعور وعور. وقال الليث: الخضر في كتاب الله هو الزرع وفي الكلام كل نبات من الخضر، وأقول إنه تعالى حصر النبت في الآية المتقدمة في قسمين: حيث قال: إن الله فالق الحب والنوى فالذي ينبت من الحب هو الزرع، والذي ينبت من النوى هو الشجر فاعتبر هذه القسمة أيضا في هذه الآية فابتدأ بذكر الزرع، وهو المراد بقوله: فأخرجنا منه خضرا وهو الزرع، كما رويناه عن الليث. وقال ابن عباس:". (١)

١١٠. ١١٠-"الله، فإن كان دعاء وجب إخفاؤه لقوله تعالى: ادعوا ربكم تضرعا وخفية وإن كان اسما من أسماء الله تعالى وجب إخفاؤه لقوله تعالى: واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة [الأعراف: ٢٠٥] فإن لم يثبت الوجوب فلا أقل من الندبية ونحن بهذا القول نقول.
أما قوله تعالى: إنه لا يحب المعتدين ففيه مسائل:
المسألة الأولى: أجمع المسلمون على أن المحبة صفة من صفات الله تعالى، لأن القرآن نطق بإثباتها في آيات كثيرة. واتفقوا على أنه ليس معناها شهوة النفس وميل الطبع وطلب التلذذ بالشيء لأن كل ذلك في حق الله تعالى محال بالاتفاق، واختلفوا في تفسير المحبة في حق الله تعالى على ثلاثة أقوال:
فالقول الأول: أنها عبارة عن إيصال الله الثواب والخير والرحمة إلى العبد.
والقول الثاني: أنها عبارة عن كونه تعالى مريدا لإيصال الثواب والخير إلى العبد. وهذا الاختلاف بناء على مسألة أخرى وهي: أنه تعالى هل هو موصوف بصفة الإرادة أم لا؟ قال الكعبي وأبو الحسين:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٨٤/١٣

إنه تعالى غير موصوف بالإرادة البتة، فكونه تعالى مريدا لأفعال نفسه أنه موجد لها وفاعل لها، وكونه تعالى مريدا لأفعال غيره كونه آمرا بها ولا يجوز كونه تعالى موصوفا بصفة الإرادة. وأما أصحابنا ومعتزلة البصرة فقد أثبتوا كونه تعالى موصوفا بصفة المريدية.

إذا عرفت هذا فمن نفى الإرادة في حق الله تعالى فسر محبة الله بمجرد إيصال الثواب إلى العبد ومن أثبت الإرادة الله تعالى فسر محبة الله بإرادته لإيصال الثواب إليه.

والقول الثالث: أنه لا يبعد أن تكون محبة الله تعالى للعبد صفة وراء كونه تعالى مريدا لإيصال الثواب إليه، وذلك لأنا نجد في الشاهد أن الأب يحب ابنه فيترتب على تلك المحبة إرادة إيصال الخير إلى ذلك الابن فكانت هذه الإرادة أثرا من آثار تلك المحبة وثمرة من ثمراتها وفائدة من فوائدها. أقصى ما في الباب أن يقال:

إن هذه المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة وميل الطبع ورغبة النفس وذلك في حق الله تعالى محال، إلا أنا نقول: لم لا يجوز أن يقال محبة الله تعالى صفة أخرى، سوى الشهوة وميل الطبع يترتب عليها إرادة إيصال الخير والثواب إلى العبد؟ أقصى ما في الباب، أنا لا نعرف أن تلك المحبة ما هي وكيف هي؟ إلا أن عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء ألا ترى أن أهل السنة يثبتون كونه تعالى مرئيا، ثم يقولون أن تلك الرؤية مخالفة لرؤية الأجسام والألوان، بل هي رؤية بلا كيف، فلم لا يقولون هاهنا أيضا إن محبة الله للعبد محبة منزهة عن ميل الطبع وشهوة النفس بل هي محبة بلا كيف؟ فثبت أن جزم المتكلمين بأنه لا معنى لمحبة الله إلا إرادة إيصال الثواب ليس لهم على هذا الحصر دليل قاطع. بل أقصى ما في الباب أن يقال **لا دليل على** إثبات صفة أخرى سوى الإرادة فوجب نفيها، لكنا بينا في كتاب نهاية العقول أن هذه الطريقة ضعيفة ساقطة.

المسألة الثانية: قوله: إنه لا يحب المعتدين أي المجاوزين ما أمروا به. قال الكلبي وابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء.

المسألة الثالثة: اعلم أن كل من خالف أمر الله تعالى ونهيه، فقد اعتدى وتعدى فيدخل تحت قوله: إنه لا يحب المعتدين وقد بينا أن من لا يحبه الله فإنه يعذبه، فظاهر هذه الآية يقتضي أن كل من خالف أمر الله". (١)

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٨٢/١٤

١١١.	١١١-"اعلم أن فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه وذكر هاهنا شبهتين الأولى: قوله: ما علمت لكم من إله غيري وهذا في الحقيقة يشتمل على كلامين: أحدهما: نفي إله غيره والثاني: إثبات إلهية نفسه، فأما الأول فقد كان اعتماده على أن ما لا دليل عليه لم يجز إثباته، أما أنه لا دليل عليه فلأن هذه الكواكب والأفلاك كافية في اختلاف أحوال هذا العالم السفلي فلا حاجة إلى إثبات صانع، وأما أن ما لا دليل عليه لم يجز إثباته فالأمر فيه ظاهر.

واعلم أن المقدمة الأولى كاذبة فإنا لا نسلم أنه **لا دليل على** وجود الصانع وذلك لأنا إذا عرفنا بالدليل حدوث الأجسام عرفنا حدوث الأفلاك والكواكب، وعرفنا بالضرورة أن المحدث، لا بد له من محدث فحينئذ نعرف بالدليل أن هذا العالم له صانع، والعجب أن جماعة اعتمدوا في نفي كثير من الأشياء على أن قالوا لا دليل عليه فوجب نفيه، قالوا وإنما قلنا إنه لا دليل لأنا بحثنا وسبرنا فلم نجد عليه دليلا، فرجع حاصل كلامهم بعد التحقيق إلى أن كل ما لا يعرف عليه دليل وجب نفيه، وإن فرعون لم يقطع بالنفي بل قال لا دليل عليه فلا أثبته بل أظنه كاذبا في دعواه، ففرعون على نهاية جهله أحسن حالا من هذا المستدل. أما الثاني وهو إثباته إلهية نفسه، فاعلم أنه ليس المراد منه أنه كان يدعي كونه خالقا للسموات والأرض والبحار والجبال وخالقا لذوات الناس وصفاتهم، فإن العلم بامتناع ذلك من أوائل العقول فالشك فيه يقتضي زوال العقل، بل الإله هو المعبود فالرجل كان ينفي الصانع ويقول لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره، فهذا هو المراد من ادعائه الإلهية لا ما ظنه الجمهور من ادعائه كونه خالقا للسماء والأرض، لا سيما وقد دللنا في سورة طه [٤٩] في تفسير قوله: فمن ربكما يا موسى على أنه كان عارفا بالله تعالى وأنه كان يقول ذلك ترويجا على الأغمار من الناس الشبهة الثانية: قوله: فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين وهاهنا أبحاث:

الأول: تعلقت المشبهة بهذه الآية في أن الله تعالى في السماء قالوا لولا أن موسى عليه السلام دعاه إلى ذلك لما قال فرعون هذا القول والجواب: إن موسى عليه السلام دل فرعون بقوله: / رب السماوات والأرض [الشعراء: ٢٤] ولم يقل هو الذي في السماء دون الأرض، فأوهم فرعون أنه يقول إن إلهه في السماء، وذلك أيضا من خبث فرعون ومكره ودهائه.

الثاني: اختلفوا في أن فرعون هل بنى هذا الصرح؟ قال قوم إنه بناه قالوا إنه لما أمر ببناء الصرح جمع

هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق، فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل وقطعة وقعت في البحر وقطعة في المغرب، ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك،

ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه ورمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليهم وهي ملطوخة بالدم، فقال قد قتلت إله". (١)

١١٢. ١١٢-"موسى فعند ذلك بعث الله تعالى جبريل عليه السلام لهدمه.

ومن الناس من قال إنه لم يبن ذلك الصرح لأنه يبعد من العقلاء أن يظنوا أنهم بصعود الصرح يقربون من السماء مع علمهم بأن من على أعلى الجبال الشاهقة يرى السماء كما كان يراها حين كان على قرار الأرض، ومن شك في ذلك خرج عن حد العقل، وهكذا القول فيما يقال من رمي السهم إلى السماء ورجوعه متلطخا بالدم، فإن كل من كان كامل العقل يعلم أنه لا يمكنه إيصال السهم إلى السماء، وأن من حاول ذلك كان من المجانين فلا يليق بالعقل والدين حمل القصة التي حكاها الله تعالى في القرآن على محمل يعرف فساده بضرورة العقل، فيصير ذلك مشرعا قويا لمن أحب الطعن في القرآن، فالأقرب أنه كان أوهم البناء ولم يبن أو كان هذا من تتمة قوله: ما علمت لكم من إله غيري يعني لا سبيل إلى إثباته بالدليل، فإن حركات الكواكب كافية في تغير هذا العالم ولا سبيل إلى إثباته بالحسن، فإن الإحساس به لا يمكن إلا بعد صعود السماء وذلك مما لا سبيل إليه، ثم قال عند ذلك لهامان: ابن لي صرحا أبلغ به أسباب السماوات وإنما قال ذلك على سبيل التهكم فبمجموع هذه الأشياء قرر أنه **لا دليل على** الصانع، ثم إنه رتب النتيجة عليه فقال: وإني لأظنه من الكاذبين فهذا التأويل أولى مما عداه.

الثالث: إنما قال: فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أليق بفصاحة القرآن وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان، وهو وزيره بالإيقاد على الطين فنادى باسمه بيافي وسط الكلام دليل على التعظم والتجبر، والطلوع

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٤/٥٩٩

والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى واحد.

أما قوله: واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق فاعلم أن الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى وهو المتكبر في الحقيقة أي المبالغ في كبرياء الشأن،

قال عليه السلام فيما حكى عن ربه «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار «١» »

وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق.

المسألة الثانية: قال الجبائي الآية تدل على أنه تعالى ما أعطاه الملك وإلا لكان ذلك بحق وهكذا كل متغلب، لا كما ادعى ملوك بني أمية عند تغلبهم أن ملكهم من الله تعالى فإن الله تعالى قد بين في كل غاصب لحكم الله أنه أخذ ذلك بغير حق، واعلم أن هذا ضعيف لأن وصول ذلك الملك إليه، إما أن يكون منه أو من الله تعالى، أو لا منه ولا من الله تعالى، فإن كان منه فلم لم يقدر عليه غيره، فربما كان العاجز أقوى وأعقل بكثير من المتولي للأمر؟ وإن كان من الله تعالى فقد صح الغرض، وإن كان من سائر الناس فلم اجتمعت دواعي الناس على نصرة أحدهما وخذلان الآخر؟ واعلم أن هذا أظهر من أن يرتاب فيه العاقل.

أما قوله: وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فهذا يدل على أنهم كانوا عارفين بالله تعالى إلا أنهم كانوا ينكرون البعث فلأجل ذلك تمردوا وطغوا «٢» .

أما قوله: فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فهو من الكلام المفحم الذي دل به على عظم شأنه وكبرياء سلطانه، شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم، وإن كانوا الكبير الكثير والجم الغفير بحصيات

---

(١)

لهذا الحديث تتمة وهي «فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار ولا أبالي» .

(٢) إن تواريخ قدماء المصريين وآثارهم والنقوش التي في معابدهم وأهرامهم تشهد بأنهم كانوا يؤمنون بالرجعة والبعث، فالمراد بالآية تشبيه حالهم في اتباع الأهواء والانصراف عن الآخرة وعدم العمل لما بعد الموت بحال من ينكر البعث.". (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٢٤/٦٠٠

١١٣. ١١٣-"وعصى آدم ربه فغوى [طه: ١٢١] وإنما قلنا إن العاصي صاحب الكبيرة لوجهين: الأول: أن النص يقتضي كونه معاقبا لقوله تعالى: ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم [الجن: ٢٣] فلا معنى لصاحب الكبيرة إلا ذلك، الثاني: أن العاصي اسم ذم فوجب أن لا يتناول إلا صاحب الكبيرة، الوجه الثاني في التمسك بقصة آدم أنه كان غاويا لقوله تعالى فغوى والغي ضد الرشد، لقوله تعالى: قد تبين الرشد من الغي [البقرة: ٢٥٦] ، فجعل الغي مقابلا للرشد، الوجه الثالث: أنه تائب والتائب مذنب، وإنما قلنا إنه تائب لقوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه [البقرة: ٣٧] وقال: ثم اجتباه ربه فتاب عليه [طه: ١٢٢] وإنما قلنا: التائب مذنب لأن التائب هو النادم على فعل الذنب، والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب، فإن كذب في ذلك الإخبار فهو مذنب بالكذب، وإن صدق فيه فهو المطلوب. الوجه الرابع: أنه ارتكب المنهي عنه في قوله: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة [الأعراف: ٢٢] ، ولا تقربا هذه الشجرة [الأعراف: ١٩] ، وارتكاب المنهي عنه عين الذنب. الوجه الخامس: سماه ظالما في قوله: فتكونا من الظالمين [البقرة: ٣٥] وهو سمى نفسه ظالما في قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا [الأعراف: ٢٣] والظالم ملعون لقوله تعالى: ألا لعنة الله على الظالمين [هود: ١٨] ومن استحق اللعن كان صاحب الكبيرة. الوجه السادس: أنه اعترف بأنه لولا مغفرة الله إياه وإلا لكان خاسرا في قوله: وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين [الأعراف: ٢٣] ، وذلك يقتضي كونه صاحب الكبيرة. وسابعها: أنه أخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان وإزلاله جزاء على ما أقدم عليه من طاعة الشيطان، وذلك يدل على كونه صاحب الكبيرة، ثم قالوا:

هب أن كل واحد من هذه الوجوه لا يدل على كونه فاعلا للكبيرة، لكن مجموعها لا شك في كونه قاطعا في الدلالة عليه، ويجوز أن يكون كل واحد من هذه الوجوه وإن لم يدل على الشيء/ لكن مجموع تلك الوجوه يكون دالا على الشيء. والجواب المعتمد عن الوجوه السبعة عندنا أن نقول: كلامكم إنما يتم لو أتيتم بالدلالة على أن ذلك كان حال النبوة، وذلك ممنوع فلم لا يجوز أن يقال: إن آدم عليه السلام حالما صدرت عنه هذه الزلة ما كان نبيا، ثم بعد ذلك صار نبيا ونحن قد بينا أنه لا دليل على هذا المقام. وأما الاستقصاء في الجواب عن كل واحد من الوجوه المفصلة فسيأتي إن شاء الله تعالى عند الكلام في تفسير كل واحد من هذه الآيات.

ولنذكر هاهنا كيفية تلك الزلة ليظهر مراد الله تعالى من قوله: فأزلهما الشيطان [البقرة: ٣٦] فنقول لنفرض أنه صدر ذلك الفعل عن آدم عليه السلام بعد النبوة فإقدامه على ذلك الفعل إما أن يكون

حال كونه ناسيا أو حال كونه ذاكرا، أما الأول: وهو أنه فعله ناسيا فهو قول طائفة من المتكلمين واحتجوا عليه بقوله تعالى: ولم نجد له عزما [طه: ١١٥] ومثلوه بالصائم يشتغل بأمر يستغرقه ويغلب عليه فيصير ساهيا عن الصوم ويأكل في أثناء ذلك السهو [لا] عن قصد، لا يقال هذا باطل من وجهين. الأول: أن قوله تعالى: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين، وقوله: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين [الأعراف: ٢٠- ٢١] يدل على أنه ما نسي النهي حال الإقدام. وروي عن ابن عباس ما يدل على أن آدم عليه السلام تعمد لأنه قال لما أكلا منها فبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة، فحسسته فناداه الله تعالى أفرارا مني، فقال: بل حياء منك، فقال له: أما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك؟ قال: بلى يا رب ولكني وعزتك ما كنت أرى أن أحدا يحلف بك كاذبا، فقال: وعزتي لأهبطنك منها ثم لا تنال العيش إلا كدا.

الثاني: وهو أنه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل، أما من حيث العقل فلأن الناسي غير قادر على الفعل، فلا يكون مكلفا". (١)

١١٤. ١١٤-"[سورة البقرة (٢) : آية ١٠٢]

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (١٠٢)

اعلم أن هذا هو نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه ودعاؤهم الناس إليه.

أما قوله تعالى: واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ففيه مسائل:

المسألة الأولى: قوله تعالى: واتبعوا حكاية عمن تقدم ذكره وهم اليهود، ثم فيه أقوال، أحدها: أنهم اليهود الذين كانوا في زمان محمد عليه الصلاة والسلام، وثانيها: أنهم الذين تقدموا من اليهود، وثالثها: أنهم الذين كانوا في زمن سليمان عليه السلام من السحرة لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان عليه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣/٤٥٩

السلام ويعدونه من جملة الملوك في الدنيا، فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنه إنما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر، ورابعها: أنه يتناول الكل وهذا أولى لأنه ليس صرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى غيره، إذ **لا دليل على** التخصيص. قال السدي: لما جاءهم محمد عليه الصلاة والسلام عارضوه بالتوراة فخاصموه بها فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن، فهذا قوله تعالى: ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم [البقرة: ١٠١] ثم أخبر عنهم بأنهم اتبعوا كتب السحر.

المسألة الثانية: ذكروا في تفسير: تتلوا وجوها، أحدها: أن المراد منه التلاوة والإخبار، وثانيها: قال أبو مسلم (تتلوا) أي تكذب على ملك سليمان. يقال: تلا عليه إذا كذب وتلا عنه، إذا صدق وإذا أبهم جاز الأمران. والأقرب هو الأول لأن التلاوة حقيقة في الخبر، إلا أن المخبر يقال في خبره إذا كان كذبا إنه تلا فلان وإنه قد تلا على فلان ليميز بينه وبين الصدق الذي لا يقال فيه، روي عن فلان، بل يقال: روى عن فلان وأخبر عن فلان وتلا عن فلان وذلك لا يليق إلا بالأخبار والتلاوة، ولا يمتنع أن يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان مما يتلى ويقرأ فيجتمع فيه كل الأوصاف.

المسألة الثالثة: اختلفوا في الشياطين فقيل: المراد شياطين الجن وهو قول الأكثرين، وقيل: شياطين الإنس وهو قول المتكلمين من المعتزلة، وقيل: هم شياطين الإنس والجن معا. أما الذين حملوه على شياطين الجن قالوا: إن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دونوها في كتب يقرءونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا: إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون: هذا علم سليمان وما تم له ملكه إلا بهذا العلم وبه يسخر الجن والإنس والريح التي تجري بأمره. وأما الذين حملوه على شياطين الإنس قالوا:

روي في الخبر أن سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه حرصا على أنه إن هلك الظاهر منها يبقى ذلك". (١)

١١٥. ١١٥-"خفية، وقال الفلاسفة: إنها تصورات الحروف والأصوات وتخيلاتها على مثال الصور المنطبعة في المرايا، فإن تلك الصور تشبه تلك الأشياء من بعض الوجوه، وإن لم تكن مشابهة لها في

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٦١٧/٣

كل الوجوه.

ولقائل أن يقول: صور هذه الحروف وتخيلاتها هل تشبه هذه الحروف في كونها حروفا أو لا تشبهها؟ فإن كان الأول فصور الحروف حروف، فعاد القول إلى أن هذه الخواطر أصوات وحروف خفية، وإن كان الثاني لم تكن تصورات هذه الحروف حروفا، لكني أجد من نفسي هذه الحروف والأصوات مترتبة منتظمة على حسب انتظامها في الخارج، والعربي لا يتكلم في قلبه إلا بالعربية، وكذا العجمي، وتصورات هذه الحروف وتعاقبها وتواليها لا يكون إلا على مطابقة تعاقبها وتواليها في الخارج، فثبت أنها في أنفسها حروف وأصوات خفية وثانيها: أن فاعل هذه الخواطر من هو؟ أما على أصلنا وهو أن خالق الحوادث بأسرها هو الله تعالى، فالأمر ظاهر وأما على أصل المعتزلة فهم لا يقولون بذلك، وأيضا فلأن المتكلم عندهم من فعل الكلام فلو كان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى، وفيها ما يكون كذبا وسخفا، لزم كون الله موصوفا بذلك تعالى الله عنه، ولا يمكن أن يقال: إن فاعلها هو العبد، لأن العبد قد يكره حصول تلك الخواطر، ويحتال في دفعها عن نفسه مع أنها البتة لا تندفع، بل ينجر البعض إلى البعض على سبيل الاتصال، / فإذن لا بد هاهنا من شيء آخر، وهو إما الملك وإما الشيطان، فلعلهما يتكلمان بهذا الكلام في أقصى الدماغ، وفي أقصى القلب، حتى إن الإنسان وإن كان في غاية الصمم، فإنه يسمع هذه الحروف والأصوات ثم إن قلنا بأن الشيطان والملك ذوات قائمة بأنفسها، غير متحيزة البتة، لم يبعد كونها قادرة على مثل هذه الأفعال، وإن قلنا بأنها أجسام لطيفة لم يبعد أيضا أن يقال:

إنها وإن كانت لا تتولج بواطن البشر إلا أنهم يقدرون على إيصال هذا الكلام إلى بواطن البشر، ولا بعد أيضا أن يقال إنها لغاية لطافتها تقدر على النفوذ في مضايق باطن البشر ومخارق جسمه وتوصل الكلام إلى الأقصى قلبه ودماغه، ثم إنها مع لطافتها تكون مستحكمة التركيب، بحيث يكون اتصال بعض أجزائه بالبعض اتصالا لا ينفصل، فلا جرم لا يقتضي نفوذها في هذه المضايق والمخارق انفصالها وتفرق أجزائها وكل هذه الاحتمالات مما **لا دليل على** فسادها والأمر في معرفة حقائقها عند الله تعالى، ومما يدل على إثبات إلهام الملائكة بالخير قوله تعالى: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا [الأنفال: ١٢] أي ألهموهم الثبات وشجعوهم على أعدائهم، ويدل عليه من الأخبار قوله عليه الصلاة والسلام «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة»

وفي الحديث أيضا «إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطانا وقرن الله به ملكا، فالشيطان جاثم

على أذن قلبه الأيسر، والملك جاثم على أذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه»
ومن صوفية والفلاسفة من فسر الملك الداعي إلى الخير بالقوة العقلية، وفسر الشيطان الداعي إلى الشر بالقوة والشهوانية والغضبية.
المسألة الثاني: دلت الآية على أن الشيطان لا يأمر إلا بالقبائح لأنه تعالى ذكره بكلمة إنما وهي للحصر، وقال بعض العارفين: إن الشيطان قد يدعو إلى الخير لكن لغرض أن يجره منه إلى الشر وذلك يدل على أنواع: إما أن يجره من الأفضل إلى الفاضل ليتمكن من أن يخرجه من الفاضل إلى الشر، وإما أن يجره من الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشق ليصير ازدياد المشقة سببا لحصول النفرة عن الطاعة بالكلية.
المسألة الثالثة: قوله تعالى: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يتناول جميع المذاهب الفاسدة بل". (١)

١١٦. ١١٦-"المسألة الرابعة: ظاهر قوله: سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يقتضي وقوع الرعب في جميع الكفار، فذهب بعض العلماء إلى إجراء هذا العموم على ظاهره، لأنه لا أحد يخالف دين الإسلام إلا وفي قلبه ضرب من الرعب من المسلمين، إما في الحرب، وإما عند المحاجة.
وقوله تعالى: سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب لا يقتضي وقوع جميع أنواع الرعب في قلوب الكفار، إنما يقتضي وقوع هذه الحقيقة في قلوبهم من بعض الوجوه، وذهب جمع من المفسرين إلى أنه مخصوص بأولئك الكفار.
أما قوله: بما أشركوا بالله فاعلم أن (ما) مصدرية، والمعنى: بسبب إشراكهم بالله.
واعلم أن تقدير هذا بالوجه المعقول هو أن الدعاء إنما يصير في محل الإجابة عند الاضطرار كما قال: أمن يجيب المضطر إذا دعاه [النحل: ٦٢] ومن اعتقد أن لله شريكا لم يحصل له الاضطرار، لأنه يقول:
إن كان هذا المعبود لا ينصرني، فذاك الآخر ينصرني، وإن لم يحصل في قلبه الاضطرار لم تحصل الإجابة ولا النصرة، وإذا لم يحصل ذلك وجب أن يحصل الرعب والخوف في قلبه، فثبت أن الإشراك بالله يوجب الرعب.
أما قوله: ما لم ينزل به سلطانا ففيه مسائل:

---
(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ١٨٧/٥

المسألة الأولى: السلطان هاهنا هو الحجة والبرهان، وفي اشتقاقه وجوه: الأول: قال الزجاج: إنه من السليط وهو الذي يضاء به السراج، وقيل للأمراء سلاطين لأنهم الذين بهم يتوصل الناس إلى تحصيل الحقوق.

الثاني: أن السلطان في اللغة هو الحجة، وإنما قيل للأمير سلطان، لأن معناه أنه ذو الحجة. الثالث: قال الليث: السلطان القدرة، لأن أصل بنائه من التسليط وعلى هذا سلطان الملك: قوته وقدرته، ويسمى البرهان سلطانا لقوته على دفع الباطل. الرابع: قال ابن دريد: سلطان كل شيء حدته، وهو مأخوذ من اللسان السليط، والسلاطة بمعنى الحدة.

المسألة الثانية: قوله: ما لم ينزل به سلطانا يوهم أن فيه سلطانا إلا أن الله تعالى ما أنزله وما أظهره، إلا أن الجواب عنه أنه لو كان لأنزل الله به سلطانا، فلما لم ينزل به سلطانا وجب عدمه، وحاصل الكلام فيه ما يقوله المتكلمون: أن هذا مما لا دليل عليه فلم يجز إثباته، ومنهم من يبالغ فيقول: لا دليل عليه فيجب نفيه، ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع، فقال: لا سبيل إلى إثبات الصانع إلا باحتياج المحدثات إليه، ويكفي في دفع هذه الحاجة إثبات الصانع الواحد، فما زاد عليه لا سبيل إلى إثباته فلم يجز إثباته.

المسألة الثالثة: هذه الآية دالة على فساد التقليد، وذلك لأن الآية دالة على أن الشرك لا دليل عليه، فوجب أن يكون القول به باطلا، وهذا إنما يصح إذا كان القول بإثبات ما **لا دليل على** ثبوته يكون باطلا، فيلزم فساد القول بالتقليد.

ثم قال تعالى: ومأواهم النار.

واعلم أنه تعالى بين أن أحوال هؤلاء المشركين في الدنيا هو وقوع الخوف في قلوبهم، وبين أحوالهم في الآخرة، وهي أن مأواهم ومسكنهم النار.

ثم قال: وبئس مثوى الظالمين المثوى: المكان الذي يكون مقر الإنسان ومأواه، من قولهم: ثوى يثوي ثويا، وجمع المثوى مثاوي.". (١)

١١٧. ١١٧-"يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة، فإني قد خنته حين قرفته «١» وقلت «جزاء من

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٩/٣٨٥

أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن وأودعته السجن- تريد الاعتذار مما كان منها- إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى: إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت. فإن قلت: كيف صح أن يجعل من كلام يوسف **ولا دليل على** ذلك؟

قلت: كفى بالمعنى دليلا قائدا «٢» إلى أن يجعل من كلامه. ونحوه قوله قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ثم قال فماذا تأمرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم. وعن ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره، ذهب إلى أن ذلك ليعلم متصل بقوله فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ولقد لفقت المبطلة «٣» روايات مصنوعة، «٤» فزعموا أن يوسف حين قال أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت بها، وقالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف، وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله «٥» .

[سورة يوسف (١٢) : آية ٥٤]

وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين (٥٤)

يقال استخلصه واستخصه، إذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال أيها الصديق إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء. روى أن الرسول جاءه فقال: أحب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله: اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات.

وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى «٦» وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة

---

(١) . قوله «حين قرفته» أى اتهمته. (ع)

(٢) . قوله «دليلا قائدا» أى مؤديا. (ع)

(٣) . قوله «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة» يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيما مر. (ع)

(٤) . عاد كلامه. قال: «ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة ... الخ» قال أحمد: ولقد صدق في التوريك على نقله هذه الزيادات بالبهت، وذلك شأن المبطلة من كل طائفة، كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقا أن الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول: يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة، كل ذلك ليتم لهم غرضهم في أنه طلب محالا في العقول على الله تعالى، ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل، والله الموفق. [.....]

(٥) . قوله «وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله» أى اتهامهم بما لم يفعله. أفاده الصحاح. (ع)
(٦) . قوله «البلوى» عبارة النسفي البلواء. (ع)". [١]

١١٨. ١١٨-"النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله، «١» فاستخفوا بهم واحتقروهم.

وقرئ: عباد الرحمن، وعبيد الرحمن، وعبد الرحمن، وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم. وإناثا، وأنثا: جمع الجمع. ومعنى جعلوا: سموا وقالوا إنهم إناث. وقرئ: أشهدوا وأشهدوا، بهمزتين مفتوحة ومضمومة. وآ أشهدوا بألف بينهما، وهذا تهكم بهم، بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم إلى علم، فإن الله لم يضطرهم إلى علم ذلك، ولا تطرقوا إليه باستدلال، ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم، فلم يبق إلا أن يشاهدوا خلقهم، فأخبروا عن هذه المشاهدة ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم ويسئلون وهذا وعيد.

وقرئ: سيكتب، وسنكتب: بالياء والنون. وشهادتهم، وشهاداتهم. ويساءلون، على: يفاعلون.

[سورة الزخرف (٤٣) : آية ٢٠]

وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون (٢٠)

وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم هما كفرتان أيضا مضمومتان إلى الكفرات الثلاث، وهما: عبادتهم الملائكة من دون الله، وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله، كما يقول إخوانهم المجبرة «٢» . فإن قلت: ما أنكرت على من يقول: قالوا ذلك على وجه الاستهزاء، ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين؟ قلت: **لا دليل على** أنهم قالوه مستهزئين، وادعاء ما لا دليل عليه باطل، على أن الله تعالى قد حكى عنه ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر: أنهم جعلوا له من عباده جزءا، وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين، وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين إناثا، وأنهم عبدوهم وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم، فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء: لكان النطق بالمحكيات «٣» - قبل هذا المحكي الذي هو إيمان عنده لوجدوا في النطق به- مدحا لهم، من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء، فبقى أن يكونوا جادين، وتشترك كلها في أنها كلمات كفر، فإن قالوا: نجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/ ٤٨١

قبله، فما بهم إلا تعويج

---

(١) . قوله «هم أكرم عباد الله على الله» هذا عند المعتزلة. أما أهل السنة فبعض البشر أكرم عندهم من الملك. (ع)

(٢) . قوله «المجبرة» يريد أهل السنة، حيث قالوا: إنه تعالى يريد الشر كالخير، لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد، لكن هذا لا يستلزم الجبر ولا ينافي اختيار العبد، لما له في أفعاله من الكسب وإن كانت مخلوقة له تعالى في الحقيقة، بل الجبر إنما يكون لو كان العبد لا دخل له في أفعاله أصلا، كالريشة في الهواء، كما قالت المجبرة الحقيقية.

وإنما ذم الله تلك المقالة من الكفار لأنهم قالوها استهزاء وعنادا، لا إقرارا واعتقادا. والدليل على ذلك إجماع سلف الأمة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (ع)

(٣) . قوله: «لكان النطق بالمحكيات ... الخ» ممنوع، وكذا ما بعده، والمعتزلة قالوا: لا يريد الشر بناء على أن الارادة هي الأمر، وهو ممنوع، وعفا الله عن صاحب الكتاب في بذأة لسانه على أهل السنة، وجعلهم إخوان الكفار. (ع)". (١)

١١٩. ١١٩-"﴿١-٤﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب * أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد * قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ .

يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات. والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، و [سرعة] الانقياد له، وشكر الله على المنة به.

ولكن أكثر الناس، لا يقدر نعم الله قدرها، ولهذا قال تعالى: ﴿بل عجبوا﴾ أي: المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم، ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ أي: ينذرهم ما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم، وهو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، ومعرفة أحواله وصدقه.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/٢٤٤

فتعجبوا من أمر، لا ينبغي لهم التعجب منه، بل يتعجب من عقل من تعجب منه.

﴿فقال الكافرون﴾ الذين حملهم كفرهم وتكذيبهم، لا نقص بذكائهم وآرائهم (١) .

﴿هذا شيء عجيب﴾ أي: مستغرب، وهم في هذا الاستغراب بين أمرين:

إما صادقون في [استغرابهم و] تعجبهم، فهذا يدل على غاية جهلهم، وضعف عقولهم، بمنزلة المجنون، الذي يستغرب كلام العاقل، وبمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان، وبمنزلة البخيل، الذي يستغرب سخاء أهل السخاء، فأي ضرر يلحق من تعجب من هذه حاله؟ وهل تعجبه، **إلا دليل على** زيادة وظلمه وجهله؟ وإما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه، فهذا من أعظم الظلم وأشنعه.

ثم ذكر وجه تعجبهم فقال: ﴿أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد﴾ فقاسوا قدرة من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه، وقاسوا الجاهل، الذي لا علم له، بمن هو بكل شيء عليم، الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم، وقد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن التغيير والتبديل، كل ما يجري عليهم في حياتهم، ومماتهم، وهذا الاستدلال، بكمال علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا هو، على قدرته على إحياء الموتى.

---

(١) كذا في ب، وفي أ: لا نقص بقلوبهم وعقولهم.". (١)

١٢٠. ١٢٠-"ولو كانت الأشعة تخرج من عين الإنسان لرأى الأشياء سواء أكانت في نور أم في ظلمة، وتعدلت كل النظريات في الضوء على يد العالم المسلم، وجاءت من بعد ذلك الصور الفوتوغرافية والسينما. إذن فالنور وسيلة إلى المرئيات.

ويترك الحق سبحانه وتعالى في أقضية الكون الحسية أدلة على الأقضية المعنوية؛ فالنور الحسيب الذي نراه إما ضوء الشمس وإما ضوء القمر، وإما ضوء المصباح، وإما غير ذلك، وهذا ما يجعل الإنسان يرى الأشياء، ومعنى رؤية الإنسان للأشياء أن يتعامل معها تعاملا نفعيا غير ضار. ونحن نضيء المصباح بالكهرباء حين يغيب النور الطبيعي - نور الشمس - وعندما نضيء مصابيحنا نرى الأشياء

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن ص/٨٠٣

ونتفاعل معها ولا نحطمها ولا تحطمنا، وكل واحد منا يأخذ من النور على قدر إمكاناته. إذن كل واحد يضيء المكان المظلم الذي اضطر إليه بغيبة المنير الطبيعي على حسب استطاعته، فإذا ظهرت الشمس أطفأنا جميعا مصابيحنا؛ هذا دليل من أدلة الكون الحسية الملموسة لنأخذ منها دليلا على أن الله إن فعل لقيمنا نورا فلا نأتي بقيم من عندنا، مادامت قيمه موجودة.

ويوضح الله أن الإنسان بدون قيم هو ميت متحرك، ويأتيه المنهج ليحيا حياة راقية. ويوضح سبحانه لكل إنسان: احرص على الحياة الثانية الخالدة التي لا تنتهي وذلك لا يتأتى الا اتباع المنهج، وإياك أن تظن أن الحياة فقط هي ما تراه في هذا الوجود لأنه إن كانت هذه هي غاية الحياة لما أحس الإنسان بالسعادة؛ لأنه لو كانت الدنيا هي غايتنا للزم أن يكون حظنا من الدنيا جميعا واحدا وأعمارنا واحدة، وحالاتنا واحدة، والاختلاف فيها طولا وقصرا وحالا دليل على أنها ليست الغاية؛ لأن غاية المتساوي لا بد أن تكون متساوية.

إذن فقول الله هو القول الفصل: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان. .﴾ [العنكبوت: ٦٤]

فهذه هي الحياة التي لا تضيع منك ولا تضيع منها، ولا يفوتك خيرها ولا تفوته. إذن فالذي يحيا الحياة الحسية الأولى وهي الحركة بالنفخ في الروح هو ميت متحرك.". (١)

١٢١. ١٢١–"كتابه العزيز، فقال سبحانه: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ... ﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ... ﴾ [الإسراء: ٢٣] قالوا: لأن الأب هو سبب الوجود المباشر، فإذا لم تبره، وأنكرت أبوته وتمردت عليها، فلعلك تتمرد أيضا على سبب الوجود الأصلي، فالوالدان لهما حق البر والإحسان، حتى لو كانا كافرين.

لذلك، لما سئل صلى الله عليه وسلم : أيسرق المؤمن؟ قال: نعم، أيزني المؤمن، قال: نعم، أيكذب المؤمن؟ قال: لا؟ . فالشرع حين يضع للجريمة حدا وعقوبة، فهذا إيذان بأنها ستحدث في المجتمع المسلم، أما الكذب فلم يضع له الشارع حدا، مع أنه أشد من السرقة، أوعظم من الزنى، لماذا؟

قالوا: لأن المؤمن لا يتصور منه الكذب، ولا يجترئ هو عليه؛ لأنه إن عرف عنه الكذب وقال أمامك: أشهد أن لا إله إلا الله يمكنك أن تقول له: أنت كاذب.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ذلكم. .﴾ [الأحزاب: ٤] أي: ما تقدم من جعل الزوجة أما، أو جعل

---

(١) تفسير الشعراوي ٣٩١٢/٧

الدعي ابنا، فالزوجة لا تكون أبدا أما؛ لأن الأم هي التي ولدت، كذلك لا يكون للولد إلا أب واحد ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم. .﴾ [الأحزاب: ٤] وهل يكون القول إلا بالأفواه؟ فماذا أضافت الأفواه هنا؟ قالوا: نعم، القول بالفم، لكن أصله في الفؤاد، وما اللسان **إلا دليل على** ما في الفؤاد، كما قال الشاعر:". (١)

١٢٢. ١٢٢-"وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم، وهم يصدون عن المسجد الحرام؟ ". فأعلمه جل ثناؤه أن الذي استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل، (١) وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم. ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة، وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون. بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر، الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا. وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله: "وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون"، إلى أنه عنى به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم، وعما الله فاعل بهم. **ولا دليل على** أن الخبر عنهم قد تقضى، وعلى ذلك [كني] به عنهم، (٢) وأن لا خلاف في تأويله من أهله موجود.

وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: "وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام"، الآية، لأن قوله جل ثناؤه: "وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون" خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي.

* * *

---

(١) في المطبوعة: " أن الذين استعجلوا العذاب حائق بهم "، وفي المخطوطة كما أثبته إلا أنه كتب مكان " حائق " " حاق "، وهو سهو.

(٢) في المطبوعة: " وعلى أن ذلك به عنوا، ولا خلاف في تأويله "، وفي المخطوطة، كما أثبته، إلا أنه سقط منه [كني] كما أثبته بين القوسين. وإن كنت أظن في الكلام سقطا.

هذا وقد ذكر أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ: ١٥٤، هذا الرأي، ثم قال: " جعل الضميرين مختلفين، وهو قول حسن، وإن كان محمد بن جرير قد أنكره، لأنه زعم أنه لم يتقدم للمؤمنين ذكر، فيكنى عنهم. وهذا غلط، لأنه قد تقدم ذكر المؤمنين في غير موضع من السورة.

---

(١) تفسير الشعراوي ١١٩٢٧/١٩

فإن قيل: لم يتقدم ذكرهم في هذا الموضع.
فالجواب: أن في المعنى دليلا على ذكرهم في هذا الموضع. وذلك أن من قال من الكفار: " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء "، إنما قال ذلك مستهزئا ومتعنتا. ولو قصد الحق لقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له = ولكنه كفر وأنكر أن يكون الله يبعث رسولا بوحي من الله، أي: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأهلك الجماعة من الكفار والمسلمين. فهذا معنى ذكر المسلمين، فيكون المعنى: كيف يهلك الله المسلمين؟ فهذا المعنى: " ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون " يعني المؤمنين = " وما لهم ألا يعذبهم الله "، يعني الكافرين ".". (١)

١٢٣. ١٢٣-"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، عن الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، والحسن البصري، قالا: " قال في الأنفال: ﴿ﷺوما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] فنسختها الآية التي تليها: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ [الأنفال: ٣٤] إلى قوله: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ [آل عمران: ١٠٦] فقوتلوا بمكة، وأصابهم فيها الجوع والحصر " وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: تأويله: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم؛ لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها. وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلي، يراد بذلك: لا أحسن إليك إذا أسأت إلي ولو أسأت إلي لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلي، وكذلك ذلك. ثم قيل: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ [الأنفال: ٣٤] بمعنى: وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام. وإنما قلنا: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن القوم أعني -[١٥٨]- مشركي مكة كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا: اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فقال الله لنبيه: ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا، وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام، فأعلمه جل ثناؤه أن الذين استعجلوا

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر ٥١٨/١٣

العذاب حائق بهم ونازل، وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم. ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة، وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا. وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] إلى أنه عنى به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم، **ولا دليل على** أن الخبر عنهم قد تقضى، وعلى أن ذلك به عنوا، ولا خلاف في تأويله من أهله موجود. وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ [الأنفال: ٣٤] الآية؛ لأن قوله جل ثناؤه: ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر والنهي. واختلف أهل العربية في وجه دخول «أن» في قوله: ﴿وما لهم ألا يعذبهم -[١٥٩]- الله﴾ [الأنفال: ٣٤] فقال بعض نحويي البصرة: هي زائدة هاهنا، وقد عملت كما عملت لا وهي زائدة، وجاء في الشعر:

[البحر البسيط]

لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها ... إلي لام ذوو أحسابها عمرا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية، وقال: لم تدخل «أن» إلا لمعنى صحيح؛ لأن معنى ﴿وما لهم﴾ [الأنفال: ٣٤] ما يمنعهم من أن يعذبوا، قال: فدخلت «أن» لهذا المعنى، وأخرج بـ لا، ليعلم أنه بمعنى الجحد؛ لأن المنع جحد. قال: ولا في البيت صحيح معناها؛ لأن الجحد إذا وقع عليه جحد صار خبرا. وقال: ألا ترى إلى قولك: ما زيد ليس قائما، فقد أوجبت القيام؟ قال: وكذلك لا في هذا البيت". (١)

١٢٤. ١٢٤-"(بئس للظالمين بدلا) أي بئس هذا البدل بدلا لهم، وما هو البدل الخير؟

الجواب: أن يتخذوا الله وليا لا الشيطان.

وقوله: (بئس للظالمين) يمكن أن نقول إنها بمعنى الكافرين لأنهم هم الذين اتخذوا الشيطان وذريته أولياء

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر ١٥٧/١١

على وجه الإطلاق، ويمكن أن نقول إنها تعم الكافرين ومن كان ظلمهم دون ظلم الكفر، فإن لهم من ولاية الشيطان بقدر ما أعرضوا به عن ولاية الرحمن.

***

) ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) (الكهف: ٥١)

قوله تعالى: (ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض) يعني أن هؤلاء الذين اتخذهم الناس أولياء من دون الله ليس لهم حق الكون وبالتدبير، فالله عز وجل ما أشهدهم خلق السموات والأرض؛ لأن السموات والأرض مخلوقتان قبل الشياطين.

(

ولا خلق أنفسهم) يعني ما أشهدت بعضهم خلق بعض. فكيف تتخذونهم أولياء وهم لا شاركوا في الخلق ولا خلقوا شيئا بل ولا شاهدوه، وفي هذه الجملة دليل على أن كل من تكلم في شيء من أمر السموات والأرض، بدون دليل شرعي أو حسي فإنه لا يقبل قوله، فلو قال: إن السموات تكونت من كذا والأرض تكونت من كذا وبعضهم يقول: الأرض قطعة من الشمس وما أشبه ذلك من الكلام الذي **لا دليل على** صحته.

فإننا نقول له: إن الله ما أشهدك خلق السموات والأرض، ولن". (١)

١٢٥. ١٢٥-"(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الأنسان أكثر شيء جدلا) (الكهف: ٥٤)

قوله تعالى: (صرفنا) يعني نوعنا، تصريف الشيء يعني تنويعه كما قال تعالى: (وتصريف الرياح) (البقرة: ١٦٤) ، أي تنويعها من الجنوب إلى الشمال ومن الشرق إلى الغرب، إذا (صرفنا) أي نوعنا في هذا

---

(١) تفسير العثيمين: الكهف ص/٩٣

القرآن من كل مثل، وهكذا الواقع. فكلام الله صدق، أمثال القرآن تجدها متنوعة فتارة لإثبات البعث، وتارة لإثبات وحدانية الله، وتارة لبيان حال الدنيا، وتارة لبيان حال الآخرة، وتارة تكون مطولة، وتارة مختصرة، فهي أنواع. كل نوع في مكانه من البلاغة والفصاحة.

(من كل مثل) أي من كل جنس وصنف، فهذا مثل لكذا وهذا مثل لكذا، لماذا؟

الجواب: من أجل أن يتذكر الناس ويتعظوا ويعقلوها. ولكن يوجد من الناس من لا يتعظ بهذه المثل، بل على العكس، ولهذا قال: (وكان الأنسان أكثر شيء جدلا) ، قوله: (وكان الأنسان) ، بعض المفسرين يقول: (الأنسان) يعني الكافر، ولكن في هذا نظر؛ لأنه **لا دليل على** تخصيصه بالكافر، بل نقول (الأنسان) من حيث الإنسانية.
(شيء جدلا) يعني أكثر ما عنده، ولكن من حيث الإيمان فالمؤمن لا يكون مجادلا، بل يكون مستسلما للحق ولا يجادل فيه، ولهذا قال عبد الله بن مسعود: "ما أوتي قوم الجدل إلا ضلوا" وتدبر حال الصحابة رضي الله عنهم تجد أنهم مستسلمون غاية الاستسلام لما". (١)

١٢٦. ١٢٦-"الثانية: في ذكر عدم تنزيل الحجة مع استحالة تحققها في نفسها، إشعار بنفيها ونفي نزولها جميعا. لأن ما لم ينزل به سلطانا، لا سلطان له.
الثالثة: قال أبو السعود: في الآية إيذان بأن المتبع في الباب هو البرهان السماوي، دون الآراء والأهواء الباطلة.
وقد سبقه إلى ذلك الرازي حيث قال: هذه الآية دالة على فساد التقليد. وذلك لأن الآية دالة على أن الشرك لا دليل عليه، فوجب أن يكون القول به باطلا، وهذا إنما صح إذا كان القول بإثبات ما **لا دليل على** ثبوته، يكون باطلا، فيلزم فساد القول بالتقليد- انتهى- ثم أخبرهم أنه صدقهم وعده في النصر على عدوه، وهو الصادق الوعد، وأنهم لو استمروا على الطاعة ولزموا أمر الرسول لاستمرت نصرتهم، ولكن انخلعوا عن الطاعة، وفارقوا مركزهم ففارقهم النصر، فصرفهم عن عدوهم عقوبة وابتلاء وتعريفا لهم سوء عواقب المعصية وحسن عاقبة الطاعة بقوله:

---

(١) تفسير العثيمين: الكهف ص/٩٦

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٢]

ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (١٥٢)

ولقد صدقكم الله وعده في قوله: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم. إذ تحسونهم أي تقتلونهم قتلا كثيرا. من (حسه) إذا أبطل حسه بإذنه أي بتيسيره وتوفيقه حتى إذا فشلتم أي ضعفتم وتراخيتم بالميل إلى الغنيمة وتنازعتم في الأمر أي في الإقامة بالمركز، فقال أصحاب عبد الله «١» :

الغنيمة. أي قوم! الغنيمة. ظهر أصحابكم فما تنظرون؟ قال عبد الله بن جبير:

أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين- رواه الإمام أحمد- و (الأمر) إما بمعنى الشأن والقصة، وإما الذي يضاده (النهي) أي فيهم أمرتم به من عدم البراح وعصيتم أي أمر الرسول أن لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٩٣.". (١)

١٢٧. ١٢٧-"مخصوص، كما قيل: إنه يطلب في كل جهة من الجهات الأربع في ميل أو ينتظر إلى آخر الوقت حتى لا يبقى إلا ما يسع الصلاة بعد التيمم. إذ **لا دليل على** ذلك. فإذا دخل الوقت المضروب للصلاة، وأراد المصلي القيام إليها فلم يجد حينئذ ما يتوضأ به، أو يغتسل في منزله أو مسجده، أو ما يقرب منهما، كان ذلك عذرا مسوغا للتيمم.

فليس المراد بعدم الوجود في ذلك أن لا يجده بعد الكشف والبحث وإحفاء السؤال.

بل المراد أن لا يكون معه علم أو ظن بوجود شيء منه هنالك، ولم يتمكن في تلك الحالة من تحصيله بشراء أو نحوه. فهذا يصدق عليه أنه لم يجد الماء عند أهل اللغة. والواجب حمل كلام الله تعالى على ذلك، مع عدم وجود عرف شرعي. وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم ما يشعر بما ذكرناه. فإنه تيمم في المدينة من جدار. كما ثبت ذلك في الصحيحين «١» من دون أن يسأل ويطلب. ولم يصح عنه

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٢/٤٢٨

في الطلب شيء تقوم به الحجة. فهذا، كما يدل على وجوب الطلب، يدل على عدم وجوب انتظار آخر الوقت، ويدل على ذلك حديث الرجلين اللذين تيمما في سفر ثم وجدا الماء. فأعاد أحدهما ولم يعد الآخر:

فقال صلى الله عليه وسلم للذي لم يعد: أصبت السنة. أخرجه أبو داود «٢» والحاكم وغيرهما من حديث أبي سعيد.

فإنه يرد قول من قال بوجوب الانتظار إلى آخر الوقت على المتيمم. سواء كان مسافرا أو مقيما. كذا في (الروضة الندية) .

الثالثة- دلت الآية على أن المسافر إذا لم يجد الماء تيمم. طال سفره أو قصر.

الرابعة- قرئ في السبع (لامستم ولمستم) والملامسة واللمس يردان، لغة، بمعنى الجس باليد، وبمعنى الجماع. قال المجد في (القاموس) لمسه يلمسه

---

(١) أخرجه البخاري في: التيمم، ٣- باب التيمم في الحضر إذا لم يجد الماء، حديث ٢٣٢ ونصه: عن حميد الأعرج، قال: سمعت عميرا مولى ابن عباس، قال: أقبلت أنا وعبد الله بن يسار، مولى ميمونة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخلنا على أبي جهيم بن الحارث بن الصمة الأنصاري. فقال أبو الجهيم: أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل. فلقيه رجل فسلم عليه. فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم. حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه، ثم رد عليه السلام.

وأخرجه مسلم في: الحيض، حديث ١١٤.

(٢)

أخرجه أبو داود في: الطهارة، ١٢٦- باب المتيمم يجد الماء بعد ما يصلي في الوقت، حدث ٣٣٨ ونصه: عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء.

فتيمما صعيدا طيبا. فصليا. ثم وجدا الماء في الوقت. فأعاد أحدهم الصلاة والوضوء. ولم يعد الآخر. ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له. فقال للذي لم يعد «أصبت السنة، وأجزأتك صلاتك» وقال للذي توضأ وأعاد «لك الأجر مرتين» .". (١)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ١٢٤/٣

١٢٨. ١٢٨-"أرسلوا شرطا ليقبضوا على المسيح (يعني ليقتلوه كما قال مفسروهم) قال أنا ماكث أيضا معكم زمانا. ثم أنطلق إلى من أرسلني وتطلبونني فلا تجدونني. وحيثما أكن فلا تستطيعون إليه سبيلا. قال اليهود في ذواتهم: فإلى أين؟ هذا عتيد أن ينطلق حتى لا نجده نحن، قال مفسروهم أي: يصعد إلى السماء. وغير ذلك مما لو أردنا ذكره والتنقير عنه لطال البحث.

ثم نقل خير الدين نحوا مما أسلفناه عن أناجيلهم وقال بعض ذلك: فأجل في تناقضها قداح فكرك. وفي تهافتها خيول ذهنك. لترى في هذه القصة ما يدلك على وقوع الشبه ونجاة المسيح عقلا ونقلا. كما قال تعالى: ولكن شبه لهم.

وليتبين لك عبوديته ورسالته عليه السلام. فإن ذلك ظاهر من العبارات. ولنزدك في البيان وضوحا بما ننبهك عليه بكلمات يسيرة مقدوحا ومشروحا.

منها: قولهم إنه صلب قبل غروب يوم الجمعة ودفن مساءها. ولما جاءت النسوة عشية السبت المفسر صباحه عن الأحد، وجدنه فارغا، وقد قام منه المدفون.

مع أن النصارى يزعمون، كما في أناجيلهم، أنه يبقى في قبره ثلاثة أيام. كما بقي يونان، أي: يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام بلياليها، فما هذا **إلا دليل على** الاختلاف والتهافت في هذا الأمر.

ومنها: سؤالة اليهود مرتين من تطلبون؟ وهم يقولون: يسوع الناصري. فلم يعرفوه وهو يقول لهم: أنا.

ومنها: أن يهوذا ارتشى ليدلهم عليه. وجعل العلامة على تعيينه لهم تقبيل يده. فلو كان معلوما لهم لعرفوه بلا دلالة وبلا سؤال. مع أنه كان بين أظهرهم وفي غالب الأيام في هيكلهم.

ومنها: أنه لما أقسم عليه رئيس الكهنة أنه هو المسيح لم يقل له: أنا المسيح. بل قال له: أنت قلت.

ومنها: إنكار بطرس له وهو من أعظم رسله. وإنكاره كفر.

ومنها: أنه لما سأله الوالي: أنت هو؟ لم يرد له جوابا. فلو كان هو لاعترف وأقر.

ومنها: أنه لما كان أخذه ليلا، وقد شوهت صورته وتغيرت محاسنه بالضرب والنكال، فهي حالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه. فكيف بين الشيء وشبهه؟". (١)

١٢٩. ١٢٩-"السلام، وغير ذلك. وحيث كان شأنهم كذلك، وهم مؤيدون بالقوى القدسية، فما ظنك بمن عداهم من العوام؟ فلو شاهدوه كذلك لقضي أمر هلاكهم بالكلية، واستحال جعله نذيرا،

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٣/٤٠٦

وهو- مع كونه خلاف مطلوبهم- مستلزم لإخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة، من إرسال الرسل، وتأسيس الشرائع، وقد قال سبحانه:

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا [الإسراء: ١٥] . انتهى.

وفي (العناية) أن الوجه الثالث لا يناسب قوله: ثم لا ينظرون، لأنه يدل على إهلاكهم، لا على هلاكهم، برؤية الملك، إلا بتكلف.

هذا، وقال الناصر في (الانتصاف) : على الوجه الأول لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك. فإنه ربما يفهم هذا الكلام أن الآيات التي لزمهم الإيمان بها دون نزول الملك في الوضوح، وليس الأمر كذلك.

فالوجه- والله أعلم- أن يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم إيمانهم، أنهم اقترحوا ما لا يتوقف وجوب الإيمان عليه، إذ الذي يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا، لا المعجز الخاص، فإذا أجيبوا على وفق مقترحهم، فلم ينجع فيهم، كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة- والله أعلم-.

قال المهايمي: لا دليل على النبوة سوى شهادة الملك، وتنزيل الملك بصورته الملكوتية يقطع أمر التكليف، إذ لا ينفع الإيمان بعد انكشاف عالم الملكوت، فلا يمهلون، لأن الإمهال للنظر. والمعجزة- وإن أفادت علما ضروريا- لا تخلو عن خفاء يحتاج إلى أدنى نظر، ولا خفاء مع انكشاف عالم الملكوت، فلا وجه للإمهال للنظر، فلا يقبل الإيمان معه، فلا بد من المؤاخذة عقيبه. انتهى- فليتأمل-

.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأنعام (٦) : آية ٩]

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩)

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا جواب ثان. أي: ولو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلناه رجلا، لما مر من عدم استطاعة الآحاد، لمعاينة الملك على صورته، من النور. وإنما رآه كذلك الأفراد من الأنبياء بقوتهم القدسية. وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب محذوف. أي: ولو جعلناه رجلا لشبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم حينئذ، بأن يقولوا له: إنما أنت بشر، ولست بملك. ولو استدل

على". (١)

١٣٠.	١٣٠-"أولها: أنه دعوى **لا دليل على** صحتها! وثانيها: أنه لو كان ما ذكر لأمكن أن ينبأ إبراهيم في المهد كما نبئ عيسى عليه السلام، وكما أوتي يحيي الحكم صبيا فعلى هذا القول لعل إبراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين، وحاشا لله من هذا ... !

وثالثها: أن ولد نوح كان كافرا بنص القرآن: عمل عملا غير صالح. فلو كان أولاد الأنبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا. وحاشا لله من هذا..!

ورابعها: لو كان ذلك، لوجب ولا بد أن تكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم، بل جميع أهل الأرض أنبياء، لأنه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه أنبياء، لأن أباهم نبي، وأولاد أولادهم أنبياء لأن آباءهم أنبياء وهم أولاد أنبياء، وهكذا ... أبدا حتى يبلغ الأمر إلينا! وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه- ما لا خفاء به. وبالله تعالى التوفيق..!

ثم قال ابن حزم:

وذكروا- يعني الكرامية ومن وافقهم- أيضا أخذ يوسف عليه السلام أخاه، وإيحاشه أباه عليه السلام منه، وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعرف أباه خبره وهو يعلم ما يقاسي به من الوجد عليه، فلم يفعل وليس بينه وبينه إلا عشر ليال! وبإدخاله صواع الملك في وعاء أخيه ولم يعلم بذلك سائر إخوته، ثم أمر من هتف أيتها العير إنكم لسارقون [يوسف: ٧٠] ، وهم لم يسرقوا شيئا، ويقول الله تعالى: ولقد همت به، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه [يوسف: ٢٤] ، وبخدمته لفرعون، وبقوله للذي كان معه في السجن اذكرني عند ربك [يوسف: ٤٢] .

قال ابن حزم: وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه، ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته، فنقول وبالله تعالى نتأيد: اما أخذه أخاه وإيحاشه أباه منه فلا شك في أن ذلك ليرفق بأخيه وليعود إخوته إليه، ولعلهم لو مضوا بأخيه لم يعودوا إليه وهم في مملكة أخرى، وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ولا لملك مصر هنالك، وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم! ولا سبب إلى أن يظن برسول الله يوسف عليه السلام الذي أوتي العلم والمعرفة بالتأويل- إلا أحسن الوجوه. وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا. ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه، فكيف برسول الله صلوات الله عليه

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٤/٣١٩

وأما ظنهم- أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ولم يفعل- فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لأن يعقوب في أرض كنعان من". (١)

١٣١. ١٣١-"العواقب الحميدة والغايات المطلوبة. فإن كونه على صراط مستقيم يأبى ذلك كله.

قال محمد بن جرير الطبري: وقوله: إن ربي على صراط مستقيم يقول: إن ربي على طريق الحق يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته. لا يظلم أحدا منهم ولا يقبل منهم إلا الإسلام له والإيمان به.

ثم حكي عن مجاهد من طريق شبل بن أبي نجيح عنه إن ربي على صراط مستقيم قال: الحق. وكذلك رواه ابن جريج عنه.

وقال فرقة: هي مثل قوله: إن ربك لبالمرصاد [الفجر: ١٤] ، وهذا اختلاف عبارة. فإن كونه بالمرصاد هو مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقال فرقة: في الكلام حذف تقديره: إن ربي يحثكم على صراط مستقيم ويحضكم عليه. وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية التي أريد بها. فليس كما زعموا **ولا دليل على** هذا المقدر. وقد فرق سبحانه بين كونه آمرا بالعدل وبين كونه على صراط مستقيم. وإن أرادوا أن حثه على الصراط المستقيم من جملة كونه على صراط مستقيم، فقد أصابوا.

وقالت فرقة أخرى: معنى كونه على صراط مستقيم أن مرد العباد والأمور كلها إلى الله لا يفوته شيء منها. وهؤلاء إن أرادوا أن هذا معنى الآية فليس كذلك. وإن أرادوا أن هذا من لوازم كونه على صراط مستقيم ومن مقتضاه وموجبه، فهو حق.

وقالت فرقة أخرى: معناه كل شيء تحت قدرته وقهره في ملكه وقبضته. وهذا وإن كان حقا فليس هو معنى الآية. وقد فرق شعيب بين قوله: ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها [هود: ٥٦] ، وبين قوله: إن ربي على صراط مستقيم [هود: ٥٦] .

فهما معنيان مستقلان.

فالقول قول مجاهد. وهو قول أئمة التفسير. ولا تحتمل العربية غيره إلا على استكراه.

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٦/٢٤٩

أمير المؤمنين على صراط ... إذا اعوج الموارد مستقيم

وقد قال تعالى: من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم [الأنعام: ٣٩] ، وإذا كان سبحانه هو الذي جعل رسله وأتباعهم على الصراط المستقيم في أقوالهم وأفعالهم فهو سبحانه أحق بأن يكون على صراط مستقيم في". (١)

١٣٢. ١٣٢-"للثاني بالباء. وقيل: تعدى بها لتضمين معنى الإحاطة أو الشعور. وفيه تجهيل لهم وتوبيخ. أي لأن قولهم آمنا إن كان إخبارا للخلق فلا دليل على صدقه، وإن كان للحق تعالى فلا معنى له، لأنهم كيف يعلمونه، وهو العالم بكل شيء، كما قال والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم قال ابن جرير: هذا ما تقدم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي عن أن يكذبوا ويقولوا غير الذي هم عليه من دينهم. يقول: الله محيط بكل شيء عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائركم، فينالكم عقوبته، فإنه لا يخفى عليه شيء.

ثم أشار إلى نوع آخر من جفائهم، مختوما بتوعدهم، بقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٧]

يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧)

يمنون عليك أن أسلموا أي انقادوا وكثروا سواد أتباعك. قل لا تمنوا علي إسلامكم أي بإسلامكم، إذ لا ثمرة منه إلي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه [الإسراء: ١٥] ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين أي في قولكم آمنا لكن علم الله من قلوبكم أنكم كاذبون، لاطلاعه على الغيوب، كما قال:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٨]

إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨)

إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون قال ابن جرير يقول تعالى ذكره: إن الله

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٦/٣٩٤

أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من الرسول وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله لا يخفى عليه شيء في خبايا السموات والأرض.

تنبيهات:

الأول-

روى الحافظ أبو بكر البزار عن ابن عباس قال: جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله! أسلمنا وقاتلتك العرب، ولم نقاتلك. فقال". (١)

١٣٣. ١٣٣-"تركها أشبه بالورع. وإن كانت الرفقة تجتمع كل يوم على طعام أحدهم فهو أحسن من النهد لأنهم لا يتناهدون إلا ليصيب كل واحد منهم من ماله، ثم لا يدري لعل أحدهم يقصر عن ماله ويأكل غيره أكثر من ماله، وإذا كانوا يوما عند هذا ويوما عند هذا بلا شرط فإنما يكونون أضيافا والضيف يأكل بطيب نفس مما يقدم إليه. وقال أيوب السختياني: إنما كان النهد أن القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم إلى المنزل فيذبح ويهيئ الطعام ثم يأتيهم، ثم يسبق أيضا إلى المنزل فيفعل مثل ذلك، فقالوا: إن هذا الذي تصنع كلنا نحب أن نصنع مثله فتعالوا نجعل بيننا شيئا لا يتفضل بعضنا على بعض، فوضعوا النهد بينهم. وكان الصلحاء إذا تناهدوا تحرى أفضلهم أن يزيد على ما يخرجه أصحابه، وإن لم يرضوا بذلك منه إذا علموه فعله سرا دونهم. العاشرة- قوله تعالى: (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اختلف المتأولون في أي البيوت أراد، فقال إبراهيم النخعي والحسن: أراد المساجد، والمعنى: سلموا على من فيها من ضيفكم «١» . فإن لم يكن في المساجد أحد فالسلام أن يقول المرء: السلام على رسول الله. وقيل: يقول السلام عليكم، يريد الملائكة، ثم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وذكر عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:" فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم" الآية، قال: إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقيل: المراد بالبيوت البيوت المسكونة، أي فسلموا على أنفسكم. قاله

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل ٨/٥٤٥

جابر بن عبد الله وابن عباس أيضا وعطاء بن أبي رباح. وقالوا: يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة، ويسلم المرء فيها على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. قال ابن العربي: القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، **ولا دليل على** التخصيص، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه، فإذا دخل بيتا لغيره استأذن كما تقدم، فإذا دخل بيتا لنفسه سلم كما ورد في الخبر، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، قاله ابن عمر. وهذا إذا كان فارغا، فإن كان فيه أهله وخدمه

---

(١) . كذا في ك: وهو الأشبه. وفى أوب وج وى: ضيفكم.". (١)

١٣٤. ١٣٤-"الأقصى. ابن زيد: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس. قتادة: التين: الجبل الذي عليه دمشق: والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس. وقال محمد بن كعب: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء. وقال كعب الاخبار وقتادة أيضا وعكرمة وابن زيد: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس. وهذا اختيار الطبري. وقال الفراء: سمعت رجلا من أهل الشام يقول: التين: جبال ما بين حلوان إلى همذان، والزيتون: جبال الشام. وقيل: هما جبلان بالشام، يقال لهما طور زيتا وطور تينا (بالسريانية) سميا بذلك لأنهما ينبتانهما. وكذا روى أبو مكين عن عكرمة، قال: التين والزيتون: جبلان بالشام. وقال النابغة:

... أتين التين عن عرض «١»

وهذا اسم موضع. ويجوز أن يكون ذلك على حذف مضاف، أي ومنابت التين والزيتون. ولكن **لا دليل على** ذلك من ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه، قاله النحاس. الثانية- وأصح هذه الأقوال الأول، لأنه الحقيقة، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل. وإنما أقسم الله بالتين، لأنه كان ستر آدم في الجنة، لقوله تعالى: يخصفان عليهما من ورق الجنة «٢» [الأعراف: ٢٢] وكان ورق التين. وقيل: أقسم به ليبين وجه المنة العظمى فيه، فإنه جميل المنظر، طيب المخبر، نشر «٣» الرائحة، سهل الجني، على قدر المضغة. وقد أحسن القائل فيه:

---

(١) تفسير القرطبي ٣١٨/١٢

انظر إلى التين في الغصون ضحى ... ممزق الجلد مائل العنق

كأنه رب نعمة سلبت ... فعاد بعد الجديد في الخلق

أصغر ما في النهود أكبره ... لكن ينادى عليه في الطرق

---

(١) . البيت بتمامه كما في كتاب الملاحن لابن دريد وشعراء النصرانية:

صهب الظلال أتين التين عن عرض ... يزجين غيما قليلا ماؤه شبما

والصهب والصهبة: الحمرة. والعرض: الاعتراض أو الجانب. ويزجين: يسقن. والشبم البارد. والبيت في وصف سحائب لا ماء فيها. وقد نسبه المؤلف لزهير.

(٢) . آية ٢٢ سورة الأعراف.

(٣) . كذا في الأصول ولم نجده في معاجم اللغة. [.....]".[١]

١٣٥. ١٣٥-"قوله تعالى: رحلة الشتاء والصيف رحلة نصب بالمصدر، أي ارتحالهم رحلة، أو بوقوع إيلافهم عليه، أو على الظرف. ولو جعلتها في محل الرفع، على معنى هما رحلة الشتاء والصيف، لجاز. والأول أولى. والرحلة الارتحال. وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن في الشتاء، لأنها بلاد حامية، والرحلة الأخرى في الصيف إلى الشام، لأنها بلاد باردة. وعن ابن عباس أيضا قال: كانوا يشتون بمكة لدفئها، ويصيفون بالطائف لهوائها. وهذه من أجل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء، وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة. وقال الشاعر:

تشتي بمكة نعمة ... ومصيفها بالطائف

وهنا أربع مسائل: الأولى- اختار القاضي أبو بكر بن العربي وغيره من العلماء: أن قوله تعالى: لإيلاف متعلق بما قبله. ولا يجوز أن يكون متعلقا بما بعده، وهو قوله تعالى: ليعبدوا رب هذا البيت

قال: وإذا ثبت أنه متعلق بالسورة الأخرى- وقد قطع عنه بكلام مبتدأ، واستئناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم، فقد تبين جواز الوقف في القراءة «١» للقراء قبل تمام الكلام، وليست المواقف التي ينتزع «٢» بها القراء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم مرويا، وإنما أرادوا به تعليم الطلبة المعاني، فإذا علموها وقفوا حيث شاءوا. فأما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه، ولا تعد ما قبله إذا

---

(١) تفسير القرطبي ١١١/٢٠

اعتراك ذلك، ولكن ابدأ من حيث وقف بك نفسك. هذا رأيي فيه، **ولا دليل على** ما قالوه، بحال، ولكني أعتمد الوقف على التمام، كراهية الخروج عنهم. قلت: ومن الدليل على صحة هذا، قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف. الرحمن الرحيم ثم يقف. وقد مضى في مقدمة الكتاب «٣» . وأجمع المسلمون أن

---

(١) . في ابن العربي: (في القرآن) .

(٢) . في ابن العربي: (تنزع) .

(٣) . راجع ج ١ ص ١٠ فيما بعد.". [١]

١٣٦. ١٣٦-"القياس في وزن مريم

قال فيما يقاس عليه وزن مريم من قوله تعالى: (وآتينا عيسى أبن مريم) ١:

(.. ووزن مريم: مفعل، وشذ في الصحيح، وكان قياسه: مراما ولا يدعى أنه فعيل، وأن الميم أصلية، لأن الأكثر على الميم إذ كانت أولا أن تكون زائدة، ولأن فعيلا بفتح الفاء معدوم من كلام العرب، وإنما يوجد فعيل وفعيل، قالوا عثير للتراب، وقالوا ضميد اسم واد. فتجنب العرب **فعيلا دليل على** أنه مرفوض من كلامهم، فكأنه منقول من رام يريم، تقول العرب: ما يريم، أي ما يزال ما يبرح ...) . (٢٣١) .

---

١ سورة البقرة آية: ٨٧.". [٢]

١٣٧. ١٣٧-"المؤمنين، وفي التذكير بهذا فائدة في تقرير دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنها مبنية على أصول ملة إبراهيم الذي يحترمه العرب جميعا.

الإيضاح

(وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) أي واذكروا حين أن جعلنا البيت الحرام مرجعا للناس يثوبون إليه

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠٦/٢٠

(٢) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه ص/٣٦٥

للعبادة، ويقصدونه لأداء المناسك فيه، وجعلناه أمنا لاحترام الناس له وتعظيمهم إياه بعدم سفك دم فيه، حتى كان يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له بسوء ونحو الآية قوله في سورة العنكبوت: (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون؟) .
(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) أي وقلنا لهم اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وفائدة ذكر هذا الأمر أن يستحضر السامع أو التالي المأمورين، وكأن الأمر يوجه إليهم، ليقع في نفوس المخاطبين به أن الأمر يتناولهم وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم فى عهد أبيهم إبراهيم، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ له، فنحن مأمورون بالدعاء في مقام إبراهيم، كما أمر به من كان في عصره من المؤمنين.
(وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) أي ووصينا إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت من كل رجس معنوى كالشرك بالله وعبادة الأصنام، أو رجس حسى كاللغو والرفث والتنازع فيه، حين أداء العبادات كالطواف به والسعى بين الصفا والمروة والعكوف فيه والركوع والسجود.
وفي الآية إيماء إلى أن إبراهيم كان مأمورا هو ومن بعده بهذه العبادات، ولكن **لا دليل على** معرفة الطريق التي كانوا يؤدونها بها، وسماه الله بيته لأنه جعله معبدا للعبادة الصحيحة، وأمر المصلين بأن يتوجهوا في عبادتهم إليه.". (١)

١٣٨. ١٣٨-"إلى بحث طويل وعناء شديد. وعلم غزير فى طبقات الأرض وما تحتوى عليه، وذلك يتوقف على علوم شتى عقلية ونقلية، ومن هذى برأيه بدون علم يقينى فهو مجازف لا يسمع له قول، ولا يسمح له ببث جهالاته، والله ورسوله أعلم اه بتصرف.
وخلاصة هذا- إن ظواهر القرآن والأحاديث تدل على أن الطوفان كان عاما شاملا لقوم نوح الذين لم يكن فى الأرض غيرهم فيجب اعتقاده، ولكنه لا يقتضى أن يكون عاما للأرض، إذ **لا دليل على** أنهم كانوا يملئون الأرض، وكذلك وجود الأصداف والحيوانات البحرية فى قنن الجبال لا يدل على أنها من أثر ذلك الطوفان، بل الأقرب أنه كان من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة فى الماء، فإن صعود الماء إلى الجبال أياما معدودة لا يكفى لحدوث ما ذكر فيها.
ولما كانت هذه المسألة التاريخية ليست من مقاصد الدين لم يبينها بنص قطعى، ومن ثم نقول إنه ظاهر

---

(١) تفسير المراغي ٢١١/١

النصوص ولا نتخذه عقيدة دينية قطعية، فإن أثبت علم طبقات الأرض (الجيلوجيا) خلافه فلا يضيرنا، لأنه لا ينقض نصا قطعيا عندنا.

حادثة الطوفان

فى القرآن والتوراة والتاريخ القديم
ذكرنا فيما سلف أن أحداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وأمكنتها ليس من مقاصد القرآن، وأن ما فيه من قصص الرسل مع أقوامهم فإنما هو بيان لسنة الله فيهم.
وذكرنا أيضا أن قصة نوح عليه السلام جاءت فى عدة سور فى كل سورة منها ما ليس فى سائرها، ولم يذكر من حادثة الطوفان إلا ما فيه العبرة والموعظة.
وجاءت هذه القصة فى سفر التكوين فى أربعة فصول ذكر فى أولها سبب الطوفان وهو فى جملته على نحو ما جاء فى القرآن الكريم إلا أن الأسلوب على نحو أساليب التوراة، وذكر فى الرابع منها رجوع المياه من الأرض بالتدريج واستقرار الفلك على جبل أراراط ثم خروج نوح ومن معه من السفينة.". (١)

١٣٩. ١٣٩-"وقد ورد فى تواريخ أكثر الأمم القديمة ذكر الطوفان، منها ما هو موافق لما فى سفر التكوين، ومنها ما هو مخالف له فروى اليونان خبرا عن الطوفان أورده أفلاطون قال: إن كهنة المصريين قالوا لسولون (الحكيم اليوناني) إن السماء أرسلت طوفانا غير وجه الأرض، وروى عن قدماء الفرس طوفان أغرق الله به الأرض بما انتشر فيها من الفساد والشر بفعل (اهريمان) إله الشر، وقالوا إن هذا الطوفان فار أولا من تنور العجوز (زول كوفه) إذ كانت تخبز خبزها فيه، ولكن المجوس أنكروا عموم الطوفان وقالوا إنه كان خاصا بإقليم العراق وانتهى إلى حدود كردستان.

عمر نوح عليه السلام
جاء فى الكتاب الكريم فى سورة العنكبوت: «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون» .

---

(١) تفسير المراغي ١٢/٤٥

وجاء في سفر التكوين نحو من هذا، وقد اشتبه الأمر على الناس في أزمنة مختلفة حتى زعم بعضهم أن السنة عند المتقدمين أقل من السنة عند أهل القرون المعروفة بعد تدوين التاريخ، **ولا دليل على** هذا.

والذي يظهر أن أعمار آدم وذريته إلى ما قبل الطوفان أو قبل ما كشف من آثار التاريخ لا تقاس بما عرف بعد ذلك، لأن معيشة الإنسان الفطرية كانت أسلم للأبدان وأقل توليدا للأمراض: وقول الله هو الحق ويجب الإيمان به على كل حال، قال الشاعر:

نجيت يا رب نوحا واستجبت له ... في فلك ماخر في اليم مشحونا

وعاش يدعو بآيات مبينة ... في قومه ألف عام غير خمسينا

قصة هود عليه السلام

[سورة هود (١١) : الآيات ٥٠ الى ٥٢]

وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسئلكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون (٥١) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين (٥٢)". [١]

١٤٠. ١٤٠-"ثم بين السبب في عصيانه ومخالفته للأمر فقال:

(كان من الجن) أي إن الذي منعه من السجود أنه كان جنيا واحدا بين أظهر الألوف من الملائكة، مغمورا بينهم، متصفا بصفاتهم، بدليل أنه قال:

«أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» ولأنه تعالى أثبت له في هذه الآية ذرية ونسلا والملائكة لا ينسلون، ولأن الملائكة لا يستكبرون وهو قد استكبر.

ويرى قوم أنه كان من الملائكة بدليل أن خطاب السجود كان معهم، ولأن وصف الملائكة بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، دليل على أنه يتصور منهم العصيان، ولولا ذلك ما مدحوا به، لكن طاعتهم طبع، وعصيانهم تكلف، وطاعة البشر تكلف، ومتابعة الهوى منهم طبع، ولأنه تعالى ذكر من هاروت وماروت ما ذكر، وهما ملكان.

على أنه **لا دليل على** أن هناك فروقا جوهرية بين الملائكة والجن، بها يمتاز أحدهما من الآخر، بل

---

(١) تفسير المراغي ١٢/٤٦

هى فروق فى الصفات فحسب، والجميع من عالم الغيب لا نعلم حقيقتهم ولا نضيف إليها شيئا إلا إذا ورد به نص عن المعصوم.

(ففسق عن أمر ربه) أي فصار فاسقا كافرا بسبب أمر الله للملائكة المعدود هو فى عدادهم، إذ لولا الأمر ما تحقق إباء.

وفى الآية إيماء إلى أن فسقه قد نتج عن كونه من الجن، إذ أن من شأنهم التمرد والعصيان لكدورة مادتهم، وخباثة ذاتهم (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) وإن كان منهم من أطاع وآمن.

ثم حذر سبحانه من اتباعه بعد أن استبان من حاله ما استبان فقال:

(أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو؟) أي وبعد العلم بما صدر منه من القبائح لا ينبغى لكم أن تتخذوه وأولاده وأعوانه أولياء لكم من دونى تطيعونهم بدل طاعتى وهم لكم أعداء.

وجملة المعنى- كيف تصنعون هذا الصنيع وتستبدلون بمن خلقكم وأنعم عليكم". (١)

١٤١. ١٤١-"وقد كثر استعمال الوصف فى الكتاب الكريم بمعنى الكذب كقوله «ولكم الويل مما تصفون» وقوله «سيجزيهم وصفهم» وصلى الله على محمد وآله.

خلاصة ما تتضمنه هذه السورة

(١) الإنذار بقرب الساعة مع غفلتهم عنها.

(٢) إنكار المشركين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه بشر مثلهم، وأن ما جاء به أضغاث أحلام، وأنه قد افتراه، ولو كان نبيا حقا لأتى بآية كآيات موسى وعيسى.

(٣) الرد على هذه الشبهة بأن الأنبياء جميعا كانوا بشرا، وأهل العلم من اليهود والنصارى يعلمون ذلك حق العلم.

(٤) الإخبار بأن الله أهلك كثيرا من الأمم المكذبة لرسلها وأنشأ بعدهم أقواما آخرين.

(٥) بيان أن السموات والأرض لم تخلقا عبثا، وأن الملائكة لا يستكبرون عن عبادته ولا يملون.

(٦) إقامة الدليل على وحدانية الله تعالى والنعي على من يتخذ آلهة من دونه **بلا دليل على** صدق ما يقولون مع أن الأنبياء جميعا أوحى إليهم أنه لا إله إلا هو.

---

(١) تفسير المراغي ١٥/١٦٢

(٧) النعي على من ادعى أن الملائكة بنات الله.

(٨) وصف النشأة الأولى ببيان أن السموات والأرض كانتا رتقا فانفصلتا، وأن الجبال جعلت فى الأرض أوتادا حتى لا تميد بأهلها، وأن كلا من الشمس والقمر يسبح فى فلكه.

(٩) استعجال الكافرين للعذاب، مع أنهم لو علموا كنهه ما طلبوه.

(١٠) بيان أن الساعة تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

(١١) قصص بعض الأنبياء كموسى وهارون وإبراهيم ولوط ونوح وداود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس وذى الكفل ويونس وزكريا وقصص مريم.". (١)

١٤٢. ١٤٢-"١٢٥ سنة الله إهلاك الظالمين ولو بعد حين ١٢٦ وعد الله للمتقين ووعيده للكافرين ١٢٨ إلقاء المشركين الشبه والأوهام فيما يقرأ من القرآن ١٢٩ ما يفعله القساوسة والمبشرون الآن فى البلاد الإسلامية ١٣١ هداية الله لعباده المؤمنين إلى الصراط المستقيم ١٣٣ المقتول فى سبيل الله والمهاجر إعزازا لدين الله فى الأجر سواء ١٣٥ الله قدير على نصر عباده المؤمنين ١٣٦ الله سابغ نعمه على عباده المؤمنين ١٣٨ لكل أمة منسك وشريعة خاصة بها ١٤١ النعي على عبادة الأوثان والأصنام ١٤٢ **لا دليل على** صحة عبادة الأصنام من عقل ولا نقل ١٤٣ كانت إذا تليت آيات القرآن على المشركين ظهر على وجوههم آثار الغيظ والألم ١٤٥ الأصنام لا تستطيع خلق الذباب ولا تدفع عن نفسها ما يسلب منها ١٤٧ الجهاد ضروب ١٤٨ الدين يسر لا عسر ١٤٩ الرسول صلى الله عليه وسلم شهيد عليكم وأنتم شهداء على الناس". (٢)

١٤٣. ١٤٣-"(فنظر نظرة في النجوم) أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أن العرب تقول للشخص إذا تفكر وأطال الفكرة: نظر في النجوم أي فأطال الفكر فيما هو فيه.

(فقال إني سقيم) أي إنى أحس بخروج مزاجى عن حال الاعتدال، ولا أرى فى نفسى خفة ونشاطا، وكان مقصده من قولته هذه ألا يخرج معهم في يوم عيدهم، لينفذ ما عزم عليه من كسر أصنامهم وإعلان الحرب عليهم، فى عبادتهم للأوثان والأصنام، ولم يكن لهم علم بما بيت عليه النية، **ولا دليل**

---

(١) تفسير المراغي ٨١/١٧

(٢) تفسير المراغي ١٥٦/١٧

على أنه لم يكن صادقا فيما يقول إذ من يعزم على تنفيذ أمر ذى بال يخاف منه الخطر على نفسه أن يكون مهموما مغموما مفكرا في عاقبة ما يعمل.

(فتولوا عنه مدبرين) أي فأعرضوا عنه وذهبوا إلى معبدهم وتركوه في مكانه.

(فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون؟) أي فذهب مستخفيا إلى أصنامهم التي يعبدونها وقال لها استهزاء: ألا تأكلون من الطعام الذي يقدم إليكم؟ وكانوا يضعون فى أيام أعيادهم طعاما لدى هذه الأصنام لتبارك فيه.

(ما لكم لا تنطقون؟) أي أى شيء منعكم الإجابة عن سؤلى، ومراده بذلك التهكم بهم، واحتقار شأنهم.

(فراغ عليهم ضربا باليمين) أي فاتجه إليهم يضربهم بقوة وشدة حتى تركهم جذاذا إلا كبيرهم كما تقدم في سورة الأنبياء.

(فأقبلوا إليه يزفون) أي فأقبل قومه إليه بعد رجوعهم من عيدهم مسرعين يسألون عمن كسرها، وقد قيل لهم: إنه إبراهيم، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ولما أخذوا يعتبون عليه طفق يؤنبهم ويعيبهم.

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٩٥ الى ١٠١]

قال أتعبدون ما تنحتون (٩٥) والله خلقكم وما تعملون (٩٦) قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم (٩٧) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين (٩٨) وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين (٩٩) رب هب لي من الصالحين (١٠٠) فبشرناه بغلام حليم (١٠١)". [١]

١٤٤. ١٤٤-"فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أى دين أنت يا محمد؟ قال على ملة إبراهيم ودينه، قالا فإن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلموا إلى التوراة فهى بيننا وبينكم، فأنزل الله الآية.

الإيضاح

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم

---

(١) تفسير المراغي ٧٠/٢٣

معرضون) أي ألم تر إلى هؤلاء الذين تستحق أن تعجب لهم من اليهود- كيف يعرضون عن العمل بالكتاب الذي يؤمنون به إذا لم يوافق أهواءهم؟

(وهذا دأب أرباب الديانات في طور انحلالها واضمحلالها) .

وقد كانوا يتحاكمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهم ماضوا العزيمة على قبول حكمه حتى إذا جاء على غير ما أحبوا خالفوه ونكصوا على أعقابهم، فقد زنى بعض أشرافهم وحكموه فحكم بينهم بمثل حكم كتابهم فتولوا وأعرضوا عن قبول حكمه، إذ هم إنما فزعوا إليه ليخفف عنهم.

وقوله نصيبا من الكتاب هو ما يحفظونه من الكتاب الذي أوحاه الله إليهم وقد فقدوا سائره، وهم لا يحسنون فهمه ولا يلتزمون العمل به.

فهذه الكتب الخمسة التي تسمى بالتوراة وتنسب إلى موسى عليه السلام، لا يوجد دليل على أنه هو الذي كتبها، إذ ليست محفوظة حتى يمكن الحكم عليها، بل قام الدليل لدى بعض الباحثين من الأوربيين على أنها كتبت بعده بخمسمائة سنة، كما لا تعرف اللغة التي كتبت بها أول مرة، **ولا دليل على** أن موسى كان يعرف اللغة العبرية، وإنما كانت لغته المصرية، فأين التوراة التي كتبها بتلك اللغة، ومن ترجمها؟

(ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) أي إنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تتولى طائفة منهم بعد تردد وجذب ودفع، وقد كان من دواعي الإيمان به ألا يترددوا في إجابة الدعوة إليه، إذ هو أصل دينهم، وعليه بنيت عقيدتهم.". (١)

١٤٥. ١٤٥-"الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان)) ثم قرأ: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) (٣: ٢٦٨) قال الترمذي: حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص. والرواية: ((إيعاد)) في الموضعين كما أن الآية من الثلاثي في الموضعين، فما قالوه في التفرقة بين الوعد والإيعاد أغلبي فيما يظهر، وإلا فهو غير صحيح. واللمة بالفتح الإلمام بالشيء والإصابة.

(قال الأستاذ) وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة: وهو أن مجموع ما ورد في

---

(١) تفسير المراغي ١٢٧/٣

الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده، فإنما قوامه بروح إلهي

سمي في لسان الشرع ملكا، ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسمي هذه المعاني القوى الطبيعية، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو طبيعة أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة. والأمر الثابت الذي لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقة أمرا هو مناطها، وبه قوامها ونظامها، لا يمكن لعاقل أن ينكره، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم أنه **لا دليل على** وجود الملائكة، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا طبيعيا؛ لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع. فالحقيقة واحدة والعاقل من لا تحجبه الأسماء عن المسميات (وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا لا يدرك كنهه، والذي لا يؤمن بالغيب يقول: لا أعرف الروح ولكن أعرف قوة لا أفهم حقيقتها. ولا يعلم إلا الله علام يختلف الناس، وكل يقر بوجود شيء غير ما يرى ويحس ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم، ولا يصل بعقله إلى إدراك كنهه، وماذا على هذا الذي يزعم أنه لا يؤمن بالغيب وقد اعترف بما غيب عنه لو قال: أصدق بغيب أعرف أثره، وإن كنت لا أقدره قدره، فيتفق مع المؤمنين بالغيب، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي، ويحظى بما يحظى به المؤمنون؟) .

يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير، ووجه للباطل أو للشر، بأن في نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى فهذا يورد وذاك يدفع، واحد يقول: افعل، وآخر يقول: لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين، ويترجح أحد الخاطرين، فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا، ونسميه قوة وفكرا – وهو في الحقيقة معنى لا يدرك كنهه، وروح لا تكتنه حقيقتها، لا يبعد أن يسميه الله – تعالى – ملكا". (١)

١٤٦.   ١٤٦-"عليهم الحجج والبراهين وبين لهم من حقيقة دينهم وتاريخ سلفهم ما لم يكن يعلمه أحد من قومه المجاورين لهم، فضلا عن أهل وطنه بمكة المكرمة. قال شيخنا في سياق درسه ما مثاله: ((اختص بني إسرائيل بالخطاب اهتماما بهم؛ لأنهم أقدم الشعوب الحاملة للكتب

---

(١) تفسير المنار ٢٢٣/١

السماوية والمؤمنة بالأنبياء المعروفين؛ ولأنهم كانوا أشد الناس على المؤمنين؛ ولأن في دخولهم في الإسلام من الحجة على النصارى وغيرهم أقوى مما في دخول النصارى من الحجة عليهم، وهذه النعمة التي أطلقها في التذكير لعظم شأنها هي نعمة جعل النبوة فيهم زمنا طويلا (أو أعم) ولذلك كانوا يسمون شعب الله كما في كتبهم، وفي القرآن إن الله اصطفاهم وفضلهم، ولا شك أن هذه المنقبة نعمة عظيمة من الله منحهم إياها بفضله ورحمته فكانوا بها مفضلين على العالمين من الأمم والشعوب، وكان الواجب عليهم أن يكونوا أكثر الناس لله شكرا، وأشدهم لنعمته ذكرا، وذلك بأن يؤمنوا بكل نبي يرسله لهدايتهم، ولكنهم جعلوا النعمة حجة الإعراض عن الإيمان، وسبب إيذاء النبي – عليه السلام –؛ لأنهم زعموا أن فضل الله – تعالى – محصور فيهم، وأنه لا يبعث نبيا إلا منهم؛ ولذلك بدأ الله – تعالى – خطابهم بالتذكير بنعمته، وقفى عليه بالأمر بالوفاء بعده، فقال:

(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) عهد الله – تعالى – إليهم يعرف من الكتاب الذي نزله إليهم، فقد عهد إليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وأن يؤمنوا برسله متى قامت الأدلة على صدقهم، وأن يخضعوا لأحكامه وشرائعه، وعهد إليهم أن يرسل إليهم نبيا من بني إخوتهم؛ أي بني إسماعيل يقيم شعبا جديدا. هذا هو العهد الخاص المنصوص، ويدخل في عموم العهد عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبر والتروي، ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح، لا بميزان الهوى والغرور، ولو التفت بنو إسرائيل إلى هذا العهد الإلهي العام، أو إلى تلك العهود الخاصة المنصوصة في كتابهم، لآمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – واتبعوا النور الذي أنزل معه وكانوا من المفلحين، ولا حاجة إلى تخصيص العهد بالإيمان بالنبي – صلى الله عليه وسلم – كما فعل مفسرنا (الجلال) فإن الإيمان داخل في العهد العام وهو من أفراد العهد الخاص **فلا دليل على** قصر عموم العهد المضاف عليه.

هذا هو عهد الله وأما عهدهم فهو التمكين في الأرض المقدسة والنصر على الأمم الكافرة والرفعة في الدنيا وخفض العيش فيها، هذا هو الشائع في التوراة التي بين أيديهم، ولا شك أن الله – تعالى – قد وعدهم أيضا بسعادة الآخرة، ولكن

لا دليل على هذا في التوراة إلا الإشارات ولذلك ظن بعض الباحثين أن اليهود لا يؤمنون بالبعث

ومع هذا يقول (الجلال) كغيره:

إن هذا العهد هو دخول الجنة ويقتصر عليه.

ولما كان من موانع الوفاء بالعهد الذي فشا تركه في شعب إسرائيل خوف بعضهم من". [١]

١٤٧. ١٤٧-"الذي يقربه من الفهم بما لا يتشعب فيه الوهم، ولا يوجد في الكلام تعبير آخر أليق به من هذا التعبير: يقول للشيء: (كن فيكون) ، فالتوالد محال في جانبه - تعالى -؛ لأن ما يعهد في حدوث بعض الأشياء وتولدها من بعض، فهو لا يعدو طريقين: الاستعداد القهري الذي لا مجال للاختيار فيه كحدوث الحرارة من النور، وتولد العفونة من الماء يتحد بغيره، والسعي الاختياري كتولد الناس بالازدواج الذي يساقون إليه مع اختياره والقصد إليه، وإذا كان كل واحد من الأمرين محالا على الله - تعالى -، وكان - تعالى - هو المبدع لجميع الكائنات، وهي بأسرها ملكه ومسخرة لإرادته فلا معنى لإضافة الولد إليه (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) (٣٧: ١٨٠ - ١٨٢) .

(وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت
أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير)

قلنا: إن السياق قد انتقل من الكلام في بني إسرائيل تجاه القرآن ودعوة الإسلام ورسوله إلى الكلام في شئون المؤمنين معهم ومع النصارى والوثنيين، وشيخنا لا يزال يجعل السياق واحدا غير ملتفت في التناسب بين الآيات إلى هذا التفصيل لذلك المجمل، وقد قال هنا ما مثاله: الكلام لا يزال في القرآن، وما كان من أمر الناس في الإيمان به وعدم الإيمان، وذكر في الآيات المتقدمة آنفا من شأن أهل الكتاب، ما تبين به أن عدم إيمانهم بالنبي وما جاء به غير قادح فيه، ولا ينهض شبهة عليه، وأن مطاعنهم فيه متهافتة منقوضة بطعنهم في أنفسهم، وتخبطهم في أمر كتبهم، ثم انتقل إلى ذكر شبهة مشركي العرب، وبين أنهم جروا فيها على الأصل المعهود من أمثالهم المشركين الذين سبقوهم بالضلال فقال: (وقال الذين لا يعلمون) أي الجاهلون بالكتاب والشرائع من مشركي العرب. وقال (الجلال) : إن المراد بالذين لا يعلمون كفار مكة خاصة **ولا دليل على** التخصيص، ويرجح العموم كون الآية

---

(١) تفسير المنار ٢٤١/١

مدنية (لولا يكلمنا الله) كما". [1]

١٤٨. ١٤٨-"المسلمين وتجري عليهم أحكامهم، لم تكن لأجل تزكية النفس، ولا لمرضاة الله عز وجل، وفي التنزيل عدة آيات في حبوط الأعمال بالشرك والرياء، أي بطلان ثوابها، وهو مستعار من حبط بطون الماشية كما تقدم، ويالها من استعارة فإن الماشية عندما تأكل الخضر من النبات تلذذا به فتكثر به فتستوبله وتستوخمه، يكون حظها منها فساد بطونها وهلاكها، بدلا من التغذي والانتفاع الذي تطلبه بشهوتها، وقيل: إن المراد بحبوط أعمالهم في الدنيا فشلهم وخيبتهم فيما كانوا يكيدون للمؤمنين.

وجملة القول: أن أعمالهم إما دينية وإما دنيوية: فالدينية تحبط كلها في الآخرة ؛ لأن شرط قبولها الإيمان والإخلاص، وتحبط في الدنيا إذا ظهر نفاقهم، وافتضح أمرهم، ولحبوطها معنى آخر وهو: أنها لا تأثير لها في تهذيب أخلاقهم، وتزكية أنفسهم من الفحشاء والمنكر ومساوئ الأخلاق ؛ لأن هذا لا يحصل إلا بالإخلاص. وأما الدنيوية فهي قسمان: (١) تمتع بالأموال والأولاد والقوة. (٢) كيد ومكر ونفاق. وقد بينا معنى حبوطهما آنفا بما يطرد في أزمنة الأنبياء، وما يشبهها كعهد الخلفاء الراشدين. وأما أعمال النفاق الدنيوية في أيام الملوك والأمراء الظالمين الفاسقين، فإنها تكون أكثر رواجا ونتاجا من أعمال الصادقين المخلصين. **ولا دليل على** فساد الملوك والأمراء والرؤساء أدل من تقريبهم للمنافقين المتملقين منهم، وإبعادهم للناصحين الصادقين عنهم. قال الصادق الأمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف متفق عليه.

وأولئك هم الخاسرون التاموا الخسران، دون غيرهم ممن لم يكن كل حظهم من نعم الله الاستمتاع العاجل، والخوض في الباطل، إذ جاء خسارهم من مظنة الربح والمنفعة. كقوله تعالى: هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٨: ١٠٣، ١٠٤) وكل خسار

دون هذا هين كأنه ليس بخسار، وهذا معنى صيغة الحصر في الجملة، فهل يعتبر بهذا أهل هذا الزمان؟ أم هل يعتبر به التالون والمفسرون للقرآن، أم يقرءونه ويفسرونه لكسب الحطام؟ .

ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات هذا استفهام

---

(١) تفسير المنار ٣٦٢/١

تقرير وتوبيخ لمن نزلت فيهم الآيات من الكفار والمنافقين في عهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يذكرهم بالأقوام الذين ضلوا من قبلهم ووصلت إليهم سيرتهم". (١)

١٤٩. ١٤٩-"صفح وإعذار، وهذا التعبير من أسلوب الحكيم، وهو قبول ما يبغون من الإعراض عنهم ولكن على غير الوجه الذي يرجونه منه بل على ضده، وقد علل الأمر بقوله: (إنهم رجس) أي قذر معنوي يجب الإعراض عنه تنزها عن القرب منه بأشد مما يتنزه الطاهر الثوب والبدن عن ملابسة الأرجاس والأقذار الحسية. وهذا بمعنى ما تقدم من قوله: (إنما المشركون نجس) (٢٨) وسبق بيان معنى الرجس في تفسير آية (إنما الخمر والميسر) (٥: ٩٠) من سورة المائدة (ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون) أي وملجؤهم الأخير نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من أعمال النفاق التي دنست أنفسهم، والإعراض عن آيات الله الذي زادهم رجسا على رجسهم، كما تراه في الآية (١٢٥) الآتية.

(يحلفون لكم لترضوا عنهم) فتستديموا معاملتهم السابقة بظاهر إسلامهم وهذا غرض آخر وراء غرض الإعراض عنهم لا يهنأ عيشهم بدونه، ولا حظ لهم من إظهار الإسلام غيره ولو كان إسلامهم عن إيمان لكان غرضهم الأول إرضاء الله ورسوله كما تقدم في آية (يحلفون بالله لكم ليرضوكم) (٦٢) إلخ. وليس لكم أن ترضوا عنهم وهذه حالتهم (فإن ترضوا عنهم) فرضا وقد أعلمكم الله بحالهم (فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) عن أمره منهم ولا من غيرهم، فإن هذا الفسوق سبب أو علة لسخط الله تعالى، فالحكم بعدم رضاه متعلق به لا بذواتهم وشخوصهم، ومقتضاه أنه إذا فرض أن بعض المؤمنين رضي عنهم وآمن لهم باعتذارهم بعد النهي عنه كان فاسقا مثلهم، محروما من رضائه تعالى، كما أن من يتوب منهم ويرضي الله ورسوله يخرج من حدود سخطه عز وجل ويدخل في حظيرة مرضاته ؛ إذ لا يعد بعد ذلك فاسقا. فأحكام الله العامة ووعده ووعيده تتعلق بالأعمال والصفات النفسية والبدنية لا بالذوات والأعيان، ولو قال: ((فإن الله لا يرضى عنهم)) لما أفاد التعبير هذه الحقائق والمعاني، بل كان يكون حكما على أفراد معينين، مسجلا عليهم الموت على كفرهم وعدم قبول توبة أحد منهم وما أبعد هذا عن حكمة الله وعن هداية كتابه العزيز؟

ولا ينافي هذا التحقيق ما يروى عن ابن عباس من نزول هذه الآيات في الجد بن قيس ومعتب بن

---

(١) تفسير المنار ١٠/٤٦٤

قشير وأصحابهما من المنافقين، وكانوا ثمانين رجلا أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة بألا يجالسوهم ولا يكلموهم ؛ إذ **لا دليل على** أن هؤلاء مقصودون من الآيات بذواتهم وشخوصهم كالذين نهي عن الاستغفار لهم وعلله بموتهم على كفرهم، كعبد الله بن أبي، وقد قال قتادة: إن هذه الآيات نزلت فيه، فإنه حلف للنبي – صلى الله عليه وسلم – بعد عودته بألا يتخلف عنه، وطلب أن يرضى عنه فلم يفعل. والآيات أعم من هذا وذاك. وهي من أنباء الغيب بما فيها من بيان مقاصدهم الخفية، وإن كان الاعتذار والحلف من سجاياهم". (١)

١٥٠. ١٥٠-"أتدري أيها القارئ ما يقول منكرو العجائب والآيات في هذه القصة على تقدير صحة الرواية؟ إنني سمعت طبيبا سوريا بروتستنتيا يقول: إنها كانت بتواطؤ بينه وبين حبيبته وحبيبه لإقناع اليهود بنبوته. وحاشاه عليه السلام. وإنما ننقل هذا لنبين أن النصارى لا يستطيعون إقامة البرهان في هذا العصر على نبوة المسيح فضلا عن ألوهيته بهذه الروايات التي تدل على النبوة وتنفي الألوهية، كما فهم الذين شاهدوها ؛ لأنه ليس لها أسانيد متصلة إلى كاتبيها، **ولا دليل على** عصمتهم من الخطأ في روايتها، دع قول المنكرين باحتمال الاحتيال والتلبيس أو المصادقة فيها، أو عدهم إياها على تقدير ثبوتها من فلتات الطبيعة.

وإذا كان أعظمها وهو إحياء الميت يحتمل ما ذكروا من التأويل فما القول في شفاء المرضى وإخراج الشياطين الذي يكثر وقوع مثله في كل زمان، والأطباء كلهم يقولون إن ما يدعي العوام من دخول الشياطين في أجساد الناس ما هو إلا أمراض عصبية تشفى بالمعالجة أو بالوهم والاعتقاد ودونها مسألة الخمر والسمك وييس التينة.

آية نبوة محمد عقلية علمية وسائر آياته الكونية:

هذا وإن ما رواه المحدثون بالأسانيد المتصلة تارة وبالمرسلة أخرى من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – هي أكثر من كل ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل. ولم يجعلها برهانا على صحة الدين ولا أمر بتلقينها للناس.

ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها ؛ لأن البشر قد بدءوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع

---

(١) تفسير المنار ١١/٥

من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك، بل هو من موانعه، فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه وإعجازه اللفظي والمعنوي: كما بيناه في تفسير سورة البقرة ليربي البشر على الترقي في هذا الاستقلال، إلى ما هم مستعدون له من الكمال.

هذا الفصل بين النبوات الخاصة الماضية، والنبوة العامة الباقية، قد عبر عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: ((ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر. وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)) متفق عليه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

وقص الله تعالى علينا في كتابه أن المشركين اقترحوا الآيات الكونية (العجائب) على رسوله فاحتج عليهم بالقرآن في جملته وبما فيه من أخبار الرسل والكتب السابقة التي". (١)

١٥١. ١٥١–"واستندوا إلى حكايات منسوبة إلى أهل الصين، ورغبتم منا بذلك المكتوب كشف الغطاء عن سر هذا الحادث العظيم، والإفادة بما يقتضيه الحق، ويطمئن إليه القلب.

والجواب عن ذلك والحمد لله: أما القرآن الكريم فلم يرد فيه نص قاطع على عموم الطوفان، ولا على عموم رسالة نوح – عليه السلام –، وما ورد من الأحاديث – على فرض صحة سنده – فهو آحاد لا يوجب اليقين، والمطلوب في تقرير مثل هذه الحقائق هو اليقين لا الظن، إذ عد اعتقادها من عقائد الدين.

وأما المؤرخ ومريد الاطلاع فله أن يحصل من الظن ما ترجحه عنده ثقته بالراوي أو المؤرخ أو صاحب الرأي، وما يذكره المؤرخون والمفسرون في هذه المسألة لا يخرج عن حد الثقة بالرواية أو عدم الثقة بها، ولا تتخذ دليلا قطعيا على معتقد ديني.

وأما مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الأديان وأهل النظر في طبقات الأرض، وموضوع خلاف بين مؤرخي الأمم، أما أهل الكتاب وعلماء الأمة الإسلامية فعلى أن الطوفان كان عاما لكل الأرض، ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر، واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الأصداف والأسماك المتحجرة في أعالي الجبال ؛ لأن هذه الأشياء مما لا تتكون إلا في البحر.

---

(١) تفسير المنار ١٣١/١١

فظهورها في رءوس الجبال دليل على أن الماء صعد إليها مرة من المرات، ولن يكون ذلك حتى يكون قد عم الأرض، ويزعم غالب أهل النظر من المتأخرين أن الطوفان لم يكن عاما، ولهم على ذلك شواهد يطول شرحها – غير أنه لا يجوز لشخص مسلم أن ينكر قضية أن الطوفان كان عاما لمجرد احتمال التأويل في آيات الكتاب العزيز، بل على كل من يعتقد بالدين ألا ينفي شيئا مما يدل عليه ظاهر الآيات والأحاديث التي صح سندها وينصرف عنها إلى التأويل إلا بدليل عقلي يقطع بأن الظاهر غير المراد، والوصول إلى ذلك في مثل هذه المسألة يحتاج إلى بحث طويل، وعناء شديد، وعلم غزير في طبقات الأرض وما تحتوي عليه، وذلك يتوقف على علوم شتى عقلية ونقلية، ومن هذى برأيه بدون علم يقيني فهو مجازف لا يسمع له قول، ولا يسمح له ببث جهالاته، والله سبحانه وتعالى أعلم)) اهـ.

(أقول) : خلاصة هذه الفتوى أن ظواهر القرآن والأحاديث أن الطوفان كان عاما شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الأرض غيرهم، فيجب اعتقاده، ولكنه لا يقتضي أن يكون عاما للأرض ؛ إذ **لا دليل على** أنهم كانوا يمثلون الأرض، وكذلك وجود الأصداف والحيوانات البحرية في قلل الجبال لا يدل على أنها من أثر ذلك الطوفان، بل الأقرب أنه كان من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء كما قلنا آنفا، فإن صعود الماء إلى الجبال". (١)

١٥٢. ١٥٢-"وسفر التكوين غير مروي بالأسانيد المتصلة المتواترة، **ولا دليل على** أن أصله وحي من الله – تعالى –، ولكنه كتاب قديم التاريخ له قيمة لا تعصمه من الخطأ.

(وكذلك يجتبيك ربك) أي ومثل ذلك الشأن الرفيع والمجد البديع الذي تمثل لك في رؤياك يجتبيك ربك)) لنفسه ويصطفيك على آلك وغيرهم فتكون من عباده المخلصين (بفتح اللام كما وصفه الله فيما يأتي قريبا) فالاجتباء افتعال من جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك، والجباية جمع الشيء النافع كالماء في الحوض والمال للسلطان ولي الأمر (ويعلمك من تأويل الأحاديث أي يعلمك من علمه اللدني تأويل الرؤى وتعبيرها، أي تفسيرها بالعبارة والإخبار بما تئول إليه في الوجود، وهو تأويلها كما سيأتي حكاية لقول يوسف لأبيه: (هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) ١٢: ١٠٠ أو ما هو أعم من ذلك من معاني الكلام، وسميت الرؤى أحاديث باعتبار حكايتها والتحديث بها، وقال

---

(١) تفسير المنار ١٢/٩٠

بعض المفسرين وتبعه غيره: إن الرؤيا حديث الملك إن كانت صادقة، وحديث الشيطان إن كانت كاذبة، وهذا القول يخالف الواقع فإن رؤيا يوسف ليس فيها حديث، وكذا رؤيا صاحبيه في السجن ورؤيا ملك مصر، وإنما سميت رؤيا لأنها عبارة عما يرى في النوم، كما أن الرؤية اسم لما يرى في اليقظة، فهما كالقربة والقربى وفرق بينهما للتمييز، وقد يسمع رائيها أحاديث رجل يحدثه، ولكن تأويل رؤياه يكون لجملة ما رآه وسمعه لا لما سمعه فيها فحسب، كما يقصه بحديثه على من يعبره له، أي يعبر به من مدلول حديثه اللفظي إلى ما يؤول إليه، وقد يكون قريبا كرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك، وقد يكون بعيدا كتأويل رؤيا يوسف نفسه، ولفظ الأحاديث اسم جمع سماعي كالأباطيل. والرؤيا الصادقة ضرب من إدراك نفس الإنسان أحيانا لبعض الأشياء قبل وقوعها باستعدادها الفطري، إما بعينها وهو قليل، وإما بمثال عليها وهو المحتاج إلى التأويل، وسنبين الفرق بين الرؤيا الصادقة وبين أضغاث الأحلام، ورأي علماء الإفرنج ومقلديهم فيها في خلاصة السورة الإجمالية إن شاء الله – تعالى –

وتعليم الله التأويل ليوسف إيتاؤه إلهاما وكشفا للمراد منها أو فراسة خاصة فيها، أو علما أعم منها، كما يدل عليه قوله الآتي لصاحبي السجن: (لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي) ٣٧ روي عن ابن زيد أنه قال في تأويل الأحاديث: تأويل العلم والحلم وكان يوسف من أعبر الناس، وقال الزجاج، تأويل أحاديث الأمم السالفة والكتب المنزلة.

زعم الزمخشري وتبعه مقلدوه أن هذه الجملة كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه، كأنه قيل: وهو يعلمك ويتم نعمته عليك، وبنى هذا على ما فهمه من دلالة الرؤيا على الاجتباء فقط، وما هذا الفهم إلا من تأثير قواعد النحو، والذي نجزم به أن يعقوب – عليه". (١)

١٥٣. ١٥٣–"قال الأستاذ الإمام: لم يقتصر أحد من المفسرين على ذكر المال فقط إلا مفسرنا وقوله صادق فيما ذكروه وجها، وذكروا معه قول من قيده بالكثير كالبيضاوي، وجزم المفسر بأن الآية منسوخة بآية المواريث وحديث الترمذي ((لا وصية لوارث)) ورده بعضهم ؛ فكلام الجلالين في المسألتين غير مسلم، وإنني أفصل ما ذهب إليه شيخنا، وأشرح استدلاله عليه فأقول: –

أما الأولى فقد قالوا: إن المال لا يسمى في العرف خيرا إلا إذا كان كثيرا، كما لا يقال فلان ذو مال إلا إذا كان ماله كثيرا وإن تناول اللفظ صاحب المال القليل، وأيدوا هذا بما رواه ابن أبي شيبة عن

---

(١) تفسير المنار ٢١١/١٢

عائشة رضي الله عنها قال لها رجل: أريد أن أوصي. قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: قال الله تعالى: (إن ترك خيرا) وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك فهو أفضل. وروى البيهقي وغيره أن عليا دخل على مولى له في الموت وله سبعمائة درهم أو ستمائة درهم فقال: ألا أوصي؟ قال: لا إنما قال الله تعالى: (إن ترك خيرا) وليس لك كثير مال فدع مالك لورثتك – فعبارتهما تدل على أنهم ما كانوا يفهمون من الخير إلا المال الكثير، واختلفوا في تقدير الكثير فروى عبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال: من لم يترك ستين دينارا لم يترك خيرا. واختار الأستاذ الإمام عدم تقديره لاختلافه باختلاف العرف، فهو موكول عنده إلى اعتقاد الشخص وحاله، ولا يخفى أن العرف يختلف باختلاف الزمان والأشخاص والبيوت، فمن يترك سبعين دينارا في منزل فقر، وبلد قفر، وهو من الدهماء فقد ترك خيرا. ولكن الأمير أو الوزير، إذا تركا مثل ذلك في المصر الكبير فهما لم يتركا إلا العدم والفقر، وما لا يفي بتجهيزهما إلى القبر.

وأما الثانية: فهي خلافية، والجمهور على أن الآية منسوخة بآية المواريث أو بحديث ((لا وصية لوارث)) أو بهما جميعا، على أن الحديث مبين للآية. قال البيضاوي:

وكان هذا الحكم في بدء الإسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام: ((إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث)) وفيه نظر ؛ لأن آية المواريث لا تعارضه، بل تؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقا، والحديث من الآحاد، وتلقي الأمة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر اهـ. أي والظني من الحديث لا ينسخ القطعي منه فكيف ينسخ القرآن وكله قطعي؟ وقد زاد الأستاذ الإمام عليه القول بأنه **لا دليل على** أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا، وبأن السياق ينافي النسخ ؛ فإن الله تعالى إذا شرع للناس حكما وعلم أنه مؤقت وأنه سينسخه بعد زمن قريب فإنه لا يؤكده ويوثقه بمثل ما أكد به أمر الوصية هنا من كونه حقا على المتقين، ومن وعيد من بدله، وبإمكان الجمع بين الآيتين إذا قلنا إن الوصية في". (١)

١٥٤. ١٥٤-"وترجيح الاجتهاد على النص، فعلينا ألا نحفل بكل ما قيل، وأن نعتصم بكتاب الله قبل كل شيء، ثم بسنة رسوله التي جرى عليها أصحابه والسلف الصالحون، وليس في ذلك شيء يخالف الكتاب العزيز.

---

(١) تفسير المنار ٢/١٠٩

وصفوة القول أن الآية غير منسوخة بآية المواريث لأنها لا تعارضها بل تؤيدها، **ولا دليل على** أنها بعدها، ولا بالحديث ؛ لأنه لا يصلح لنسخ الكتاب، فهي محكمة وحكمها باق، ولك أن تجعله خاصا بمن لا يرث من الوالدين والأقربين كما روي عن بعض الصحابة وأن تجعله على إطلاقه، ولا تكن من المجازفين الذين يخاطرون بدعوى النسخ فتنبذ ما كتبه الله عليك بغير عذر، ولا سيما بعدما أكده بقوله: (حقا على المتقين) أي: حق ذلك الذي كتب عليكم من الوصية أو حققته حقا على المتقين لي، المطيعين لكتابي. والمتبادر أن معنى المكتوب: المفروض، وبه قال بعضهم هنا، وقال آخرون: إنه للندب، ويؤيد الفرضية قوله تعالى في وعيد المبدلين له: (فمن بدله) أي: بدل ما أوصى به الموصي (بعدما سمعه) من الموصي أو علم به علما صحيحا من كتابة الوصية وهو مشروع كما سيأتي ومن الحكم بها (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) من ولي ووصي وشاهد وقد برئت منه ذمة الموصي وثبت أجره عند الله تعالى (إن الله سميع) لما يقوله المبدلون في ذلك (عليم)

بأعمالهم فيه فيجازيهم عليها، وهو يتضمن تأكيد الوعيد، والضمير في المواضع الثلاثة راجع إلى الحق أو الإيصاء ؛ أي: أثره ومتعلقه.

وقد قال بوجوب الوصية بعض علماء السلف واستدلوا عليه بالآية وبحديث ((ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يريد أن يوصي به إلا ووصيته عند رأسه)) رواه الجماعة كلهم من حديث ابن عمر. ومنهم عطاء والزهري وأبو مجلز وطلحة بن مصرف. وحكاه البيهقي عن الشافعي في القديم وبه قال إسحاق وداود. واختاره أبو عوانة الإسفراييني وابن جرير وآخرون اهـ. من فتح الباري، وقال الجمهور: مندوبة، وتقدم قولهم في الآية.

ثم قال: (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه) الجنف – بالتحريك – الخطأ، والإثم يراد به تعمد الإجحاف والظلم، والموصي فاعل الإيصاء، وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب (موص) بالتشديد من التوصية. والمعنى إن خرج الموصي في وصيته عن المعروف والعدل خطأ أو عمدا فتنازع الموصى لهم فيه أو تنازعوا مع الورثة فينبغي أن يتوسط بينهم من يعلم بذلك ويصلح بينهم، ولا إثم عليه في هذا الإصلاح إذا وجد فيه شيئا من تبديل الجنف والحيف ؛ لأنه تبديل باطل إلى حق وإزالة مفسدة بمصلحة، فقلما يكون إصلاح إلا بترك بعض الخصوم شيئا مما يراه حقا له للآخر.

قال الأستاذ الإمام: الآية استثناء مما قبلها ؛ أي: إن المبدل للوصية آثم إلا من رأى إجحافا أو جنفا في الوصية فبدل فيها لأجل الإصلاح وإزالة التخاصم والتنازع والتعادي بين الموصى لهم، فعبر بـ

(خاف)". (١)

١٥٥. ١٥٥-"ثم بين تعالى أن الصيام الذي كتبه علينا معين محدود فقال: (أياما معدودات) أي: معينات بالعدد، أو قليلات وهي أيام رمضان كما سيأتي، وروي عن ابن عباس وغيره، قال المفسرون: وعليه أكثر المحققين، وزعم بعض الناس أن هذه الأيام غير رمضان، وهي يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، وعينها بعضهم بأنها الأيام البيض أي الثالث عشر وما بعده ثم نسخت بآية (شهر رمضان) الآتية، ولم يثبت في السنة أن الصوم كان واجبا على المسلمين قبل فرض رمضان، ولو وقع لنقل بالتواتر ؛ لأنه من العبادات العملية العامة. نعم ؛ ورد في الصحيح الآحادي أحاديث متعارضة في صوم يوم عاشوراء في الجاهلية وبعد الإسلام، بعضها بالأمر به في المدينة وبعضها بالتخيير، ولكن **لا دليل على** أنه كان فرضا عاما في المسلمين، ولا على أنه نسخ، فهم لا يزالون يصومونه استحبابا من شاء منهم، بل يدل حديث ((لئن بقيت إلى قابل لأصومن من التاسع)) مع ما ورد من أنه - صلى الله عليه وسلم - مات من سنته تلك، على أن الأمر بصوم عاشوراء كان في آخر زمن البعثة، وليس هذا محل تمحيص هذه الروايات والجمع بينها، ولكن كان لبعض العلماء ولع بتكثير استخراج الناسخ والمنسوخ من القرآن لما فيه من الدلالة على سعة العلم بالقرآن، وإن كان علما بإبطال القرآن بادي الرأي من غير حجة تضاهي حجة القرآن في القطع والقوة. ولا ينبغي للمؤمن أن يحسب هذا هينا وهو عند الله عظيم.

(فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) أي: من كان كذلك فأفطر فعليه صيام عدة من أيام أخر غير تلك الأيام المعدودات ؛ أي: فالواجب عليه القضاء إذا أفطر بعدد الأيام التي لم يصمها، وكل من المريض والمسافر عرضة لاحتمال المشقة بالصيام، وإطلاق كلمة (مريضا) يدل على أن الرخصة لا تتقيد بالمرض الشديد الذي يعسر معه الصوم، وروي هذا عن عطاء وابن سيرين وعليه البخاري ؛ لأن أمثال هذه الأحكام تقرن بمظنة المشقة تحقيقا للرخصة، فرب مرض لا يشق معه الصوم ولكنه يكون ضارا بالمريض وسببا في زيادة مرضه وطول مدته، وتحقيق المشقة عسر، وعرفان الضرر أعسر. واستدل الجمهور على

تقييده بالمرض الذي يعسر الصوم معه بقوله في الآية الأخرى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم

(١) تفسير المنار ٢/١١٤

العسر) ولا دليل فإنه تعليل لأصل الرخصة، وكمالها ألا يكون فيها تضييق.

وكذلك السفر يشمل إطلاقه وتنكيره الطويل والقصير وسفر المعصية. فالعمدة فيه ما يسمى في العرف سفرا كسائر الألفاظ المطلقة في الشرع. والعرف يختلف باختلاف أسباب المعيشة ووسائل النقل، فالذي يركب في هذا الزمان سيارة بخارية أو طيارة هوائية مسافة ثلاثة أميال أو فراسخ أو مسافة يوم أو يومين بتقدير سير الأثقال ليمكث مدة قصيرة ثم يعود إلى بلده وداره، ولا يسمى في العرف مسافرا بل متنزها. وقد جاء في السنة ما يؤيد هذا الإطلاق في السفر القصير فقد روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس أنه قال: ((كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم". (١)

١٥٦. ١٥٦-"ومنهم (الجلال) : إنها خصصتها بغير الكتابيات، والمقصود واحد. وزعم بعض المفسرين أن آية البقرة هي الناسخة لآية المائدة، وهذا لا وجه له مع الاتفاق على أن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا. وذهب بعض آخر إلى التأويل بأن آية المائدة مقيدة بما إذا أسلمن، وهذا ليس بشيء؛ إذ لا دليل على القيد المحذوف؛ ولأن المشركات إذا أسلمن يحل نكاحهن أيضا بالإجماع، وجرى عليه العمل في عصر التنزيل قبل نزول الآية فما فائدة ذكره؟

وقد اختلف في المجوس فقيل: يدخلون في المشركين لأنهم لا كتاب لهم، وقيل: بل كان لهم كتاب، وبعض الفقهاء يقول: لهم شبهة كتاب، وقد يشعر بأنهم أهل كتاب قوله تعالى في سورة الحج: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) (٢٢: ١٧) فالعطف يقتضي المغايرة. وقد فرق الفقهاء بين المشركين والمجوس في الجزية ولا حاجة للبحث في ذلك هنا.

أما ما استدل به الآخرون على شرك أهل الكتاب من قوله تعالى: (سبحانه عما يشركون) (٩: ٣١) وقوله: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) (٤: ٤٨) الآية فقد أجابوهم

عن الأول بأن قوله: (يشركون) لا يقتضي أن من حكى عنهم ذلك الفعل يشتق لهم منه وصفا يكون عنوانا لهم فيدخلوا في صنف من يسميهم القرآن بالمشركين " والذين أشركوا " ؛ فإن الأوصاف كثيرا ما يراد بها عند أهل التخاطب صنف مخصوص لا يدخل فيه كل من يتلبس بالفعل الذي اشتق منه

---

(١) تفسير المنار ٢/١٢١

الوصف. مثال ذلك لفظ (العلماء) يطلق الآن عند المسلمين على صنف من الناس لا يدخل فيه كل من يتعلم علما أو علوما، ولو تعلم ما يتعلمون وفاقهم فيه ما لم يكن على زيهم ومشاركا لهم في مجموع المزايا التي كانوا بها صنفا مستقلا، ويطلق هذا اللفظ عند قوم آخرين على صنف آخر، وأجابوا عن الثاني بأنه مسوق لبيان فظاعة الشرك والتغليظ فيه وكونه غاية البعد عن الله تعالى، بحيث قضى بألا تتعلق مشيئته بغفرانه، على أنه لو شاء أن يغفر كل ذنب سواه لفعل؛ إذ لا مرد لمشيئته، فلا يدخل هذا فيما نحن فيه؛ إذ لا يدل على أن كل من ليس مشركا يغفر الله له، فيقال: إن نفي الشرك عن أهل الكتاب يستلزم مغفرة الله تعالى لهم مع قيام الأدلة على أنه لا يغفر لمن تبلغه دعوة الحق الذي جاء به الإسلام فيجحدها عنادا واستكبارا.

(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) هذا معطوف ما قبله من الأمر بالإصلاح والنهي عن الإفساد، ومعناه لا تتزوجوا النساء المشركات ما دمن على شركهن (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم) أي: والله إن أمة – أي: مملوكة – مؤمنة بالله". (١)

١٥٧. ١٥٧–"وعرفا أن تطلب الطلاق، وقد رفع عنها الجناح فيه بهذا العذر، وهو علمها بتعذر إقامة حدود الله في الزوجية.

وقد يقال: إن هناك حالة ثانية وهي أن يكره كل منهما الآخر ويود فراقه. ويقول: إن المطلوب في هذه الحال الصبر لقوله تعالى: (فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (٤: ١٩) فإن صبر أحدهما دون الآخر جاء الوجهان السابقان، وإن اتفقا على الفراق خوفا من الشقاق، ورضيت المرأة بأن تعطيه شيئا صدق عليها أنها هي الطالبة للفسخ.

وجملة القول أنه لا يجوز للرجل أن يأخذ منها شيئا إلا برضاها واختيارها من غير إيذاء منه ولا مضارة، ويدل على هذا ما ورد في نزول الآية.

أخرج البخاري والنسائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس ((أن جميلة بنت عبد الله ابن سلول امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني

لا أطيقه بغضا، وأكره الكفر في الإسلام (أي: كفر نعمة العشير وخيانته) قال: أتردين عليه حديقته؟

---

(١) تفسير المنار ٢٧٨/٢

قالت: نعم، قال: أقبل الحديقة، وطلقها تطليقة)) ولفظ ابن ماجه ((فأمره أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد)) وذكر السيوطي في أسباب النزول من رواية ابن جرير عن ابن جريج أن قوله: (ولا يحل لكم أن تأخذوا) إلخ، نزل في ذلك. وقد زعم بعض العلماء أن هذه الآية منسوخة بآية النساء التي لا استثناء فيها، **ولا دليل على** ذلك، والجمهور على خلافه.

وهذا الفراق المبني على الافتداء يسمى الخلع. وقد اختلف فيه العلماء: هل هو طلاق أم فسخ؟ ولكل مذهب أدلة ليس التفسير بمحل لها، ويترتب على هذا الاختلاف في عده من الطلقات الثلاث أم لا، وفي عدة المختلعة. فالجمهور على أنها كعدة المطلقة، وفي حديث ابن عباس عند أبي داود والترمذي والنسائي والحاكم ((أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر امرأة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة)) مثله حديث الربيع بنت معوذ عند الترمذي.

ثم ختم الآية بوعيد من يخالف هذه الأحكام فقال: (تلك حدود الله فلا تعتدوها) أي: هذه الأوامر والنواهي هي حدود الله للمعاملة الزوجية فلا تتجاوزوها بالمخالفة (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) الذين صار الظلم وصفا لازما لهم متمكنا من أنفسهم دون الملتزمين لها، والظلم آفة العمران ومهلك الأمم، وإن ظلم الأزواج للأزواج أعرق في الإفساد، وأعجل في الإهلاك من ظلم الأمير للرعية ؛ لأن رابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلافي الفطرة، فإذا فسدت الفطرة فسادا انتكث به هذا القتل، وانقطع هذا". (١)

١٥٨. ١٥٨–"هذا انتقال من أحكام الطلاق إلى أحكام الرضاعة، وكلاهما من أحكام البيوت (العائلات) الهادية إلى كيفية التعامل بين الأزواج من المعاشرة بالمعروف وتربية الأطفال، فمن ثم عطف على ما قبله، وللمفسرين في قوله: (والوالدات) ثلاثة أقوال:

(القول الأول) أنه خاص بالمطلقات لوجوه: (أحدها) أن الكلام السابق في أحكامهن وهذا من تتمته. (ثانيها) إيجاب رزقهن وكسوتهن على الوالد، ولو كن أزواجا لما كان هناك حاجة إلى هذا الإيجاب؛ لأن النفقة على الزوج التي في العصمة واجبة للزوجية لا للرضاع. (ثالثها) أن المطلقة عرضة لإهمال العناية بالولد وترك إرضاعه؛ لأنه يحول دون زواجها في الغالب، ولما فيه من النكاية بالرجل ولا سيما الذي لم يتيسر له استئجار ظئر تقوم مقام الوالدة، وهنا وجه (رابع) لترجيح هذا القول ظهر لي الآن؛

---

(١) تفسير المنار ٢/٣٠٩

وهو تعليل الحكم بالنهي عن المضارة بالولد، وإنما تضار بذلك المطلقة دون التي في العصمة، فبين أن للمطلقة الحق في إرضاع ولدها كسائر الوالدات، وأنه ليس للمطلق منعها منه وهو عرضة لهذا المنع.

(القول الثاني) أنه خاص بالوالدات مع بقاء الزوجية، قال الواحدي في هذا

القول: هو الأولى؛ لأن المطلقة لا تستحق الكسوة وإنما تستحق الأجرة، وأقول: إن هذا الترجيح مرجوح لا يلتفت إليه؛ لأنه مبني على الاحتجاج بقول الفقهاء على القرآن وهذا القول أضعف الأقوال.

(القول الثالث) أنه عام في جميع المطلقات، وقال كثيرون: إنه أولى عملا بظاهر اللفظ؛ فهو عام لا دليل على تخصيصه، ويكون الرزق والكسوة – أي النفقة – خاصا ببعض أفراد العام وهن الوالدات المطلقات. وقال بعضهم: إن استئجار الأم للإرضاع صحيح، وعبر عن الأجرة بالرزق والكسوة، وقيل: إنه ليس في الآية ما يدل على أن الرزق والكسوة لأجل الرضاع، وأنت ترى أن هذا خلاف المتبادر من الآية، ونحن لا نستفيد من جعل الآية عامة زيادة عما نستفيد بجعلها خاصة، إلا أنه يجب على غير المطلقة من إرضاع الولد مطلقا أو بشرط ما يجب على المطلقة بالنص، وأنه من حقوقها أيضا، وهذا يؤخذ من الآية إذا حملت على التخصيص بالطريق الأولى، على أن القائلين بالعموم لم يقولوا بهذا الوجوب مطلقا كما يأتي، ولا أذكر عن الأستاذ الإمام ترجيحا أو اختيارا في هذه المسألة.

قوله تعالى: (والوالدات يرضعن أولادهن) أمر جاء بصيغة الخبر للمبالغة في تقريره". [١]

١٥٩. ١٥٩–"التلميذ: إننا لا نرى في الأرض ولا في الهواء شيئا من مادة النبات ولا من صفاته كاللون والطعم والرائحة.

الشاب: إنه يأخذ منها العناصر البسيطة فيأخذ من الهواء الأكسجين والنيتروجين " الأزوت " وكذلك الكربون وبعض الأملاح التي توجد في الهواء عادة وإن لم تكن جزءا منه، ويأخذ من الأرض ما يناسبه من عناصرها الكثيرة كالبوتاسا والفسفور والحديد والجير والأملاح، ويكون مما يأخذه من ذلك غذاءه بعمل كيماوي منتظم، يعجز عن مثله أعلم علماء الكمياء، وقد علمت أن جميع هذه الصور المختلفة الأشكال والصفات إنما اختلف بعضها عن بعض باختلاف التركيب الكيماوي وعمل الطبيعة، حتى إن مادة السكر هي عين المادة التي يتكون منها الحنظل،

---

(١) تفسير المنار ٢/٣٢٤

والماس والفحم الحجري من عنصر واحد.
الشيخ: إن النبات لا حياة فيه ولو كان يعمل عمله الذي ذكرت في معنى النمو وكيفيته بما تقتضيه صفة الحياة التي أثبتها له، لكان عالما بعمله ومختارا فيه، ولم يرد بهذا نقل، ولا أثبته عقل، فنمو النبات إنما يكون بمحض قدرة الله – تعالى –.
الشاب: **لا دليل على** أن للنبات علما ولا على أنه لا علم له، فهو في عمله كأعضاء الإنسان وغيره من الحيوانات التي تعمل أعمالا منتظمة لا شعور للإنسان بها ولا هي صادرة عن علمه وتدبيره ؛ كأعمال المعدة والكبد في هضم الطعام، فليس عندنا دليل على أن للمعدة علما خاصا ولا على أنه لا علم لها، ولكننا نعلم أنها عضو حي بحياة صاحبه فإذا أبين منه ثم وضع فيه الطعام فإنه لا يعمل ذلك العمل، وكون كل شيء بقدرة الله لا يمنع أن يكون لكل شيء سبب ؛ فالله – تعالى – حكيم لا يعمل شيئا إلا بنظام ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت [٦٧:٣] .
التلميذ: من أين تكون هذه الحياة النباتية للنبات، والحياة الحيوانية للحيوان، فهل المادة التي يتغذى بها النبات حية فيأخذ منها حياته؟
الشاب: كلا، إن مواد التغذية ليست حية بنفسها، ألا ترى أن الإنسان لا يأكل شيئا من الحيوان إلا بعد إماتته بنحو الذبح والطبخ، ولا يأكل نباتا إلا بعد إزالة حياته النباتية ولو بالقطع والمضغ فقط؟ وكذلك النبات، ولكن في النواة التي تتولد منها الشجرة والبيضة التي يتولد منها الحيوان حياة كامنة مستعدة للنمو بالتغذية على ما نشاهد في الكون، وهذه الحياة مجهولة الكنه والمبدأ حتى اليوم، وأمرها أخفى من أمر المادة في كنهها ومبدئها.
الشيخ: إذا كنتم في علمكم هذا أرجعتم جميع العناصر التي تألفت منها مادة الكون إلى شيء واحد عرف أثره ولم يعرف حقيقته –كما قلت في مبحث الوحدانية – فما بالكم تقفون في حياة بعض المواد كالنبات والحيوان، وتقولون: لا نعرف مبدأ حياته وحقيقتها وتقفون". (١)

١٦٠. ١٦٠–"واحتج القائلون بالقول المشهور بوجوه:
(الأول) أن كل المفسرين الذين كانوا قبل أبي مسلم أجمعوا على أنه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع أجزائها فيكون إنكار ذلك إنكارا للإجماع.

---

(١) تفسير المنار ٣/٢٣

(والثاني) أن ما ذكره غير مختص بإبراهيم – صلى الله عليه وسلم – فلا يكون له فيه مزية على الغير.
(والثالث) أن إبراهيم أراد أن يريه الله كيف يحيي الموتى. وظاهر الآية يدل على أنه أجيب إلى ذلك. وعلى قول أبي مسلم لا تحصل الإجابة في الحقيقة.
(والرابع) أن قوله: ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يدل على أن تلك الطيور جعلت جزءا جزءا. قال أبو مسلم في الجواب عن هذا الوجه: إنه أضاف الجزء إلى أربعة فيجب أن يكون المراد بالجزء هو الواحد من تلك الأربعة. والجواب أن ما ذكرته وإن كان محتملا إلا أن حمل الجزء على ما ذكرنا أظهر. والتقدير فاجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا أو بعضا ". انتهى كلام الرازي.
آية فهم الرازي وغيره فيها خلاف ما فهمه جميع المفسرين من قبله. ولم يقل أحد: إن فهم فئة من الناس حجة على فهم الآخرين، على أن ما فهمه أبو مسلم هو المتبادر من عبارة الآية الكريمة، وما قالوه مأخوذ من روايات حكموها في الآية، ولآيات الله الحكم الأعلى، وعلى ما في تلك الرواية هي لا تدل.
وأما قوله: إن ما ذكره أبو مسلم غير مختص بإبراهيم فلا يكون فيه مزية فهو مردود بأن هذا المثال لكيفية إحياء الله للموتى أو لكيفية التكوين: فيه توشيح لها وتحديد لما يصل إليه علم البشر من أسرار الخليقة **ولا دليل على** أن العلم بذلك كان عاما في الناس، فيقال: إنه لا خصوصية فيه لإبراهيم، على أنه يرد مثل هذا الإيراد على حجة إبراهيم على الذي آتاه الله الملك، وحجته على عبدة الكواكب في سورة الأنعام، فإن مثل هذه الحجج التي أيد الله – تعالى – بها إبراهيم مما يحتج به الرازي وغيره. فهل ينفي ذلك أن تكون هداية من الله لإبراهيم وإخراجا من ظلمات الشبه التي كانت محيطة بأهل زمنه إلى نور الحق وقد قال تعالى: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم [٦: ٨٣] الآية.
وأما قوله: إن إجابة إبراهيم إلى ما سأل لا تحصل بقول أبي مسلم وإنما تحصل بقول الجمهور فالأمر بعكسه، وذلك أن إتيان الطيور بعد تقطيعها وتفريق أجزائها في الجبال لا يقتضي رؤية كيفية الإحياء، إذ ليس فيها إلا رؤية الطيور كما كانت قبل التقطيع ؛ لأن الإحياء حصل في الجبال البعيدة. وافرض أنك رأيت رجلا قتل وقطع إربا إربا ثم رأيته حيا أفتقول حينئذ: إنك عرفت كيفية إحيائه؟ هذا ما يدل عليه قولهم، وأما قول أبي مسلم فهو الذي يدل على غاية". [١]

---

(١) تفسير المنار ٤٨/٣

١٦١.   ١٦١-"هنا ؛ فقيل: هو خاص بالزكاة المفروضة. وقيل: خاص بالتطوع ؛ وقيل: يعمهما وهو الصواب. إذ لا دليل على التخصيص. واختلف الذين قالوا: إن الآية في الزكاة المفروضة هل تجب الزكاة في كل ما يخرجه الله للناس من الأرض عملا بعموم اللفظ أم يخص ببعض ذلك؟ واختلف القائلون بالتخصيص ؛ فقال بعضهم: إنه خاص بما يقتات به دون نحو الفاكهة والبقول ؛ وقال بعضهم غير ذلك. والآية في نفسها جلية واضحة لا مثار للخلاف فيها، وإنما جاء الخلاف في من حملها على زكاة الفريضة مع إضافة ما ورد من الروايات القولية في زكاة ما تخرج الأرض إليها. ومن جردها عن الآراء والروايات فهم منها أن الله – تعالى – يأمرنا بأن ننفق من كل ما ينعم به علينا من الرزق سواء كان سببه كسب أيدينا أو ما يخرجه لنا من نبات الأرض ومعادنها، كل ذلك فضل منه يجب شكره له بنفقة بعض الجيد منه في سبيله وابتغاء مرضاته. والآية لم تخصص ولم تعين مقدار ما ينفق، بل وكلته إلى رغبة المؤمن في شكر الله – تعالى –، فإن ورد دليل آخر يعين بعض النفقات فله حكمه.

أقول: لم يبق بعد هذا الترغيب والترهيب، والتعليم الكامل والتأديب، إلا أن يكون المؤمن بهذا الهدى أشد الناس رغبة في الصدقة والإنفاق في سبيل الله بحسب سعته وحاله وأن يكون في بذله مخلصا متحريا مواقع الفائدة، مبتعدا بعد البذل عما يذهب بثمرته من المن والأذى، ولكنك تجد كثيرا من اللابسين لباس الإيمان يتقلبون في النعم وهم أشد الناس لها كفرا ؛ إذ كانوا أشد الناس إمساكا وبخلا، وقد يعد هذا من مواطن العجب، ولكن الكتاب الحكيم قد جاءنا بما له من العلة والسبب، وأرشدنا إلى طريق التفصي منه والهرب فقال:

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة

منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فقوله – تعالى –: الشيطان يعدكم الفقر معناه أنه يخيل إليكم بوسوسته أن الإنفاق يذهب بالمال ويفضي إلى سوء الحال، فلا بد من إمساكه والحرص عليه استعدادا لما يولده الزمن من الحاجات، وهذا هو معنى قوله – تعالى –: ويأمركم بالفحشاء فإن الأمر هنا عبارة عما تولده الوسوسة من الإغراء، والفحشاء البخل، وهي في الأصل كل ما فحش ؛ أي اشتد قبحه، وكان البخل عند العرب

من أفحش الفحش، قال طرفة:". (١)

١٦٢. ١٦٢-"عز وجل -: ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا ؛ لأني أحللت البيع وحرمت الربا، والأمر أمري، والخلق خلقي، أقضي فيهم ما أشاء، وأستعبدهم بما أريد، ليس لأحد منهم أن يعترض في حكمي ". اهـ.

أقول: أما ما قاله في بيان الفرق بين الزيادتين فهو الصواب، وما ذكره في معنى الربا هو الذي كان معهودا عندهم، وهو ما يسميه الفقهاء ربا النسيئة -كما تقدم - وأما قوله:

إنهم كان يقال لهم: هذا ربا محرم، وكانوا يجيبون بما حكى الله عنهم فليست الآية نصا فيه، إذ الحكاية عن الأحوال بالأقوال من الأساليب المعروفة عند العرب، ويتوقف جعل القول على حقيقته على إثبات اعتقاد العرب بتحريم الربا، أو على جعل الآية خاصة باليهود ؛ فإن الربا محرم في شريعتهم، وهم أشد الخلق مراباة وكانوا يستحلون أكل أموال العرب بكل نوع من أنواع الباطل قالوا ليس علينا في الأميين سبيل [٣: ٧٥] وإنما حرم علينا أكل أموال إخوتنا الإسرائيليين، **ولا دليل على** التخصيص، بل الآيات نزلت في وقائع لغيرهم -كما سيأتي - ثم إن ما علل به كون إحدى الزيادتين ليست كالأخرى وهو أن الله حرمها، يقال فيه: إنها ليست مثلها في الواقع ونفس الأمر كما بين هو، ولا في النفع والضر كما سنبين ؛ ولذلك حرمها الله - تعالى -، فما حرم الله - تعالى - شيئا إلا لأنه ضار في نفسه، ولا أحل شيئا إلا وهو نافع في نفسه.

ثم قال تعالى: فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف تقدم الكلام في معنى الوعظ، وكون أحكام القرآن مقرونة بالمواعظ في تفسير (آية ٢٣٢) أي فمن بلغه تحريم الله - تعالى - للربا ونهيه عنه فترك الربا فورا بلا تراخ ولا تردد، انتهاء

عما نهى الله عنه فله ما كان أخذه فيما سلف من الربا لا يكلف رده إلى من أخذه منهم، بل يكتفي منه بألا يضاعف عليهم بعد البلاغ شيئا وأمره إلى الله يحكم فيه بعدله، ومن العدل ألا يؤاخذ بما أكل من الربا قبل التحريم وبلوغه الموعظة من ربه، ولكن العبارة تشعر بأن إباحة أكل ما سلف رخصة للضرورة، وتومئ إلى أن رد ما أخذ من قبل النهي إلى أربابه الذين أخذ منهم من أفضل العزائم، ألم تر أنه عبر عن إباحة ما سلف باللام، ولم يقل كما قال بعد ذكر كفارة صيد المحرم عفا الله عما سلف

---

(١) تفسير المنار ٣/٦٢

[٥: ٩٥] وأنه عقب هذه الإباحة بإبهام الجزاء وجعله إلى الله، والمعهود في أسلوبه أن يصل مثل ذلك بذكر المغفرة والرحمة، كما قال في آخر آية محرمات النساء: وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما [٤: ٢٣] أباح أكل ما سلف قبل التحريم وأبهم جزاء آكله، لعله يغص بأكل ما في يده منه فيرده إلى صاحبه، ولكنه صرح بأشد الوعيد على من أكل شيئا بعد النهي فقال: ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي ومن عاد إلى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد". (١)

١٦٣. ١٦٣-"بالاستقامة،

وشكر الدائن بالاعتراف بحقه على وجه الكمال؛ لأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس كما ورد في الحديث، ثم نهاه بعد هذا الأمر المؤكد أن يبخس من الحق شيئا؛ لأن الإنسان عرضه للطمع فربما يستخفه طمعه إلى نقص شيء من الحق أو الإبهام في الإقرار الذي يملي على الكاتب تمهيدا للمحاولة والمماطلة ونحو ذلك. فهذا التأكيد بالنهي بعد الأمر لمقاومة هذا الأمر.
[٥] فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ذكر الذي عليه الحق مظهرا في موضع الإضمار لزيادة الكشف والبيان كما قالوا، وفسر السفيه بضعيف الرأي، أي من لا يحسن التصرف في المال لضعف عقله واختاره الأستاذ الإمام، وقيل: هو العاجز الأحمق. وقيل: الجاهل بالإملال، وقال الإمام الشافعي: هو المبذر لماله المفسد لدينه، وهو بمعنى الأول. والضعيف: الصبي والشيخ الهرم. ومن لا يستطيع الإملال: هو الجاهل والألكن والأخرس. وولي الإنسان من يتولى أموره ويقوم بها عنه، وقد اكتفى في أمر الولي بالعدل كالكاتب، ولم يؤمر وليه بمثل ما أمر ونهي به من عليه الحق؛ لأن من يبيع دينه بدنيا غيره قليل بالنسبة إلى من يبيع دينه بدنيا نفسه.
[٦] واستشهدوا شهيدين من رجالكم أي اطلبوا أن يشهد على ذلك رجلان ممن حضر ذلك منكم أو أشهدوها على ذلك، فالشهيد من شهد الشيء وحضره بإمعان، كما يؤخذ من صيغة المبالغة، واستشهده سأله أن يشهد ؛ أي أن تكون شاهدا بذلك عند الحاجة إليه، ويطلق الشهيد على الأمين في الشهادة كما في القاموس ولعل الوصف منتزع من صيغة المبالغة، ولكن حمل هذا التفسير على الشهيد اسما لله - تعالى - **ولا دليل على** التخصيص، والسياق يدل مع الصيغة على أن وصف

(١) تفسير المنار ٣/٨٢

الكمال معتبر فيمن يستشهد، كما اعتبر مثله في الكاتب والولي، وما بيناه في معنى الشهيد يرد قول القائلين: إن المراد بالشهيدين من سيكونان شاهدين بذلك الحق من باب مجاز الأول، وقوله: من رجالكم والخطاب للمؤمنين يدل على أنهم لا يستشهدون من لم يكن منهم، وكون استشهاد غيرهم ليس مشروعا لهم أو ليس جائزا عملا

بمفهوم الصفة لا يعد نصا على أن شهادته إذا هو شهد لا تصح أو لا تدل على شيء، ولكن العلماء اتفقوا على شروط في الشهادة الشرعية منها: الإسلام والعدالة ؛ لهذه الآية ولقوله: وأشهدوا ذوي عدل منكم [٦٥:٢] وجعلوا قوله – تعالى – في آية الوصية: اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم [٥:١٠٦] خاصا بمثل تلك الواقعة، وأولها بعضهم بغير ذلك كما يأتي في محله، ولا أحفظ عن الأستاذ الإمام شيئا في المسألة، وقد حقق العلامة ابن القيم أن البينة في الشرع أعم من الشهادة، فكل ما تبين به الحق بينه، كالقرائن القطعية، ويمكن أن تدخل شهادة غير المسلم في البينة بهذا المعنى الذي استدل عليه بالكتاب والسنة واللغة إذا تبين للحاكم بها الحق.". (١)

١٦٤. ١٦٤–"يسمونها التوراة **لا دليل على** أنه هو الذي كتبها ولا هي محفوظة عنه، بل قام الدليل عند الباحثين من الأوربيين على أنها كتبت بعده بمئات من السنين (أراه قال خمسمائة سنة) وكذلك يقال في سائر الكتب المنسوبة إلى الأنبياء في المجموع الذي يسمونه (الكتاب المقدس) أقول: ولا تعرف اللغة التي كتبت بها التوراة أول مرة، **ولا دليل على** أن موسى – عليه السلام – كان يعرف اللغة العبرانية وإنما كانت لغته مصرية، فأين هي التوراة التي كتبها بتلك اللغة ومن ترجمها عنها؟

أما قوله – تعالى –: ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون فللتراخي فيه وجهان (أحدهما) استبعاد توليهم لأنه خلاف الأصل الذي يكون عليه المؤمن. (ثانيهما) أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب يتولى ذلك الفريق بعد تردد وترو في القبول وعدمه، وكان من مقتضى الإيمان ألا يتردد المؤمن في إجابة الدعوة إلى حكم كتابه الذي هو أصل دينه، أورده الأستاذ الإمام وقال: على أنهم لم يكتفوا بالتردد حتى تولوا بالفعل، ولم يكن التولي عرضا حدث لهم بعد أن كانوا مقبلين على الكتاب خاضعين لحكمه في كل حال وآن، بل هو وصف لهم لازم، بل اللازم لهم ما هو شر منه وهو الإعراض عن كتاب الله في عامة أحوالهم، فجملة وهم معرضون ليست مؤكدة للتولي – كما قيل – بل هي مؤسسة لوصف الإعراض

---

(١) تفسير المنار ١٠٢/٣

الذي هو أبلغ منه، وإنما قال: فريق منهم لأن هذا الوصف ليس عاما لكل فرد منهم، بل كان منهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. ومنهم الذين آمنوا بالنبي – صلى الله عليه وسلم –.

أقول: وهذا مما عهدنا في أسلوب القرآن من تحديد الحقائق والاحتراس في الحكم على الأمم، فتارة يحكم على فريق منهم في مقام بيان شئونهم وتارة يحكم على أكثرهم، وإذا أطلق الحكم في بعض الآيات يتبعه بالاستثناء الأقل كقوله: تولوا إلا قليلا منهم [٢: ٢٤٦] .

ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات روى جرير وغيره من المفسرين أن بعض اليهود قالوا ذلك، وأن هذه الأيام المعدودات هي أربعون يوما مدة عبادتهم العجل، وقال الأستاذ الإمام: إنه لم يثبت في عدد هذه الأيام شيء، وليس في كتب اليهود التي في أيديهم وعد بالآخرة ولا وعيد، فكل ما وعدت به على العمل بالكتاب هو الخير والخصب والسلطة في الأرض، وما أوعدت به هو سلب هذه النعم وتسليط الأمم عليهم، ولكن الإسلام بين لنا أن كل نبي أمر بالإيمان باليوم الآخر ووعد وأوعد، فهذا هو الحق سواء أوجد في كتبهم أم لم يوجد، يعني أننا نعد هذا مما أضاعوه ونسوه على ما بينا في تفسير التوراة والإنجيل. قال والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها اتكالا على اتصال نسبهم بالأنبياء واعتمادا على مجرد الانتساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعما أنه خفيف في نفسه أو أنه غير واقع بمن يستحقه حتما تزول حرمة الأوامر". (١)

١٦٥. ١٦٥–"قال: وأما أولو الأمر فقد اختلف فيهم فقال بعضهم: هم الأمراء واشترطوا فيهم ألا يأمروا بمحرم كما قال مفسرنا (الجلال) وغيره، والآية مطلقة، أي:

وإنما أخذوا هذا القيد من نصوص أخرى كحديث: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وحديث إنما الطاعة في المعروف وبعضهم أطلق في الحكام فأوجبوا طاعة كل حاكم، وغفلوا عن قوله تعالى: منكم وقال بعضهم: إنهم العلماء، ولكن العلماء يختلفون، فمن يطاع في المسائل الخلافية ومن يعصى؟ وحجة هؤلاء أن العلماء هم الذين يمكنهم أن يستنبطوا الأحكام غير المنصوصة من الأحكام المنصوصة، وقالت الشيعة: إنهم الأئمة المعصومون، وهذا مردود إذ **لا دليل على** هذه العصمة، ولو أريد ذلك لصرحت به الآية، ومعنى وأولي الأمر الذين يناط بهم النظر في أمر إصلاح الناس، أو مصالح الناس،

---

(١) تفسير المنار ٣/٢١٩

وهؤلاء يختلفون أيضا، فكيف يؤمر بطاعتهم بدون شرط ولا قيد؟

قال رحمه الله تعالى: إنه فكر في هذه المسألة من زمن بعيد فانتهى به الفكر إلى أن المراد بأولي الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين، وهم الأمراء والحكام، والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر، أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا، وألا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي عرفت بالتواتر، وأن يكونوا مختارين في بحثهم في الأمر، واتفاقهم عليه، وأن يكون ما يتفقون عليه من المصالح العامة، وهو ما لأولي الأمر سلطة فيه ووقوف عليه، وأما العبادات وما كان من قبيل الاعتقاد الديني فلا يتعلق به أمر أهل الحل والعقد، بل هو مما يؤخذ عن الله ورسوله فقط ليس لأحد رأي فيه إلا ما يكون في فهمه.

فأهل الحل والعقد من المؤمنين إذا أجمعوا على أمل من مصالح الأمة ليس فيه نص عن الشارع ـ مختارين في ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد ولا نفوذه ـ فطاعتهم واجبة، ويصح أن يقال: هم معصومون في هذا الإجماع ؛ ولذلك أطلق الأمر بطاعتهم بلا شرط مع اعتبار الوصف والاتباع المفهوم من الآية، وذلك كالديوان الذي أنشأه عمر باستشارة أهل الرأي من الصحابة رضي الله عنهم، وغيره من المصالح التي أخذ بها برأي أولي الأمر من الصحابة ولم تكن في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يعترض أحد من علمائهم على ذلك.

قال: فأمر الله في كتابه وسنة رسوله الثابتة القطعية التي جرى عليها ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعمل هما الأصل الذي لا يرد، وما لا يوجد فيه نص عنهما ينظر فيه أولو الأمر إذا كان من المصالح ؛ لأنهم هم الذين يثق بهم الناس فيها ويتبعونهم، فيجب أن يتشاوروا في تقرير ما ينبغي العمل به، فإذا اتفقوا وأجمعوا وجب العمل بما أجمعوا عليه، وإن اختلفوا وتنازعوا". (١)

١٦٦. ١٦٦-"أدائه، وإن كان بمثل لفظ المبتدئ بالتحية، أو مساويه في الألفاظ، أو ما هو أخصر منه، فمن قال لك: أسعد الله صباحكم ومساءكم، فقلت له: أسعد الله جميع أوقاتكم كانت تحيتك أحسن من تحيته، ومن قال لك: السلام عليكم بصوت خافت يشعر بقلة العناية فقلت له: وعليكم السلام بصوت أرفع وإقبال يشعر بالعناية وزيادة الإقبال والتكريم، كنت قد حييته بتحية أحسن من

---

(١) تفسير المنار ١٤٧/٥

تحيته في صفتها، وإن كانت مثلها في لفظها، والناس يفرقون في القيام للزائرين بين من يقوم بحركة خفيفة وهمة تشعر بزيادة العناية ومن يقوم متثاقلا، ومن أهل دمشق من يشترطون في العناية بالقيام إظهار الاندهاش فيقولون: قام له باندهاش، أو قام بغير اندهاش.

علم من الآية الجواب عن التحية له مرتبتان: أدناهما ردها بعناية، وأعلاهما الجواب عنها بأحسن منها، فالمجيب مخير وله أن يجعل الأحسن لكرام الناس كالعلماء والفضلاء، ورد عين التحية لمن دونهم، وروي عن قتادة وابن زيد أن جواب التحية لأحسن منها للمسلمين وردها بعينها لأهل الكتاب، وقيل للكفار عامة، **ولا دليل على** هذه التفرقة من لفظ الآية ولا من السنة.

وقد روى ابن جرير عن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسيا، فإن الله يقول: فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها، أقول: وقد نزلت هذه الآية في سياق أحكام الحرب ومعاملة المحاربين والمنافقين، ومن قال لخصمه السلام عليكم فقد أمنه على نفسه، وكانت العرب تقصد هذا المعنى، والوفاء من أخلاقهم الراسخة ؛ ولذلك عد الأستاذ الإمام ذكر التحية مناسبا للسياق بكونها من وسائل السلام،

ولما صار لفظ السلام تحية المسلمين صارت التحية به عنوانا على الإسلام كما يأتي في قوله – تعالى – من هذه السورة ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا (٤: ٩٤) .

ومما ينبغي بيانه هنا أن بعض المسلمين يكرهون أن يحييهم غيرهم بلفظ السلام، ويرون أنه لا ينبغي رد السلام على غير المسلم، أي: يرون أنه لا ينبغي لغير المسلم أن يتأدب بشيء من آداب الإسلام، وفاتهم أن الآداب الإسلامية إذا سرت في قوم يألفون المسلمين ويعرفون فضل دينهم ربما كان ذلك أجذب لهم إلى الإسلام، ومن صفات المؤمن أنه يألف ويؤلف، وقد سئلت عن هذه الآية، وآية النور يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها (٢٤: ٢٧) ، هل السلام فيهما على إطلاقه وعمومه فيشمل المسلمين وغيرهم أم هو خاص بالمسلمين؟ فأجبت في المجلد الخامس من المنار (ص ٥٨٣ – ٦٨٥) بما نصه:

(ج) إن الإسلام دين عام ومن مقاصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو بالتدريج". [١]

---

(١) تفسير المنار ٥/٢٥٤

١٦٧.   ١٦٧-"ما بعد الأولى مخبرا عنها، ويشترط أن يكون أفراد كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الإخبار عمن قبلهم، وأن يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الأفراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم. وأن يتصل السند هكذا إلى الطبقة الأخيرة، فإن اختل شرط من هذه الشروط لا ينعقد التواتر.

وأنى للنصارى بمثل هذا التواتر؟ والذين كتبوا الأناجيل، والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر، ولم يخبر أحد منهم عن مشاهدة، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه والوهم. بل قال يوحنا في إنجيله: إن مريم المجدلية وهي أعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت أنه البستاني، وهو قد كان صاحب آيات، وخوارق عادات، فلا يبعد أن يلقى شبهه على غيره، وينجو بالتشكل بصورة غير صورته، كما رووا عنه أنه قال لهم: " إنهم يشكون فيه " وكما قال مرقس: إنه ظهر لهم بهيئة أخرى. ثم إن ما عزي إليهم، لم ينقله عنهم عدد التواتر، بالسماع منهم طبقة بعد طبقة، إلى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيهما دينهم، وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي وغيره انقطاع أسانيد هذه الكتب بالبينات الواضحة. وسيأتي في هذا السياق ما يدل على عدم الثقة بها.

(الشبهة الثانية) : يقولون لو لم تكن هذه القصة متواترة متفقا عليها، لوجد، فيهم، من أنكرها، كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده ؛ كالتثليث، ولم تخالفه في هذه العقيدة.

والجواب عن هذا عسير على من يجهل تاريخهم، يسير على المطلع عليه، فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرنثيين، والتاتيانوسيين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد، وقال فوتيوس: إنه قرأ كتابا يسمى: " رحلة الرسل " فيه أخبار بطرس، ويوحنا، وأندراوس، وتوما، وبولس، ومما قرأه فيه: " أن المسيح لم يصلب، ولكن صلب غيره، وقد ضحك
بذلك من صالبيه "

هذا، وإن مجامعهم الأولى قد حرمت قراءة الكتب التي تخالف الأناجيل الأربعة، والرسائل التي اعتمدتها، فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب ويتلفونها، وإننا نرى ما سلم بعض نسخه، منها، كإنجيل برنابا ينكر الصلب، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فقدت كانت تنكره أيضا، فنحن لا ثقة لنا باختيار المجامع لما اختارته، فنجعله حجة، ونعد ما عداه كالعدم. على أن عدم العلم بالمنكرين لا يقتضي عدم وجودهم، وعدم وجودهم لا يقتضي أن يكون ما اتفقوا عليه بتقليد بعضهم لبعض ثابتا في نفسه.

(الشبهة الثالثة) : يقولون: إن الأناجيل، ورسائل العهد الجديد قد أثبتت الصلب، وهي كتب مقدسة معصومة من الخطأ، فوجب اعتقاد ما أثبتته.

ونقول (أولا) : **لا دليل على** عصمة هذه الكتب، ولا على أن كاتبيها كانوا معصومين، و (ثانيا) : **لا دليل على** نسبتها إلى من نسبت إليهم ؛ لأنها غير متواترة كما تقدم، و (ثالثا) :". (١)

١٦٨. ١٦٨-"ومنه لعن أصحاب السبت ؛ أي الذين اعتدوا فيه. وقد ذكر في سورة البقرة مجملا، وسيأتي في سورة الأعراف مفصلا.

والغضب الإلهي يلزم اللعنة وتلزمه، بل اللعنة عبارة عن منتهى المؤاخذة لمن غضب الله عليه، وتقدم تفسير كل منهما.

وأما جعله منهم القردة والخنازير فتقدم في سورة البقرة، وسيأتي في سورة الأعراف. قال تعالى في الأول: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) (٢: ٦٥) وقال بعد بيان اعتدائهم في السبت من الثانية: (فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) (٧: ١٦٦) وجمهور المفسرين على أن معنى ذلك أنهم مسخوا فكانوا قردة وخنازير حقيقة، وانقرضوا ؛ لأن الممسوخ لا يكون له نسل كما ورد. وفي الدر المنثور " أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم في قوله: (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا " ؛ فالمراد على هذا أنهم صاروا كالقردة في نزواتها، والخنازير في اتباع شهواتها، وتقدم في تفسير آية البقرة ترجيح هذا القول من جهة المعنى، بعد نقله عن مجاهد من رواية ابن جرير. قال: " مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفارا " ولا عبرة برد ابن جرير قول مجاهد هذا، وترجيحه القول الآخر فذلك اجتهاده، وكثيرا ما يرد به قول ابن عباس والجمهور. وليس قول مجاهد بالبعيد من استعمال اللغة ؛ فمن فصيح اللغة أن تقول: ربى فلان الملك قومه أو جيشه على الشجاعة والغزو، فجعل منهم الأسود الضواري، وكان له منهم الذئاب المفترسة.

وأما قوله تعالى: (وعبد الطاغوت) ففيه قراءتان سبعيتان متواترتان، وعدة قراءات شاذة، قرأ الجمهور " عبد " بالتحريك على أنه فعل ماض من العبادة، و " الطاغوت " بالنصب مفعوله، والجملة على

---

(١) تفسير المنار ٢٩/٦

هذا معطوفة على قوله: (لعنه الله) أي

هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله؟ هم من لعنه الله، وغضب عليه. . . إلخ، ومن عبد الطاغوت. وقرأ حمزة (وعبد) بفتح العين والدال وضم الباء، وهو لغة في (عبد) بوزن (بحر) واحد العبيد، وقرأ (الطاغوت) بالجر بالإضافة، وهو على هذا معطوف على (القردة) أي وجعل منهم عبيد الطاغوت، بناء على أن عبدا يراد به الجنس لا الواحد، كما تقول: كاتب السلطان يشترط فيه كذا وكذا، وقد تقدم أن الطاغوت اسم فيه معنى المبالغة من الطغيان الذي هو مجاوزة الحد المشروع والمعروف إلى الباطل والمنكر ؛ فهو يشمل كل مصادر طغيانهم، وخصه بعض المفسرين بعبادة العجل، **ولا دليل على** التخصيص.

(أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل) أي أولئك الموصوفون بما ذكر من المخازي". [١]

١٦٩. ١٦٩-"وهو قول ضعيف وقيل: إن الخمر ما اعتصر من ماء العنب إذا اشتد، وهذا أضعف مما قبله **ولا دليل على** هذا العصر من اللغة ولا من الشرع وقد بينا ذلك في آية البقرة (راجع ص ٢٥٧ وما بعدها ج٢ط الهيئة) .

ومن أحسن ما رد به أصحاب هذا القول وأخصره قول القرطبي: الأحاديث الواردة عن أنس وغيره على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بأن الخمر لا يكون إلا من العنب، وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر لا يكون إلا من العنب، وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر. وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة وللصحابة؛ لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الأمر بالاجتناب تحريم كل ما يسكر، ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره، بل سووا بينهما وحرموا كل ما يسكر نوعه، ولم يتوقفوا ولم يستفصلوا ولم يشكل عليهم شيء من ذلك، بل بادروا إلى إتلاف ما كان من غير عصير العنب، وهم أهل اللسان، وبلغتهم نزل القرآن، فلو كان عندهم تردد لتوقفوا عن الإراقة حتى يستفصلوا ويتحققوا التحريم، وقد أخرج أحمد في مسنده عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من الحنطة خمر ومن الشعير خمر، ومن التمر خمر ومن الزبيب خمر ومن العسل خمر " وروى أيضا " أنه خطب عمر على المنبر وقال: ألا إن الخمر قد حرمت وهي من خمسة، من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل " وهو في

---

(١) تفسير المنار ٣٧١/٦

الصحيحين وغيرهما وهو (أي عمر) من أهل اللغة اهـ.
وقد تعقب هذا بعضهم بأنه يحتمل أن يكون بيانا للاسم الشرعي لا اللغوي، وهذا التعقيب ضعيف لا يغني عن الحقيقة شيئا، لأنهم لا يقولون إن المسكر من غير عصير العنب خمر داخل في عموم الآية شرعا، ووجه ضعفه أن لفظ الخمر ليس اسما لعمل شرعي لم يكن معروفا قبل الشرع فلما جاء به الشرع أطلق عليه كلمة من اللغة تتناوله بطريق المجاز بل هو اسم لنوع من الشراب يمتاز عن سائر الأشربة بالإسكار وهذه التسمية معروفة عنهم قبل نزول ما نزل من آيات الخمر، وقد نزلت آية البقرة جوابا عن سؤال سألوه عن الخمر، ولم يقل أحد من مفسري السلف ولا الخلف ولا خطر على بال أحد أنه سألوه صلى الله عليه وسلم عن خمر عصير العنب خاصة وأنها هي المقصودة بالجواب بأن فيها إثما كبيرا ومنافع للناس، وأن غيرها ألحق بها في التحريم
بطريق القياس أو تفسير النبي والصحابة للخمر الشرعية.
وقد بينا فيما أوردناه آنفا من أسباب النزول أنه لم يشق عليهم تحريم شيء كما شق عليهم تحريم الخمر، وأن بعضهم كان يود لو يجد مخرجا من تحريمها كما وجد المخرج من آية البقرة الدال على تحريم الخمر بتسميتها إثما مع تصريح القرآن قبل ذلك بتحريم الإثم،". [1]

١٧٠. ١٧٠-"التشبيه مثبت للغول الذي نفاه الحديث الصحيح الذي أخذ به جمهور العلماء كما تقدم، ومنهم من يرى أنه لا يقتضي إثباته؛ لأن التشبيه قد يبنى على المتعارف لأجل التأثير، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك بقوله: وهذا مبني على ما كانت تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه كقوله: (الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢: ٢٧٥) انتهى. وقد شنع عليه ابن المنير في هذا، إذ جعله من إنكار الجن - وهو لا ينكرهم - وتبعه الألوسي فقال: وليس هذا مبنيا على زعمات العرب كما زعم من استهوته الشياطين. انتهى. وما هذا الشنيع إلا من تعصب المذاهب، ولولاه لما وقع أمثال هؤلاء الأذكياء في هذه الغياهب، وقد علمت أنه **لا دليل على** كون ما كانت تزعمه العرب في الجاهلية من شياطين الجن، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كذبهم في دعوى الغول، وأن جمهور العلماء أخذوا بهذا التكذيب
ولم يؤولوه، وأن من أوله بإنكار تغول الغيلان وإضلالهم للناس مكذب للعرب في زعمها ذاك، وإنما

---

(١) تفسير المنار ٤٤/٧

بنى التشبيه على ما قيل من استهوائهم وإضلالهم بتغولهم، لا على مجرد وجودهم، وإذا كان الاستهواء بتخيلات لا حقيقة لها يكون التشبيه أبلغ وأقوى، وخلاصته أن من يتبع داعي الشرك كالمستهوى بما لا حقيقة له من الأوهام الضارة الشيطانية التي تنسب إلى الأغوال الخيالية. ولا يقتضي ذلك إنكار الجن والشياطين، وما كان الزمخشري ولا شيعته من المنكرين، وإنما الجن من عالم الغيب، لا نصدق من خبرهم إلا ما أثبته الشرع، أو ما هو في قوته من دليل الحس أو العقل، ولم يثبت شرعا ولا عقلا ولا اختيارا أن شياطين الجن تأكل الناس، ولا أنها تظهر لهم في الفيافي والقفار، كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طور الجهل والخرافات.

وأما حديث خرافة فقد رواه الترمذي في جامعه وفي الشمائل من طريق أبي عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي، وأبو عقيل مختلف فيه، وثقه أحمد وأبو داود، وروي عن ابن معين أنه منكر الحديث، والظاهر أنه قد ذكر على سبيل الحكاية، فهو نحو مما نقله الكلبي عن العرب من أنه رجل من بني عذرة أسرته الجن في الجاهلية، فأقام فيهم زمنا ثم أعادوه إلى الإنس، فكان يحدث بما رأى فيهم من العجائب، فصار الناس يقولون: " حديث خرافة " لكل حديث مستملح يكذبونه، على أن ما عساه يثبت لبعض الأفراد على خلاف الأصل لا يتخذ دليلا على صدق ما كذبه الحديث الصحيح من أخبار الأغوال ونحوها، وهذا الحديث غير معارض لهذه الآية حتى على هذا القول في التشبيه؛ لجواز أن يسمى ما كان يتراءى لهم بالشيطان لقبحه وضرره، وإن كان كالسراب لا حقيقة له في نفسه، أو يكون حيوانا مفترسا تمثله الأوهام بأشكال مختلفة. وراجع ما يقرب لك في هذا تفسير (ولكن شبه لهم) (٤: ١٥٧) .". (١)

١٧١. ١٧١-"إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبتدئهم بذلك، بل خرج مخرج الجواب ولم يمنعهم مما سوى ذلك ولا فرق بين الصوم والقراءة – فجوابه: أن عدم ابتداء الرسول صلى الله عليه وسلم إياهم بذلك على إطلاقه دليل على أنه ليس من دينه، وإلا لم يكن مبينا لما أنزل إليه كما أمر به وهذا محال. وسؤال أولئك الأفراد إياه دليل على أنهم لم يكونوا يعلمون من نصوص الدين ولا من السنة العملية ما يدل على شرعيته فلذلك استفتوه فيه، ولم يستفتوه في العمل على غير الوالدين لنص القرآن في منعه. وأما الفرق بين وصول ثواب الصيام ووصول ثواب الذكر، فقد بينا آنفا أنه **لا دليل على** وصول ثواب

(١) تفسير المنار ٧/٤٤٠

الصيام مطلقا من كل من يصوم عن ميت حتى يقاس عليه غيره، لأن ما ذكر من أحاديث الصيام خاص بالقضاء من الولد نيابة عن الوالد،

وليس فيه أنه عمله لنفسه وأهدى ثوابه لغيره كما تقدم، على أن هذا مما ورد على خلاف القياس فلا يقاس عليه.

وأما قوله: إن القائل بأن أحدا من السلف لم يفعل ذلك قائل ما لا علم له به إلخ. فجوابه: أن الذي يثبت ما ذكر للسلف أجدر بقول ما لا علم له به، وناهيك به إذا كان معترفا بأنه لم ينقل ذلك عن أحد منهم، والنفي هو الأصل، وحسب النافي نفيه للنقل عنهم في أمر تدل الآيات الصريحة على عدم شرعيته، ويدل العقل وما علم بالضرورة من سيرتهم أنه لو كان مشروعا لتواتر عنهم أو استفاض.

وأما قوله: وسر المسألة أن الثواب ملك للعامل إلخ. فلم نكن ننتظره من أستاذنا ومرشدنا إلى اتباع النقل في أمور الدين دون النظريات والآراء، على أن هذه القاعدة النظرية غير مسلمة ؛ فإن الثواب أمر مجهول بيد الله تعالى وحده كأمور الآخرة كلها، فإنها من علم الغيب التي لا مجال للعقل فيها. وما وعد الله تعالى به المؤمنين الصالحين المخلصين له الدين من الثواب على الإيمان والأعمال بشروطها لا يعرفون كنهه ولا مستحقه على سبيل القطع ؛ ولذلك أمروا بأن يكونوا بين الخوف والرجاء، ولا يوجد في الآيات ولا الأخبار الصحيحة ما يدل على أن العامل يملك ثواب عمله وهو في الدنيا كما يملك الذهب والفضة أو القمح والتمر فيتصرف فيه كما يتصرف فيها بالهبة والبيع، بل ذلك جزاء بيد الله تعالى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات بحسب تأثير الإيمان والعمل في إعداد أنفسهم له بتزكيتها وجعلها أهلا لجواره ورضوانه كما قال: (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) (٢٠: ٧٥، ٧٦) (قد أفلح من تزكى) (٨٧: ١٤) إلخ (قد أفلح من زكاها) (٩١: ٩) (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (٩: ١٠٣) وقال: (سيجزيهم وصفهم) (٦: ١٣٩)". [١]

١٧٢. ١٧٢-"(يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) (٦: ١١٢) واستشهدنا عليه بخداع الشيطان لآدم وحواء في مسألتنا وقيل: دلاهما حال كونهما متلبسين بغرور، والأول أظهر. والظاهر أنهما اغترا وانخدعا بقسمه وصدقا قوله لاعتقادهما أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا، واستنكر بعضهم أن

---

(١) تفسير المنار ٢٢٩/٨

يكونا صدقاه واستكبر أن يقع ذلك منهما، وزعم أن تصديقه كفر، ورجح هؤلاء أن يكون الغرور بتزيين الشهوة، فإن من غرائز البشر حب التجربة واستكشاف المجهول، والرغبة في الممنوع، فجاء الوسواس نافخا في نار هذه الشهوات الغريزية مذكيا لها، مثيرا للنفس بها إلى مخالفة النهي، حتى نسي آدم عهد ربه، ولم يكن له من العزم ما يصرفه عن متابعة امرأته، ويعتصم به من تأثير شيطانه، كما قال تعالى في سورة طه: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) (٢٠: ١١٥) وفي حديث أبي هريرة في الصحيح " ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها " بناء على أنها هي التي زينت له الأكل من الشجرة، والمراد أن المرأة فطرت على تزيين ما تشتهيه للرجل ولو بالخيانة له، وقيل: إن ذلك بنزع العرق أي الوراثة.

(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي فلما ذاقا ثمرة الشجرة ظهرت لكل منهما سوءته وسوءة صاحبه وكانت مواراة عنهما، قيل: بلباس من الظفر كان يسترهما فسقط عنهما، وبقيت له بقية في رءوس أصابعهما، قيل: بلباس مجهول كان الله تعالى ألبسهما إياه، وقيل: بنور كان يحجبهما، **ولا دليل على** شيء من ذلك ولم يصح به أثر عن

المعصوم صلى الله عليه وسلم والأقرب عندي أن معنى ظهورها لهما أن شهوة التناسل دبت فيهما بتأثير الأكل من الشجرة، فنبهتهما إلى ما كان خفيا عنهما من أمرها، فخجلا من ظهورها، وشعرا بالحاجة إلى سترها، وشرعا يخصفان أي يلزقان أو يضعان ويربطان على أبدانهما من ورق أشجار الجنة العريض ما يسترها – من خصف الإسكافي النعل إذا وضع عليها مثلها – فالمواراة كانت معنوية، فإن كانت حسية فما ثم إلا الشعر ساتر خلقي، وقد تظهر الشهوة ما أخفاه الشعر، وإن لم يسقط بتأثير ذلك الأكل. ويدل على كل من هذين الوجهين فطرة الإنسان التي نزلت الآيات في شرح حقيقتها وغرائزها والله أعلم بمراده، وخلقه وقدره أصدق شاهد لكتابه.

(وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) الاستفهام هنا للعتاب والتوبيخ، أي وقال لهما ربهما الذي يربيهما في طور المخالفة والعصيان، كما يربيهما في حال الطاعة والإذعان: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة أن تقرباها، وأقل لكما: إن الشيطان عدو لكما دون غيركما من الخلق، بين العداوة ظاهرها فلا تطيعاه يخرجكما من الجنة حيث العيش". [١]

---

(١) تفسير المنار ٨/٣١١

١٧٣. ١٧٣-"بالقذة، وإنما المضل من المتبوعين من ابتدع الضلال أو دعا إليه أو كان قدوة فيه؛ فهو الذي يحمل مثل وزر من أضله سواء كان عالما بذلك أم لا، وقد صح في الحديث: " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء "كما بيناه في مواضع. والذي جرى عليه أكثر أصحاب التفاسير المعروفة أن الضعف الآخر على الأتباع عقاب على التقليد وعزاه بعضهم إلى الكرخي.

قال الآلوسي بعد ذكره والتعبير عنه بالأولى: ولا شك أن التقليد في الهدى ضلال ويستحق فاعله العذاب. أي فكيف بالتقليد في الكفر والضلال الذي قيل في أهله:

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

ولكنه غير ظاهر هنا، **فلا دليل على** أن التقليد يقتضي مضاعفة العذاب على العمل المقلد فيه، وإنما هو ذنب في نفسه لأنه كفر بنعمة العقل، وما أوجبه الله بالكتاب. والفطرة من العلم بالنظر والبحث، والاجتهاد في استبانة الحق، وما قيل من أن جزاء الضعف على الأتباع بأن اتخاذهم الرؤساء متبوعين مما يزيد في طغيانهم، أو بأنه طلب لأعراض الدنيا باتباع الهوى والعصيان - يقال فيه ما قيل فيما قبله من أن هذه ذنوب مستقلة لا يعبر عن عقابها بأنه ضعف إلا بضرب من التجوز.

ذلك بأن الضعف هنا هو الزائد على عقاب الذنب نفسه بسبب يلابسه، فهو كقوله في محاورة الأتباع المقلدين للمتبوعين من سورة ص: (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) (٣٨: ٦١) فقد صرح فيه بالزيادة وقوله من سورة الأحزاب حكاية عن التابعين المرءوسين في النار: (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) (٣٣: ٦٧، ٦٨).

وقد كان من سبق رحمة الله لغضبه وانتقامه، وغلبة فضله على عدله، أن وعد بمضاعفة جزاء الحسنات لذاتها دون السيئات. كما قال: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) (٦: ١٦٠) وكما قال: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) (٤: ٤٠) وكل ما ورد في كتابه في مضاعفة العذاب فهو على الإغواء والإضلال وسوء القدوة، إلا آية الفرقان فقد قال بعد ذكر الشرك وأكبر الكبائر من المعاصي: (ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) (٢٥: ٦٨، ٦٩) ولو انفردت دون سائر آيات

المضاعفة بحكم جديد لا يتعارض معها لم تكن مشكلة، ولكنها معارضة بها وبقاعدة الجزاء على السيئة بمثلها". (١)

١٧٤. ١٧٤-"قصة لوط عليه السلام

خير ما يعرف به لوط عليه السلام أنه ابن أخي إبراهيم خليل الرحمن (صلى الله على نبينا وعليهما وسلم) كما في كتب الأنساب وسفر التكوين، وفيه أن اسم والده (حاران) وأنه ولد في (أور الكلدانيين) وهي في طرف الجانب الشرقي من جنوب العراق الغربي من ولاية البصرة - وكانت تلك البقعة تسمى أرض بابل. وأنه بعد موت والده سافر مع عمه إبراهيم صلى الله عليهما وسلم إلى ما بين النهرين الذي كان يسمى جزيرة قورا، ومنه ما يسمى الآن بجزيرة ابن عمر وهو مكان تحيط به دجلة فقط (وهنالك كانت مملكة أشور) فإلى أرض كنعان من سورية. ثم أسكنه إبراهيم في شرق الأردن باختياره لها لجودة مراعيها، وكان في ذلك المكان - المسمى بعمق السديم بقرب البحر الميت الذي سمي ببحر لوط أيضا - القرى أو المدن الخمس: سدوم وعمورة وأدمة وصبوبيم وبالع التي سميت بعد ذلك صوغر لصغرها، فسكن لوط عليه السلام في عاصمتها سدوم التي كانت تعمل الخبائث، ولا يعلم أحد الآن أين كانت تلك القرى من جوار بحر لوط إذ لو لم يوجد من الآثار ما يدل عليها، فمن المؤرخين من يظن أن البحر غمر موضعها **ولا دليل على** ذلك. وكانت عمورة تلي سدوم في الكبر وفي الفساد، وهما اللتان يحفظ اسمهما الناس إلى الآن.

واسم لوط مصروف وإن كان أعجميا لكونه ثلاثيا ساكن الوسط كنوح، وقال بعض المفسرين: إنه عربي من مادة لاط الشيء بالشيء لوطا أي لصق به، ولكن بعض أهل الكتاب يقول: إن معنى كلمة لوط بالعبرانية " ستر " فهي من الكلمات التي تختلف معنى مادتها العربية عن مادتها العبرية والسريانية أختي العربية الصغريين، على أنه يقرب منه فإن اللصوق ضرب من الستر. ويراجع ما ذكرناه في لغة إبراهيم في تفسير الآية (٧٤ س ٦) [ص ٤٤٥ وما بعدها ج ٧ ط الهيئة] قال تعالى:

(ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) النسق الذي قبل هذا يقتضي أن يكون المعنى: وأرسلنا لوطا - ولكن حذف هنا متعلق الإرسال وركنه الأول وهو توحيد العبادة للعلم به مما قبله ومما ذكر في غير هذه السورة، أي أرسلناه في الوقت الذي أنكر على قومه فعل الفاحشة فيما بلغهم من دعوى الرسالة،

---

(١) تفسير المنار ٣٧٠/٨

وقيل: إن لوطا منصوب بفعل مقدر، أي واذكر لوطا إذ قال لقومه موبخا لهم: أتفعلون الفعلة البالغة منتهى القبح والفحش؟ (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) بل هي من مبتدعاتكم في الفساد، فأنتم فيها قدوة سوء، فعليكم وزرها ومثل أوزار من يتبعكم فيها إلى يوم القيامة. فالجملة استئناف نحوي أو بياني يؤكد التوبيخ ببيان أنه فساد مخالف لمقتضى الفطرة ولهداية الدين معا، و " الباء " في قوله: (بها) للتعدية أو الملابسة أو الظرفية – أقوال. وقوله: (من أحد)
يفيد تأكيد النفي وعمومه المستغرق". (١)

١٧٥. ١٧٥–"وكذا الكلام في نزع الملك فإنه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه من العادل لمصلحة تقتضي ذلك. والنزع يكون بالموت وبإزالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الأموال وغير ذلك. في بعض الكتب «أنا الله ملك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة. وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة، فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم»
وهذا
كقوله صلى الله عليه وسلم «كما تكونوا يولى عليكم»
والصحيح أن الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والأخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الأموال والأولاد إلى غير ذلك، فإن اللفظ عام **ولا دليل على** التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الإعزاز والإذلال في الدين أو في الدنيا، ولا عزة في الدين كعزة الإيمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين [المنافقون: ٨] وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كإعطاء الأموال الكثيرة من الناطق والصامت، وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب وإلقاء الهيبة في قلوب الخلق، وكل ذلك بتيسير الله تعالى وتقديره بيدك الخير أي بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء. وإنما خص الخير بالذكر وإن كان بيده الخير والشر والنفع والضر، لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة، أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك، أو لأن جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وإن كنا لا نعلم تفصيلها فكلها خير، أو لأن القادر على إيصال الخير أقدر على إيصال

---

(١) تفسير المنار ٨/٤٥٣

الشر فاكتفى بالأول عن الثاني. وللاحتراز عن لفظ الشر مع أن ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله: إنك على كل شيء قدير ولأن الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بأن يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس. ففي كل منهما قوام العالم ونظامه، أو يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد أن كان فيها ضوء النهار، ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوأه. فالمراد بالإيلاج إيجاد كل منهما عقيب الآخر والأول أقرب إلى اللفظ، فإن الإيلاج الإدخال فإذا زاد من هذا في ذلك فقد أدخله فيه. وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر أومن كان ميتا فأحييناه [الأنعام: ٢٢] أي كافرا فهديناه. أو الطيب من الخبيث، أو الحيوان من النطفة، أو الطير من البيضة وبالعكس. والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم [البقرة: ٢٨] أو يخرج السنبلة من الحبة، والنخلة من النواة وبالعكس. فإخراج النبات من الأرض يسمى إحياء يحي الأرض بعد موتها [الحديد: ١٧] وترزق من تشاء بغير حساب تقدم مثله في البقرة. وإذا كان كذلك فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم". (١)

١٧٦. ١٧٦-"سبب حتى روي أن أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال: أين ابن أبي كبشة- يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ - أين ابن أبي قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ فأجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى. والرعب الخوف الذي يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب إذا ملأ الأودية والأنهار. وإلقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي إلقاء جميع أنواعه فيها وإنما يقتضي وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه. ولكن ظاهر قوله: في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهكذا هو في الواقع لأنه لا أحد يخالف دين الإسلام إلا وفي قلبه خوف المسلمين وهيبتهم. إما في الحرب وإما في المحاجة. وقيل: إنه مخصوص بأولئك الكفار. بما أشركوا أي بسبب إشراكهم بالله. وفيه وجه معقول وهو أن الدعاء إنما يصير في محل الإجابة عند الاضطرار كما قال: أمن يجيب المضطر إذا دعاه [النمل: ٦٢] ومن اعتقد أن لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لأنه يقول: إن كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا يحصل له الإجابة. فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير أن معبوديهم يصح منهم الإجابة. كيف وإنهم لا يملكون نفعا ولا ضرا؟ ما لم ينزل به سلطانا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/١٣٨

الهة لم ينزل الله بإشراكها حجة. والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان، ومنه سلاطة اللسان، والسليط الزيت كأنه استخراج بالقهر. قال الجوهري: السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لأن مجراه مجرى المصدر. وليس المراد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل لأن الشرك لن يقوم عليه حجة، ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله:

ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون: التقليد باطل لأن كل ما لا دليل عليه لم يجز إثباته. ومنهم من يبالغ فيقول: ما لا دليل عليه فيجب نفيه. ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال: لا سبيل إلى إثبات الصانع إلا باحتياج المحدثات إليه. ويكفي في رفع هذه الحاجة إثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل إلى إثباته فلم يجز إثباته. أقول: هذا إذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه، أما إذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لأجل الدليل، **ولا دليل على** الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك. ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم أتبعه حالهم في الآخرة فقال: ومأواهم أي والمكان الذي يأوون إليه النار وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي إذا أقام به ثم أكد وعد إلقاء الرعب بقوله: ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم". (١)

١٧٧. ١٧٧-"الذنوب كثيرة. الثالثة: قال داود: يجب الوضوء لكل صلاة فإنه ليس المراد قياما واحدا في صلاة واحدة وإلا لزم الإجمال إذ **لا دليل على** تعيين تلك المرة، والإجمال خلاف الأصل فوجب حمل الآية على العموم. وأيضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب مشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة. وأيضا إنه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود. وقال سائر الفقهاء: إن كلمة «إذا» لا تفيد العموم ولهذا لو قال لامرأته إذا دخلت الدار فأنت طالق لم تطلق مرة أخرى بالدخول ثانيا.

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة إلا يوم الفتح فإنه صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات كلها بوضوء واحد.

قال عمر: فقلت له في ذلك فقال: عمدا فعلت ذلك يا عمر. أجاب داود بأن خبر الواحد لا ينسخ القرآن. وأيضا في الخبر معنيان: أحدهما: وجوب التجديد لكل صلاة لا أقل من استحباب ذلك.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/٢٧٩

الثاني أنه ترك ذلك يوم الفتح والأول يوجب المتابعة والثاني مرجوع لأن الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا نقصانها. وأيضا التجديد أحوط، وأيضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية أقوى. ولناصر المذهب المشهور أن يقول: التيمم على المتغوط والمجامع واجب إذا لم يجد الماء لقوله: أو جاء أحد منكم من الغائط الآية.

وذلك يدل على أن وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام إلى الصلاة فلم يكن هو مؤثرا وحده، وإذا لم يكن مؤثرا مستقلا جاز تخلف الأثر عنه. نعم التجديد مستحب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضؤن لكل صلاة

وقال صلى الله عليه وسلم: «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات»

وقيل: كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ. الرابعة:

الأصح أن في الآية دلالة على أن الوضوء شرط لصحة الصلاة لأنه علق فعل الصلاة بالطهور، ثم بين أنه متى عدم الماء لم تصح الصلاة إلا بالتيمم، فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك. وأيضا إنه أمر بالصلاة مع الوضوء فالآتي بها بدون الوضوء تارك للمأمور به فيستحق العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف. الخامسة: قال أبو حنيفة: النية ليست شرطا في الوضوء لأنها غير مذكورة في الآية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز. وعند الشافعي هي شرط فيه لأن الوضوء مأمور به لقوله: فاغسلوا وامسحوا وكل مأمور به يجب أن يكون منويا لقوله تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين [البينة: ٥] والإخلاص النية الخالصة، فأصل النية يجب أن يكون معتبرا. وغاية ما في الباب أنها مخصوصة في بعض الصور فتبقى حجة في غير محل التخصيص.

السادسة: قال مالك وأبو حنيفة: الترتيب غير مشروط في الوضوء لأن الواو لا تفيد الترتيب، فلو قلنا بوجوبه كان من الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز. وقال الشافعي:". (١)

١٧٨. ١٧٨-"وفيه من التهديد ما فيه.

ثم ذكر آية جامعة فقال: وذروا ظاهر الإثم وباطنه فقيل: ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر. قال الضحاك: كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالا ما كان سرا.

والأصح أن النهي عام إذ **لا دليل على** تخصيصه. ثم قيل: المراد ما أعلنتم وما أسررتم.

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٥٣/٢

وقيل: ما عملتم وما نويتم. وقال ابن الأنباري: يريد وذروا الإثم من جميع جهاته كما تقول: ما أخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا أي ما أخذته بوجه من الوجوه. وقريب منه قول من قال: المراد النهي عن الإثم مع بيان أنه لا يخرج عن كونه إنما بسبب إخفائه وكتمانه. وقيل: المراد النهي عن الإقدام على الإثم. ثم قال: وباطنه ليظهر بذلك أن الداعي له إلى ترك ذلك الإثم خوف الله لا خوف الناس. وقيل: ظاهر الإثم أفعال الجوارح، وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وإرادة الشر للمسلمين، ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على أفعال الخيرات، ومنه يعلم أن ما يوجد في القلب قد يؤاخذ به وإن لم يقترن به عمل إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون أي يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف يمحو الاقتراف كما يقال: التوبة تمحو الحوبة. وظاهر النص يدل على أنه يعاقب المذنب البتة إلا أن المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب لم يعاقب. وأهل السنة على أنه إذا لم يتب احتمل العفو ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه نقل عن عطاء أنه قال: كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام أو شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية. وأجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح، ثم اختلفوا فمالك: كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام، ترك الذكر عمدا أو نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين. أبو حنيفة: إن ترك عمدا حرام وإن ترك نسيانا حل. الشافعي: متروك التسمية عمدا وسهوا حلال إذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى: وإنه لفسق والضمير عائد إلى الأكل الذي دل عليه الفعل أو إلى الموصول على أنه في نفسه فسق مثل «رجل عدل» أو على تقدير حذف المضاف أي وإن أكله لفسق. وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى: وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وهذه المناظرة كانت في مسألة الميتة

وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة من قتلها إذا ماتت؟ قال: الله قتلها، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله الآية،

فالمراد من الشياطين هاهنا إبليس وجنوده وسوسوا إلى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه في أكل الميتة. وقال عكرمة: وإن الشياطين- يعني مردة المجوس- ليوحون إلى أوليائهم من مشركي

قريش. وذلك أنه لما نزل تحريم الميتة". (١)

١٧٩.	١٧٩-"يتلفظوا به» «١»

ولأن قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللساني. والمراد بالفضل إيتاء المال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما. وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد. والمصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين [يوسف: ٨٨] ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس أنه أراد الحج. ولعل المراد إخراج كل ما يجب إخراجه إذ **لا دليل على** التقييد. ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي، والتولي نقض العهد، والإعراض أراد به الإحجام عن تكاليف الله وأن ذلك منهم عادة معتادة، ولترتب هذا الذم عل أمنع الصدقة ولإطلاق لفظة البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب. ذكر العلماء أن الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة. وأن الرجل قد عاهد ربه أن يقوم بما يلزمه من الإنفاقات الواجبة. إن وسع الله عليه دون ما يلتزمه الإنسان بالنذر من المندوبات إذ لا دليل في الآية على ذلك مع أن سبب النزول يأباه. فإن قيل: الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وإنما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول. قلنا إن قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به. وفي الآية دلالة على أن الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم إنه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فأعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة أن أعقب مسند إلى ضمير البخل أي أورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لأنه كان سببا فيه وباعثا عليه، وكذا التأويل إن جعل عائدا إلى التولي أو الإعراض. وضعت بأن حاصل هذه الأمور كونه تاركا لأداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في حصول النفاق فى القلب لأن ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود، ولأن هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع أنه لا يحصل معه النفاق، ولأنه لو أوجب حصول الكفر في القلب لأوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فسبب اختلافات الأحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا، ولأن البخل أو التولي أو الإعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية إن التولي أوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/١٥٣

إلا أن يسند الفعل إلى الله تعالى فيكون فيه دليل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ١٥. مسلم في كتاب الإيمان حديث ٢٠١، ٢٠٢. أبو داود في كتاب الطلاق باب ١٥. الترمذي في كتاب الطلاق باب ٨. ابن ماجه في كتاب الطلاق باب ١٤. أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٥، ٢٩٣) .". (١)

١٨٠. ١٨٠-"يقاتلون وقيل: مبتدأ خبره العابدون وما بعده أي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال. أما تفسير هذه الأوصاف فقد قال ابن عباس والحسن:

التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرأوا عن النفاق. ومال آخرون الى التعميم ليشمل المعاصي أيضا إذ لا دليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس: هم الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم. وقال الحسن: هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء، والعبادة لا شك أنها عبارة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع. وقال قتادة: هم قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم. والحامدون هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون إظهار ذلك عادة لهم، وذلك أن الحمد ذكر من كان قبل آدم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك [البقرة: ٣٠] وذكر أهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين، وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [يونس: ١٠] والسائحون قال عامة المفسرين: هم الصائمون لقوله: «سياحة أمتي الصيام» . ثم قيل: هذا صوم الفرض. وقيل: الذين يديمون الصيام. قال الأزهري: إنما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح في الأرض متعبد لا زاد معه فيكون ممسكا عن الأكل والشرب كالصائم. وقيل: أصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي عنه من الأكل والشرب والوقاع. وقال أهل المعنى: الإنسان إذا امتنع من الأكل والشرب انفتحت عليه أبواب المعاني والحكم وتجلت له أنوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول. وقيل: السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى بلد في طلب العلم في مظانه، وكانت السياحة في بني إسرائيل.

قال عكرمة عن وهب بن منبه: لا ريب أن للسياحة أثرا عظيما في تكميل النفس لأنه يلقى أنواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها، وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له، وقد ينتفع

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/٥٠٦

بالمشاهد والزيارات للأحياء وللأموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الأحوال والأخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء: إنما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلاة لأن سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود، وإنما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود. وقيل: أول مراتب التواضع القيام وأوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على أن المقصود من الصلاة نهاية الخضوع. ثم قال: الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر إلا أن هاهنا بحثا آخر وهو أنه لم أدخل الواو في قوله: والناهون والحافظون دون سائر الأوصاف؟ وأجيب بأن النسق يجيء". (١)

١٨١. ١٨١-"بحال من أهله للفلاح حيث جعله نبيا ووعده حسنى العقبى، ولو كان كاذبا كما يزعمون لم يؤهله لذلك لأنه لا يفلح عنده الظالمون، واعلم أن فرعون كان من عادته عند ظهور حجة لموسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه فذكر هاهنا أمرين:

الأول قوله ما علمت لكم من إله غيري فكأنه استدل بعدم الدليل على عدم المدلول وهو خطأ من جهة أن الدليل على المدلول وهو وجود الصانع أكثر من أن يحصى، ومن جهة أن عدم الدليل لا يستلزم عدم المدلول. وأما قوله غيري فقد تكلف له بعضهم أنه لم يرد به أنه خالق السموات والأرض وما فيهما فإن امتناع ذلك بديهي، وإنما أراد به نفي الصانع والاقتصار على الطبائع وأنه لا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره.

الثاني قوله فأوقد لي يا هامان على الطين وقد تكلفوا له هاهنا أيضا فقيل: إنه يبعد من العاقل أن يروم صعود السماء بآلة، ولكنه أراد أنه لا سبيل إلى إثبات الصانع من حيث العقل كما مر، ولا من حيث الحس فإن الإحساس به يتوقف على الصعود وهو متعذر، وإلا فابن يا هامان مثل هذا البناء وإنما قال ذلك تهكما. فبمجموع هذه الأشياء قرر أنه لا دليل على الصانع، ثم رتب النتيجة عليه وهو قوله وإني لأظنه من الكاذبين يحتمل أن يريد لأعلمه من الكاذبين. والأكثرون من المفسرين على أنه بنى مثل هذا البناء جهلا منه أو تلبيسا على ملئه حيث صادفهم أغبى الناس وأخلاهم من الفطن. يروى أن هامان جمع العمال حتى اجتمع منهم خمسون ألف بناء سوى الأجراء، وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ مبلغا لا يقدر الباني أن يقوم عليه، فبعث الله

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/٥٣٦

جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل، ووقعت قطعة في البحر، وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك.

وروي في القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال: قد قتلت إله موسى، فعند ذلك بعث الله جبرائيل لهدمه.

قال أهل البيان: إن صح حديث رد النشابة ملطوخة فقد تهكم به بالفعل كما ثبت التهكم بالقول في غير موضع. وإنما قال فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل: اطبخ لي الآجر. لأن هذه العبارة أحسن، ولأن فيه تعليم الصنعة، وقد كان أول من عمل الآجر فرعون. عن عمر أنه حين سافر إلى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال: ما علمت أن أحدا بنى الآجر غير فرعون. والطلوع والاطلاع الصعود يقال: طلع الجبل واطلع.

وفي قوله سبحانه واستكبر هو وجنوده في الأرض يعني أرض مصر بغير الحق إشارة إلى أن الاستكبار بالحق إنما هو لله تعالى كما

جاء في الحديث القدسي «الكبرياء". (١)

١٨٢. ١٨٢-"غير منقوص،

ولا محسوب، ولا منقطع (رحمه الله ١) .

رحمه الله______________

(رحمه الله ١) وهذا ضعيف من وجهين:

أحدهما: أن الاستثناء عام في المؤمنين: قارئهم وأميهم.

وأنه **لا دليل على** ما أدعوه، وهذا لا يعلم بالحسن، ولا خبر يجب التسليم له يقتضيه، والله أعلم.

التاسع: أنه سبحانه ذكر نعمته على الإنسان بخلقه في أحسن تقويم، وهذه النعمة توجب عليه أن يشكرها بالإيمان، وعبادته وحده لا شريك له، فينقله حينئذ من هذه الدار إلى أعلى عليين، فإذا لم يؤمن به، وأشرك به، وعصى رسله، نقله منها إلى أسفل سافلين، وبدله بعد هذه الصورة التي هي في أحسن تقويم، صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين. فتلك نعمته عليه، وهذا عدله فيه، وعقوبته

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٤٣/٥

على كفرانه نعمته.
العاشر: أن نظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ ، فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين، والمستثنون هنا هم المستثنون هناك، والأجر الممنون هناك هو المذكور هنا، والله أعلم". التباين في أقسام القرآن (ص: ٣١-٣٣) .
وقد ذكر الطاهر بن عاشور في الآية فهما جديدا استنبطه، وهو فهم قوي تدل عليه النصوص، وملخصة: أن أحسن تقويم هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن الرد إلى أسفل سافلين للكفار، وذلك ببعده عن فطرته وكفره بالله، إلا الذين آمنوا فاستقاموا على ما فطروا عليه، واستدل لفهمه هذا بحديث: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة ... " وهو فهم سديد، يتناسب مع المراد من سياق الأقسام الواردة في النبوات، فتأمله واعتبره، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.
() ... ورد اختلاف بين السلف في تفسير "ممنون" على أقوال:
١- غير منقوص، وهو قول ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة.
٢- غير محسوب، وهو قول مجاهد من طريق ابن جريج وابن أبي نجيح، وإبراهيم النخعي من طريق حماد.
٣- غير مقطوع.
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: فلهم أجر غير منقوص، كما كان له أيام صحته وشبابه، وهو عندي من قولهم: حبل منين: إذا كان ضعيفا، ومنه قول الشاعر:
اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ... ما في عطائهم من ولا سر
يعني: أنه ليس فيه نقص، ولا خطأ".
وسبب هذا الاختلاف الاشتراك اللغوي في لفظ "ممنون"، وهو محتمل لما قيل من هذه التفاسير، ويكون الاختلاف فيه راجعا إلى أكثر من معنى، والله أعلم.". (١)

١٨٣. ١٨٣-"في الإلتفات فتدبر. قوله: (الحمد هو الثناء الخ) اختلف أهل اللغة في الثناء فقال ابن القطاع: إنه يستعمل في الخير والشر، والأصح كما قاله ابن السيد أنه لا يستعمل إلا في الخير وإن العام هو الثناء بتقديم النون عى المثلثة، وما ورد على خلافه على ضرب من التأويل والتجوز كالمشاكلة

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص/١٨٦

والتهكم، فهو ذكرى الجميل، وهل يشترط فيه اللسان أم لا فقيل لا، وحقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية سواء كان ذلك باللسان أم لا، ومن ذكر اللسان لم يرد العضو المخصوص، والا لم يكن الله حامدا لنفسه ولا لغيره حقيقة، وهو ظاهر البطلان بل قوة التكلم وليس حقيقة التكلم إلا الإفاضة والإعلام مع شعور الفيض، وارادته وبؤيده حديث " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " (١ (وإن حمل على المشاكلة أو التجوز فالمعنى عظمت نفسك أو ذكرت نفسك بكلامك القديم بناء على مذهب الشهرستاني، أو التخصيص باللسان بالنسبة لحمد العباد، وقيل عليه إن قوله والا لم يكن حامدا الخ لا يخلو عن شيء لأنه إن أراد أنه لا يكون كذلك على هذا القول حقيقة فمسلم، لكن قوله ظاهر البطلان في حيز المنع بل هو باطل لأن صريح إطلاقهم يدل على خلافه كقول الزمخشري والحمد هو الثناء باللسان وحده، وقال في الحواشي الشريفية: ادعى اختصاصه باللسان لكونه أشبع وأدل، فظهر أن المراد العضو المخصوص ولو سلم أنه ليس بمراد فليس بمعنى قوة التكلم المذكورة أي لعدم لزوم الإفاضة في حمده لنفسه، وان أراد أنه لاث كون حامد إلا حقيقة ولا مجازا فغير مسلم لجواز إطلاق عليه مجازا كالرحمة، ففي عدم الاحتياج إلى قيد اللسان مناقشة ظاهرة كما أشار إليه الخطابي، وزاد بعضهم فيه على جهة التعظيم ليخرج الهزؤ والسخرية، وقيل لا حاجة إليه أصلا أما على تعريف الحمد الأول، فلاستغنائه عنه بلفظ أشناء إذ المتبادر منه ما طابق فيه اللسان الجنان، وأما على الثاني فلأن إظهار الصفات الكمالية معتبر فيه قيد الحيثية كما في سائر التعاريف فيخرج ما ذكر، وما قيل أن لفظ الثناء لا يأباه لأنهم فسروه بمطلق الذكر بالخير ليس بشيء على أنه قيل إن الوصف على طريقة الاستهزاء ليس وصفة بالجميل حقيقة إذ المستهزىء يريد ضده على نهج الاستعارة التهكمية وقد يوصف بالجميل ظاهرا بلا قصد للتعظيم ولا للاستهزاء بل حكاية لما يزعمه الموصوف تعريفا له، وقد فيل أن قوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] يحتملهما وهو أيضا خارج فتدبر. قوله: (على الجميل الاختياري الخ) الجميل ضفة مشبهة من جمل الرجل بالضم والكسر جمالا فهو جميل وامرأة جميلة وقال سيبويه رحمه الله: الجمال دقة الحسن والأصل جمالة بالهاء كصباحة فخفف لكثرة الاستعمال، وتجمل تجملا بمعنى تزين وتحس فالجميل بمعنى الحسن، فتوصف به الذوات والأفعال كما عليه أهل اللغة قاطبة، فما قيل أن الجميل هنا صفة للفعل، ولذا ترك في الكشاف قيد الاختياري يرد عليه أن معناه اللغوي أعم،

ولذا قال بعض الفضلاء في حواشيه **لا دليل على** أنه صفة الفعل إلا أن يقال إنه أخذه من الأمثلة،

وفبه بحث. وقال قدس سره: إذا خص الحمد بالأفعال الإختيارية لزم أن لا يحمد الله سبحانه على صفاته الذاتية كالعلم والقدرة سواء جعلت عين ذاته، أو زائدة عليها بل على انعاماته الصادرة عنه باختبار؟ ، اللهم إلا أن تجعل تلك الصفات لكون ذاته كافية فيها بمنزلة أفعال اختيارية، وقيل إن الاختياري كما يجيء بمعنى ما صدر بالإختيار يجيء بمعنى ما صدر من المختار، وهو المراد هنا على ما فيه، وقيل إنها صادرة بالاختيار بمعنى إن شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل لا بمعنى صحة الفعل والترك فيشمل ما صدر بالاختيار وبالايجاب فالاختيار بالمعنى الأعم، وهو الأول والثاني أخص أو هو بالمعنى الأخص، ولا نسلم كون الصفات الذاتية غير صادرة بالاختيار لجواز أن يكون سبق الاختيار عليها ذاتيا كسبق الوجود على الوجوب لا زمانيا حتى يلزم حدوثها، وقيل إنه بالنظر إلى حمد البشر فالمراد ما جنسه اختياري كما قيل في قيد اللسان في الثناء، وإن لم يثترط فيه الاختيارية فالأمر ظاهر ولا يخفى عليك ما يتوجه على ما ذكر، أما أولها فإنه مع كونه خلاف الظاهر إنما يحسن إذا كان المعتاد في الأفعال الإختيارية كون فاعلها مستقلا في إيجادها من غير احتياج إلى شيء آخر من آلة وغيرها". (١)

١٨٤. ١٨٤-"بالدلالة وفي الآخر بالزعم ولم يذكر له متمسكا، وأجيب عما ذكره بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا ظنوها معينة خارجة عما عليه صفة الجنس فسألوا عن حالها وصفتها فوقعت الضمائر لمعينة بزعمهم فعينها الله تشديدا عليهم وان لم تكن من أول الأمر معينة، ولا يخفى أنه خلاف الظاهر المتبادر.

قوله: (ومن أنكر ذلك رعم أن المراد بها بقرة من شق البقر الخ) شق بالكسر أي من جانبها ونوعها من غير تعيين، وفي الأساس خذ من شق الباب أي عرضه ولا تختر أي أن المأمور به غير معينة بحيث يحصل الامتثال بذبح أي بقرة كانت تمسكا بظاهر اللفظ لقوله عليه الصلاة والسلام: " لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم " وهو مروفي عن ابن عباس رضي الله عنهما لكن لفظ المروي: " لو ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الثه عليهم " أخرجه سعيد بن منصور بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا، وبه يشعر قوله فافعلوا ما تؤمرون قبل بيان اللون، وقوله: ثم انقلبت الخ. جواب عن تمسك القائلين بالتعيين بأنه دل عليه السياق، ووقع الاتفاق على

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٧٢/١

أنه لم يرد أمر متجدد غير الأول يكون به امتثالهم وإنما الامتثال بالأمر الأول فلزم أن لا يكون منسوخا وأن يكون أمرا بذبح المعينة لظهور أن الامتثال لم يقع إلا بالمعينة، وتقريره إنا لا نجعل نسخ الأمر الأول وانتقال الحكم إلى المخصوصة مبنيا على ارتفاع حكمه بالكلية حتى يحتاج إيجاب المخصوصة إلى أمر متجدد

بل على أنه كان متناولا لها ولغيرها بمعنى حصول الامتثال بأقي فرد كان فارتفع حكمه في حق ما عداها وبقي الامتثال بذبحها خاصة فكان ذبحها امتثالا للأمر الأول ولم يكن هذا منافيا لنسخ الأمر الأول في الجملة ولا موجبا لكون المراد به أولا ذبح المعينة ويلزمه النسخ حيث ارتفع الإجزاء بأي فرد كان والتخصيص في عبارته بمعنى التقييد لا القصر ولا الاصطلاحي لأنه مطلق لا عام، وقوله والحق جوازهما أي جواز تأخير البيان عن الخطاب فإن الممتنع تأخيره عن وقت الحاجة على الصحيح وليس هذا منه فإنه **لا دليل على** أن الأمر هنا للفور حتى يتوهم ذلك وكذلك النسخ قبل الفعل جائز بل واقع كما في حديث: " فرض الصلاة خمسين في المعراج ". وقد نص عليه السهيلي في الروض! ، وإنما الممتنع النسخ قبل التمكن من الاعتقاد بالاتفاق، وقبل التمكن من الفعل عند المعتزلة وفيه نظر وأيده بتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة قبل بيان اللون وكونها مسلمة غير مذللة وقوله: ﴿وما كادوا يفعلون﴾ وقيل: إنه دليل على أنه اختار القول الثاني ولم يجعل الحديث دليلا لأنه خبر واحد لا يعارض الكتاب وان كان صريحا فيه. قوله: (فافعلوا ما تؤمرون أي ما تؤمرونه بمعنى ما تومرون به الخ) تأكيد للأمر وتنبيه على ترك التعنت وقوله: ما تؤمرونه إشارة إلى أن ما موصولة والعائد محذوف قال المحقق قد يتوهم أنه مثل لا تجزي نفس عن نفس شيئا في حذف الجار والمجرور دفعة، أو تدريجا أو أنه من قبيل التدريج حيث حذف الباء أولا ثم الضمير، والظاهر من العبارة أنه من قبيل حذف المنصوب من أول الأمر لأن حذف الجار قد شاع في هذا الفعل وكثر استعمال أمرته كذا حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى مفعولين وصار ما تؤمرون في تقدير ما تؤمرونه، ولذا جعل ما تؤمرون به هو المعنى دون التقدير وأما جعل ما مصمدرية والمصدر بمعنى المفعول أي المأمور بمعنى المامور به فقليل جدا وإنما كثر في صيغة المصدر اهـ. وهذا الأخير هو معنى قول المصنف رحمه الله أو أمركم الخ ولما فيه أخره وهو يخالف قول الطيبي رحمه الله أن الأمر لا يستعمل إلا بالباء وقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مط ل وذا نشب

قيل: قائله عباس بن مرداس وقيل: خفاف بن ندبة، وقال الآمدي رحمه الله: أرى من

الشعراء شاعرا يقال له الأعثى غير الأعشى المشهور وهو من بني فهم حلفاء بني سليم وهو القائل:
يا دارأسماء بين السفح فالرحب أقوت وعفى عليها ذاهب الحقب
إني حويت على الأقوام مكرمة قدما وحذرني ما تتقون أبي". (١)

١٨٥. ١٨٥-"العهد بالوعد مستشهدا بقوله تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ [سورة التوبة، الآية: ٧٥، إلى قوله: ﴿بما أخلفوا﴾ الله ما وعدوه، والمصنف رحمه الله جمع بينهما تنبيها على أن من فسره بالخبر أراد الخبر الموعود كما صرح به في آخر كلامه، ووقع في نسخة أو يدل الواو إشارة إلى أنهما معنيان وتفسيران للسلف وان تقاربا فلا وجه لما قيل إن الصحيح الأول ولا لما قيل إنه لا وجه لتخصيص العهد بالوعد مع عمومه، والقراءة بالإظهار على الأصل وبإبدالها تاء وإدغامها فيها وهو ظاهر. قوله:) جواب شرط مقدر الخ)
والفاء فصيحة وقدر بعضهم الشرط بأن كنتم اتخذتم بناء على أنه ماض! وحرف الشرط لا يغير معنى كان وفيه خلاف معروف. قال المحقق: أي إن كنتم اتخذتم إذ ليس المعنى على الاستقبال فإن قلت فلا يصح جعل فلن يخلف الله جزاء لامتناع السببية والترتب لكون لن لمحض الاستقبال قلت ذلك ليس بلازم في الفاء الفصيحة كقوله:
فقد جئنا خراسانا
ولو سلم فقد ترتب على اتخاذ العهد الحكم بأنه لا يخلف الرلهد فيما يستقبل من الزمان
فقط كما في قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [سورة النحل، الآية: ١٥٣ قيل: عليه الأظهر أنه دليل الجزاء وضع موضعه أي إن كنتم اتخذتم عند الله عهدا فقد نجوتم لأنه لن يخلف عهده واما ما ذكره من أنه لا يلزم في الفاء الفصيحة إنما يتم لو لم يجعل جزاء شرط، إذ لا فرق بينه وبين غير. من الأجزية، وما ذكر من ترتب الحكم فيه إن اتخاذ العهد في الماضي والحكم حين النزول فكيف يتم الترتب وأيضا لا وجه للتعليل بكون لن لمحض الاستقبال فإن السببية بين الشرط والجزاء بحسب الوجود مفقودة سواء كان عدم الخلف في المستقبل أو الماضي بل إذا كان ذلك بحسب الماضي يكون الجزاء أبعد ارتباطا من الشرط كما لا يخفى ثم إنه لا وف لتفريع السؤال على تقدير كان، ثم إن المعتبر بين الشرط والجزاء اللزوم لا السببية والترتب فكان حقه أن يقرر السؤال هكذا هذا لا يصلح جزاء لعدم

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٧٨/٢

شرط صحته وهو أن يكون مرتبا على الشرط أو لازما له ومخالفة الفاء الفصيحة في ذلك لم نجد. ولعل وجه ما ذكره في الاستقبال ما سيصرح به في قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٤] من أن الباعث والعلة لا يترتب عليه أمر مستقبل منفصل عنه يعني عرفا والشرط كذلك سبب للجزاء وعلة له فتأمل. وهذا أحد مذهبين في الفاء التي في جواب الاستفهام فتذكر. قوله: (وفيه دليل الخ) قيل عليه العهد ظاهر في الوعد بل حقيقة عرفية فيه وهو المراد هنا **فلا دليل على** نفي الخلف في الوعيد وهو مذهب أكثر الأشاعرة وأما أنه مصادرة وأنه ينبغي تبديل محال بغير واقع فلا يرد ما ذكره. قوله: (أما معادلة لهمزة الاستفهام الخ) إشارة إلى ما في أم من الوجهين كونها متصلة للمعادلة بين شيئين بمعنى أي هذين واقع وأخرجه مخرج المتردد فيه وان كان قد علم وقوع أحدهما وهو قوله على الله ما لا تعلمون ولذا وقع في نسخة آخرهما، والتقرير أي الحمل على الإقرار به أو تثبيته لتعيته ولها شروط مفصلة في النحو ويجوز أن تكون منقطعة غير عاطفة بمعنى بل والهمزة التقدير بل أتقولون والاستفهام للإنكار لوقوعه منهم واليه أشار المصنف رحمه الله، وقيل: إنما تقدر ببل وحدها بدون الهمزة فتعطف ما بعدها على ما قبلها واستدل بقولهم أن لنا إبلا أم شاء بنصبهما ونحوه ولو قدرت الهمزة لرفع على أنه خبر

مبتدأ محذوف ولا يصح فيها الاتصاف في المثا لعدم تقدم الاستفهام فتأمل، والتقريع التوبيخ والتقرير هنا بمعنى التثبيت. قوله: (بلى إثبات الخ) بلى حرف جواب كجير ونعم إلا أنها تقع جوابا لنفي متقدم سواء دخله استفهام أم لا فيكون إيجابا له نحو ما قام فتقول بلى أي قد قام وقوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٢] ولذا قال ابن عباس رضيب الله تعالى عنهما: لو قالوا نعم كفروا، وأما قوله:

أليس الليل يجمع أم عمرو وإيانا فذاك بنا تداني

نعم وترى الهلال كما أراه ويعلوها النهار كما علاني

فقيل: ضرورة وقيل: نظرا إلى المعنى لأن الاستفهام إذا دخل على النفي قرر. فما قاله

ابن عباس رضي الله عنهما نظرا إلى الظاهر وبلى هنا رد لقولهم: ﴿لن تمسنا النار﴾ أي بلى تمسكهم أبدا بدليل قوله: ﴿هم فيها خالدون﴾". (١)

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٢/١٩١

١٨٦.	١٨٦-"تسوى بهم الأرض ولم يكذبوا.

(أتول) بل هو عطف على يود، وقوله: لأنه الخ مما لا يفهم من الكشاف أصلا وان جوزوا عطفه على تسوى أيضا، وقوله: ولا يقدرون بيان للمعنى بأنهم لا يقدرون على الكتمان أي عدم كتمانهم ناشئ من عدم قدرتهم لا أنهم يقدرون ولا يكتمون، وليس مراده إنه محتاج إلى تأويله فقوله ههنا شيء ليس بشيء، وقد جوز في الدر المصون فيه ستة أوجه لا! الواو إفا للحال أو للعطف وهو إما عطف على مفعول يود أي يوذون تسوية الأرض! بهم وانتفاء كتمانهم ولو مصدرية في موضع مفعول يود لا شرطية ويكون حينئذ، لا يكتمون عطفا على مفعول يوذ المحذوف، ويجوز أن يكون عطفا على جملة يوذ فأخبر عنهم بالودادة وأنهم لا يقدرون على الكتم ولو مصدرية أو شرطية جوابها محذوف، ومفعول يوذ محذوف أيضأ، ولا يكتمون عطف

على الجملة الشرطية وان كانت حالية فهي إما حال من ضمير بهم، والعامل تسوي، ويجوز في لو الوجهان، أو من الذين كفروا والعامل يود. قوله: (لا تقوموا إليها وأنتم سكارى الخ) يعني أن المراد بقربها القيام لها، والثلبس بها والمعنى لا تصلوا لكن نهى عن القرب مبالغة، وشمول السكر للنوم وسكر الخمر مخالف لجمهور المفسرين وسبب النزول وأنه خلاف الظاهر لما فيه من الجمع بين الحقيقة، والمجاز أو عموم المجاز واطلاق السكر على غير الخمر يستعمل مقيدا في الأغلب كسكرة الموت، وقيده بعلم ما يقوله وهو كناية عن علم ما يصحدر عنه من قول وفعل بيانا لحد السكر، وخصه لأنه سبب النزول ولأن القراءة مع أنها أعظم الأركان ومناجاة الرحمن الخلط فيها ربما أدى إلى الكفر بخلاف الأفعال، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه صحابي معروف والمأدبة بفتح الدال وضمها الطعام الذي يدعى إليه وأدب القوم بأدبهم دعاهم إليه، وثملوا بالثاء المثلثة بمعنى سكروا وقوله: فقرأ عبد الخ أي بحذف لا في سورة الكافرين. قوله: (وقيل أراد بالصلاة مواضعها الخ) فهو مجاز من ذكر الحال، وإرادة المحل بقرينة قوله: (إلا عابري) فانه يدل عليه بحسب الظاهر وجعل المنهي عنه السكر وافراط الشرب لا قربان الصلاة لأن القيد مصب النفي، والنهي ولأنه مكلف بالصلاة مأمور بها والنهي ينافيه لكنه لا مانع عن النهي عنها للسكران مع الأمر المطلق إلا أن مرجعه إلى هذا والحاصل أنه مكلف بها في كل حال، وزوال عقله بفعله لا يمنع تكليفه، ولذا وقع طلاقه ونحوه ولو لم يكن مأمورا بها لم تلزمه الإعادة إذا استغرق السكر وقتها وقد نص عليه الجصاص في الأحكام وفصله فمن قال: **لا دليل على** ما ذكره غفل عن المسألة. قوله: (والسكر من السكر الخ) السكر بفتح السين وسكون الكاف

حبس الماء وبكسر السين نفس الموضع المسدود وقيل: السكر بضم السين وسكون الكاف السد والحاجز كالجسر قال:

فما زلنا على السكر نداوي السكر بالسكر

والحاصل أن مادته تدل على الانسداد ومنه سكرت أعينهم أي انسدت. قوله:) سكارى بالفتح الخ) قراءة الجمهور سكارى بضم وألف، وهو جمع تكسير عند سيبويه واسم جمع عند غيره لأنه ليس من أبنية الجمع والأرجح الأول وقرأ الأعمش سكرى بضم السين على أنه صفة كحبلى وقع صفة لجماعة أي وأنتم جماعة سكرى كما حكي، كسلى وكسلى وقرأ النخعي

سكرى بالفتح وهو إما صفة مفردة صفة جماعة كما مر أو جمع تكسير كجرحى وإنما جمع سكران عليه لما فيه من الآفة اللاحقة للعقل، وقد تقدم الكلام عليه في أسارى في البقرة وقراءة سكارى بفتح السين جمع سكران كندمان وندامى. قوله: (عطف على قوله وأنتم سكارى الخ) جعله عطفا على الجملة الحالية مع الواو لئلا يلزم دخول، واو الحال على الحال المفردة، وأعاد لا لأن كلا منهما مانع منها وفيه تأمل قال النحرير هذا حكم الإعراب وأما المعنى ففرق بين قولنا جاء القوم سكار! ، وجاؤوا وهم سكارى إذ معنى الأول جاؤوا كذلك والثاني جاؤوا وهم كذلك باستئناف الإثبات ذكره عبد القاهر يعني بالاستئناف أنه مقرر في نفسه مع قطع النظر عن ذي الحال وهو مع مقارنته له يشعر بتقرره في نفسه، ويجوز تقدمه واستمراره ولذا قال السبكي رحمه الله تعالى في الأشباه لو قال لله علي أن اعتكف صائما لا بد له من صوم يكون لأجل ذلك النذر من غير سبب آخر فلا يجزئه". (١)

١٨٧. ١٨٧-"متضمن أن من استهزأ بالرسل عوقب فكذا من استهزأ بك إن أصر على ذلك فلا تلتفت إلى من تكلف هنا ما لا حاجة إليه. قوله: (سخروا منهم) في القاموس هزأ منه وبه وسخر منه وبه، فهما متحدان معنى واستعمالا فلا وجه لما قيل السخرية والاستهزاء بمعنى لكن الأول! قد يتعدى بمن والباء لكن في الدر المصون إنه لا يقال إلا استهزى به ولا يتعدى بمن، ثم قال الجار متعلق بسخروا والضمير راجع إلى الرسل وقيل إلى المستهزئين وقيل إلى أمم الرسل ومن للبيان، ويرد الأول بأنه يؤول المعنى إلي فحاق بالذين سخروا كائنين من المستهزئين، ولا فائدة لهذه الحال لانفهامها من سخروا، والثاني بأنه يلزم إرجاعه إلى غير مذكور والجواب أنه مبني على أن الاستهزاء والسخرية بمعنى وليس

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٣٨/٣

بلازم لأن من فسره بهذا يجوز أن يجعل الاستهزاء بمعنى طلب الهزء فيصح بيانه ولا يكون في النظم تكرار، قال الراغب رحمه الله: الاستهزاء ارتياد الهزء وان كان قد يعبر به عن تعاطي الهزء كالاستجابة في كونها ارتيادا للإجابة وان كانت قد نجري مجرى الإجابة انتهى، وأما رجوع الضمير إلى الأمم فقد ذكره الحوفي ورده أبو حيان بما ذكر وأجاب عنه في الدر المصون بأنه في قوة المذكور. قوله: (فأحاط بهم الذي كانوا يستهزؤون به) فسر حاق بمعنى أحاط وفسره الفراء يعاد عليه

وبال أمره، وقيل دار وقيل نزل ومعناه يدور على الإحاطة والشمول ولا يستعمل إلا في الشر قالط:

فأوطا جرد الخيل عقر ديارهم وحاق بهم من باس ضربة حائق

وقال! الراغب أصله حق فأبدل من أحد حر في التضعيف حرف علة كتطنب وتطنيب أو

هو مثل ذمة وذامة والمعروف في اللغة ما ذكره المصنف رحمه الله قال الأزهري: جعل أبو إسحق صاق بمعنى أحاط وكان مادته من الحوق وهو ما استدار بالكمرة وخالفه بعض أهل اللغة فقال إنه يائي بدليل حاق يحيق. قوله: (حيث أهلكوا لآجله الخ) قيل إنه يعني إن حاق بهم كناية عن إهلاكهم فإسناده إلى ما أسند إليه مجاز عقلي من قبيل أقدمني بلدك حق لي على فلان، ولقد أغرب من بين المراد بقوله تعالى: ﴿ما كانوا به يستهزؤون﴾ فقال من العذاب الذي كان الرسول يخوفهم نزوله فلا تجوز في الإسناد ولا في المسند إليه فإنه **لا دليل على** أن المراد بالمستهز! به هو العذاب بل المرسل، وبعد تسليمه فقد اعترف بأن المراد بالحيق بهم الإهلاك ومعلوم من مذهب أهل الحق أن المهلك ليس إلا الله تعالى فإسناده إلى غيره لا يكون إلا مجازا (قلت) ما رذه واستغربه هو ما اختاره الإمام الواحدي واستهزاؤهم بالرسل مستلزم لاستهزائهم بما جاؤوا به وما توعدوا به ومثله لظهوره لا يحتاج إلى قرينة وما توعدوا به هو العذاب، وحيقه بهم لا شبهة في أنه حقيقة، وأما تفسيره بالإهلاك فليس تفسير الحاق بل بيان لمؤدي الكلام، ومجموع معناه فلا يرد ما ذكره عليهم. قوله: (أو فنزل بهم وبال استهزائهم) نزل تفسير لحاق وقوله: (وبال) إشارة إلى أنه على تقدير مضاف كوبال وعقوبة، وما مصدرية والضمير للرسول الذي في ضمن الرسل أو هي موصولة، أو هو من إطلاق السبب على المسبب لأن المحيط بهم هو العذاب، ونحوه لا المستهزأ لكنه وضحع موضعه مبالغة كما قاله الطيبي. قوله: (عاقبة المكذبين الخ) العاقبة مآل الشيء مصدر كالعافية وكيف خبر مقدم لكان أو حال وكان تامة، وقوله كيف أهلكهم يميل إليه، وكي تعتبروا علة للأمر بالنظر، وعذاب الاستئصال من إضافة العام للخاص والاستئصال قلع الشيء من أصله وإنما فسر به لأن الإهلاك بدون الاستصال لا يختص بالمكذبين

هذا، وقد قيل إنما عبر عنهم بالمكذبين دون المستهزئين إشارة إلى أن مآل من كذب إذا كان كذلك فكيف الحال في مآل! من جمع بينه وبين الاستهزاء وأورد عليه أن تعريف المكذبين للعهد وهم الذين سخروا فيكونون جامعين بينهما وقد اعترف به هذا القائل أيضا مع أن الاسنهزاء بما جاؤوا به يستلزم تكذيبه فتأمل. قوله: (والفرق بيتة وبين قوله قل سيروا في الأرض فانظروا الخ) في الكشاف فإن قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله: فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل

النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله: ﴿سيروا في الأرض ثم انظروا﴾". (١)

١٨٨. ١٨٨-"بينها وبين إذا فإن عدم الجزم باللاوقوع مشترك بينهما، وهو كما قال: فإنه لو جزم باللاوقوع لم يكن الوقوع مشكوكا بل مجزوم الانتفاء فيكون المحل محل لو دون أن فتدبر. قوله: (والمعنى إن كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الخ) نكر حقا مع تعريفه في النظم فقيل إنه إشارة إلى ما ذكره الزمخشري من أن التخصيص والتعيين وقع على سبيل المجازاة لقولهم إنه هو الحق لا على قصد الحصر وإلا كان المنكر انحصار الحقية فيه لا حقيته من أصلها وليس مراده، بل مراده أن حقيقته محال من أصلها فلذا نكره، وترك الفصل في بيان المعنى وتقريره ليدل على عدم قصده للحصر، (وعرف الحجارة (إشارة إلى أنها معروفة وهي السجيل، وقوله: (وفائدة التعريف) أي على هذه القراءة لأنه ليس المقصود به المجازاة فيها، وتيل إن هذا بحسب النظرة الأولى، والتحقيق أن مراده أن تعريف الحق عهدي خارجي لا جنسي كما في الكشاف أي الحق المعهود المنزل من عند الله هذا لا أساطير الأولين كما يدل عليه قوله للنضر فأفاد تخصيص المسند إليه بالمسند فإنه يأتي له أيضا وأكده الفصل كما حقق في قولهم ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢] وقوله: (حقا منزلا شاهد له) وقائم مقام تعريفه، وكذا قوله روي الخ فقوله، وفائدة التعريف جار على الوجهين وإنما عدل عن مسلك الكشاف لعدم ثبوت قول قائل أولا على وجه التخصيص، ولا يخفى أنه ليس في كلامه ما يدل على العهد، ولا على الحصر، وقوله منزلا ليس إشارة لذلك بل بيان لقوله من عندك وأما ما تمسك به من أنه لم يثت قول قائل على وجه التخصيص فليس بشيء فإن قول النبي بلمج! إنه كلام الله ليس معناه إلا ذلك عند التأقل، وكون الزمخشرقي قال إن التعريف للجنس لا وجه له بل ظاهر كلامه أنه للعهد إذ المجازاة

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٢٥/٤

تقتضيه فما اختاره تعسف ظاهر، وقوله بعذاب أليم سواه يؤخذ من المقابلة، ويصح أن يكون من عطف العام على الخاص. قوله: (والمراد منه التهكم وإظهار اليقين الخ) عطف عليه للتفسير له لأنه ليس اليقين المصطلح عليه إذ لم يطابق الواقع، والتهكم في إطلاق الحق عليه وجعله من عند الله، وفائدة قوله من السماء كما في الكشاف إنه صفة مبينة إذ المراد أمطر علينا السحجل والحجارة المسومة للعذاب وأمطر استعارة أو مجاز لأنزل. قوله: (وقرئ الحق بالرفع الخ) قراءة العامة النصب وقراءة الأعمش وزيد بن علي بالرفع. قوله: (وفائدة التعريف فبه الخ) ا!

الحقية المعلق عليها الشرط ليست مط لمقة إذ هي لم تنكر بل- قية مخصوصة، وهي كونها منزلة من عند الله، والظاهر منه أن التعريف عهدقي، وأنه مراد به مطلقا ومعنى العهد فيه أنه الحق الذي ادعاه النبي! يلى وهو أنه كلام الله المنزل عليه على النمط المخصو ص، ومن عندك إن سلم دلالته عليه فهو للتأكيد فلا يرد عليه ما قيل إن قوله من عندك يدل على كونه حقا بالوجه المذكور من غير احتياج إلى التعريف. قوله:) بيان لما كان الموجب لإمهالهم الخ) والمراد بدعاء الكفار قولهم ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٢] الخ ولا ينافي كونه دعاء قصد التهكم حتى يقال المراد بالدعاء ما هو صورته. قوله: (واللام لتثيد النفي الخ) هذه هي التي تسمى لام الجحود ولام النفي لاختصاصها بمنفي كان الماضية لفظا أو معنى وهي تفيد التأكيد باتفاق النحاة أما لأنها زائدة للتأكيد وأصل الكلام ما كان الله يعذبهم أو لأنها غير زائدة والخبر محذوف أي ما كان الله مريدا وقاصدا لتعذيبهم، ونفي إرادة الفعل أبلغ من نفيه، وأما ما قيل في وجهه إن هذه اللام هي التي في قولهم أنت لهذه الخطة أي مناسب لها وهي تليق بك ونفي اللياقة أبلغ من نفي أصل الفعل فتكلف لا حاجة إليه بعدما بينه النحاة في وجهه. قوله: (عذاب استئصال) أي يعمهم بهلاكه ويأخذهم من أصلهم، قيل عليه إنه **لا دليل على** هذا التقييد مع أنه لا يلائم المقام، وقيل الدليل عليه إنه وقع عليهم العذاب، والنبي صلى الله عليه وسلم فيهم كالقحط فعلم أن المراد به عذاب استئصال، والقرينة عليه تأكيد النفي الذي يصرفه إلى أعظمه. قوله: (والمراد باستغفارهم الخ) ذكر فيه ثلاثة أوجه، الأول أن المراد استغفار من بقي بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين، قال الطيبي: وهذا الوجه أبلغ لدلالته على أن استغفار الغير مما يدفع به العذاب عن أمثال هؤلاء الكفرة، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما". [١]

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٤/ ٢٧٠

١٨٩. ١٨٩-"التحقيق لوصوله، والثانية حمل العباد
على التوكل فيه، وقوله كل في كتاب مبين كالتتميم لمعنى وجوب تكفل الرزق كمن أقر بشيء في ذمته، ثم كتب عليه صكا. قوله: (أماكنها في الحياة والممات الخ) جعل المستقر والمستوح اسم مكان لأنه الظاهر، وجوز فيهما أن يكونا ممدرين، وأن يكون المستوح اسم مفعول لتعدي فعله، ولا يجوز في مستقرها لأن فعله لازم، وقوله في الحياة، والممات لف ونشر مرتب، وهو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما مستقرها مأواها في الأرض، ومستودعها المحل الذي تدفن فيه وسمي مستودعا لأنها توضع فيه بلا اختيار، وقوله والأصلاب، والأرحام يجوز جره ونصبه، وهو لف ونشر أيضا، وجعل الأرحام مستودعا للنطف ظاهر لأنها توضع فيه من قبل شخص آخر بخلاف الأصلاب وقيل إنه نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما عكسه فهو لف، ونشر مشوس، وكلام المصنف رحمه الله يحتمله، وقوله أو مساكنها من الأرض الخ هذا ما في الكشاف، واقتصر عليه لعمومه لجميع الحيوانات بخلاف الأولين لكنه لا يخلو من بعد، ولذا أخره المصنف رحمه الله. قوله: (كل واحد من الدواب وأحوالها) يعني أن المضاف إليه كل محذوف، وهو كل ما ذكر أي كل دابة ورزقها؟ ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين ومن للتبعيض أي كل فرد فرد منها لا للتبيين بمعنى كل هو هذا، وكأنه تعالى ذكر بعض أحوالها، ثم عممه لغيرها أي كل ما ذكر وغيره. قوله: (مذكور في اللوح المحفوظ) تفسير للكتاب وبيان للمتعلق، وقوله بيان كونه عالما الخ يعني لما ذكر أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على عموم علمه وأراد بما بعدها قوله، وهو الذي خلق السماوات والأرض الخ وتقريره للتوحيد لأن من شمله علمه، وقدرته هو الذي يكون إلها لا غيره مما لا يعلم، ولا يقدر على ضر ونفع، وتقريره للوعيد لأن العالم القادر يخشى منه ومن جزائه، ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ما يسرون، وما يعلنون، وما بعدها تقرير لقوله، وهو على كل شيء قدير. قوله: (أي خلقهما وما فيهما كما مر الخ) الظاهر أنه إشارة إلى تقدير ذلك لأن الثابت أنه خلقهما، وما فيهما في تلك المدة فإما أن يقدر أو يجعل السماوات مجازا بمعنى العلويات فيشملها، وما فيها ويجعل الأرض بمعنى السفليات فيشملها، وما فيها من غير تقدير، وما قيل إن المراد بالعلويات نفس السماوات، والأرض سهو، وإنما احتاج إلى التجوز أو التقدير وان كان خلقها في تلك المدة لا ينافي خلق غيرها لاقتضاء المقام

للتعرض! لها. قوله: (وجمع السماوات دون الأرضى الخ) قد مر تفصيل هذا وأن المراد أنها سبع طباق متفاصلة بينها مسافة كما ورد في الأثر، وأن قوله، ومن الأرض مثلهن المراد به الأقاليم السبعة وأن

حقيقة كل سماء غير الأخرى وأنه قيل إن الأرض مثل السماء في العدد، وفي أن بينها مسافة، وفيها مخلوقات فيكتفي حينئذ في التوجيه باختلاف الأصل. قوله: (قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما الخ) كونه قبل خلقهما مأخوذ من كان لأن المعنى المستفاد منها بالنسبة للحكم لا للتكلم، وهو خلق السماوات والأرض، وهذا ظاهر سواء كانت الجملة معطوفة أو حالية بتقدير قد إنما الكلام في قوله لا إنه كان موضوعا على متن الماء فإن الاستعلاء صادق بالمماسة، وعدمها **ولا دليل على** ما ذكره في الآية، وقيل مبني هذا النفي على كون الظاهر ذلك فإن كون العرس منطبقا على الماء أولا ثم رفعه عنه محتاج إلى دليل، وهو منتف، ولا يخفى ما فيه فإن عدم الدليل لا يكون دليلا للعدم كما بين في محله إلا أن يكون ذلك بعناية لما نقل عن السلف أنه كان على الماء، وهو الآن على ما كان عليه ولأنه الأنسب بمقام بيان القدرة الباهرة وعلى كل حال فلا يخلو عن القيل، والقال. قوله: (واستدل به على إمكان ا! لاء (قيل أراد الإمكان الوقوعي لأن المستفاد من الآية أنه خلق السماوات والأرض! ولم يكن إذ ذاك غير العرس، والماء وعليه منع ظاهر، والخلاء هو الفراغ الكائن بين الجسمين اللذين لا يتماسان، وليس بينهما ما يماسهما، وقوله وأن الماء أول حادث بعد العرس، وبيانه أن كونه على الماء يحتمل المماسة، وعدمها، ولذا قال إمكان الخلاء دون وجوده ولما كان معنى كونه عليه أنه موضوع فوقه لا مماسه، وخلق السماوات والأرض بعدهما اقتضى أن الماء مخلوق قبلهما، وأنه أول حادث بعده، وهو من". (١)

١٩٠. ١٩٠-"ماصحبة الغارياخليلي كصحبة ال! سجن والسفينة

وليس في الإضافة على الأول اتساع، وقيل إنها على الاتساع، وأنه أضافهما إلى السجن دونه لكونهما كافرين، وان قوله أهل الدار مفعول سارق، والأصل متاع أهل الدار أو مفعول لمحذوف بتقدير احذر أهل الدار وهو وهم كما مر تقريره في الفاتحة. قوله: (شتى متعددة متساوية الأقدا) حمل التفرق على معنى التعدد، وقيل المراد مختلفة الأجناس، والطبائع ففيه إشارة إلى عدم صلاحيتها للربوبية، وأما قوله متساوية أي في عدم النفع، والليافة لذلك فقيل إنه بيان للواقع إذ لا دلالة للكلام عليه، وقيل إنه ماخوذ من قوله القهار، ولو قيل إنه ماخوذ من قوله ما تعبدون من دونه إلا أسماء كان أظهر، وقوله المتوحد بالألوهية حمله عليه لقوله الله فيكون توصيفه به مفيدا. قوله:

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٧٢/٥

(أي إلا أشياء باعتبار أسام أطلقتم الخ) قيل إنه إشارة إلى أن -؟ لتسمية بمعنى الإطلاق لا وضع الاسم، وان الأسماء عبارة عما يطلق عليها إلا أن قوله فكأنكم الخ. ظاهر في أنه بمعناه المتبادر منه، وإنه استعارة إلا أن يجعل الأول بيانا لحاصل المعنى، وفيه نظر وقوله أطلقتم عليها أي على الأشياء، وقوله من غير حجة لأنه لا يدل عليه عقل، ولا نقل فإن الإله وضع لمستحق العبادة، وما سموه ا-لهة لا دليل على استحقاقها لها، وقوله في أمر العبادة أي شأنها، وصحتها فلا تكون إلا للإله أو لمن يأمر بعبادته، وهو لا يأمر بذلك، ولا يجعله لغيره لأنه أمر أن لا تعبدوا إلا إياه، وقوله الذي بدل من الضمير. قوله: (الحق وأنتم لا تميزون هخ) إشارة إلى أن القيم كالمستقيم بمعنى الحق، والصواب، وقوله وأنتم لا تميزون مأخوذ من الحصر أي هو المس! كيم لا غيره مما أنتم عليه، وفوله على طريق الخطابة بفتح الخاء يعني قوله تعدد الآلهة، وتشعبها خير أم وحدتها أمر خطابي لا برهاني، وقوله برهن أي استدل قال في الأساس برهن مولد، وأثبته بعض أهل اللغة، وقوله فإن استحقاق العبادة بناء على أن العبادة، والإلهية متحدان أو متلازمان، وقوله الذي لا يقتضي العقل غيره لأن معنى القويم كما قاله أبو حيان الثابت الذي دلت عليه البراهين فهم الذين ليسوا بعقلاء، ولا عقيدتهم بعلم، وقوله فيخبطون في جهالاتهم من قولهم خبط خبط عشواء. قوله: (كما كان يسقيه قبل

ويعود إلى ما كان عنيص) من منزلته عند الملك فلا تكرار فيه وقوله فقالا كذبنا بناء على أنهما قصدا تجربته، وليست رؤيا حقيقة، وقيل رأي الشرابي، والآخر تحالم. تزله.: (ولذلك وحده) أي لكونه بمفى ما يؤول إليه أمركما فإنه المقصود من االمسؤول عنه، وليسا المراد ما اتهما به من التسميم كما في الكشل!؟ فيحتاج إلى تقدير مضماف، برهو عاقبة، وقال أمركما بالخطاب جريا على ما وقع في النظم، وقوله قطع الأمر قيل إنه مخصوص به لأنه علم بالوحي، وإلمشهور أن الرؤيا تقع كما تعبر وسيأتي، ولذا قيل الرؤيا علي جناج طائر إذا! ى وقع، وقوله لكنهما أراد استبانة عاقبة ما لمزل بهما لا يخالف قوله كذبنا لأنهما قالاه له، ههو يكفي للنكتة مع احتمال الكذب في قولمهما "كذبنا. قوله: (الظان يوصف عليه الصلاة والسلام إن ذكر ذلك عن اجتهاد) بمقتضى علم التعبير، وقيل عليه أن قوله قضي الأمر ينافيه إلا أن يؤول بأن المراد أنه مقتضى علمي، وما عندي خلافه، والعلم عند الله أو يكو) حلى األظن مستعملا بمعنى اليقين فإنه ورد بمعنا. كثيرا، والتعبير به إرخاء " ل! ل! نان، وتأدب مع الله، وقوله فهو ضمير يحود إلى الظان أي فالظان هو الفتى الناجي لا يوسف عليه الصلاة والسلام إلا إذا جعل الظن بمعنى اليقين، وهو المناسب للسياق، وقولها لذكر حالي أي صفتي، وعلمي

بالرؤيا، وما جرى علي. قوله:: (فأنسى الشرابئ أن يذكره لربه الخ) قدمه لأنه المناسب لقوله الآتي، وا! ير بعد أمة، ولأنه المناسب لذكر الفاء، ومقتضى الظاهر على الثاني العكس فإضافة ذكر للمذكور له للملابسة أو هو مضاف للمفعول بتقدير مضاف. قوله: (أو أنسى يوسف عليه الصلاة والسلام الخ) وانساء الشيطان ليس من الإغواء في شيء بل ترك الأولى بالنسبة لمقام الخواص الرافعين للأسباب من البين، وتأييد الحديث له بحسب ظلبره فلا يرد عليه أنه كلا تأييد فيه لإ، رجاع الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام فإنه لو عاد على الشرابي لكان صمدق " الحديث على حاله إذ يكون المعنى لومخلييم يقل أذكرني عند ربك ما لبث في السجن بضع سنين". [(١)]

١٩١. ١٩١-"من أن المعنى ما أبعد الذي له هذه القدرة عن جميع النقائص، فلا يكون اصطفاؤه لعبده المخصوص به إلا حكمة وصوابا، فالتنزيه لا ينافي التعجب كما توهم والتعجب هاهنا تبع بخلافه في قوله: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [سورة النور، الآية: ١٦] فافهم، ومن هذا ظهر مناسبة أول هذه السورة لخاتمة السورة التي قبلها وارتباطها بها وأن في سبحان ثلاثة مذاهب أنه علم جنس دائما وأنه علم إذا لم يضف غير علم إذا أضيف وأنه ليس بعلم أصلا كما سيأتي. قوله: (وقد يستعمل علما له (أي للتنزيه فيقطع عن الإضافة لأن الأعلام لا تضاف قياسا، ويمنع من الصرف للعلمية والزيادتين، قال الرضي: **ولا دليل على** علميته لأنه أكثر ما يستعمل مضافا فلا يكون علما وإذا قطع فقد جاء منونا في الشعر كقوله: سبحانه ثم سبحانا نحوذ به وقبلنا سبحات الجود والحمد ...

وقد جاء باللام كقوله:

سبحانك اللهم ذا السبحان

قالوا ودليل علميته قوله:

سبحان من علقمة الفاخر

ولا منع من أن يقال: حذت المضاف إليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله مراعاة لأغلب أحواله أي التجزد عن التنوين كقوله:

خالط من سلمى خياشيم وفا

قوله: (قد قلت لما جاءني فخره الخ (هو من قصيدة طويلة للأعثى، أولها:

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٧٨/٥

شاقتك من قبله أطلاقا بالشط فالجزع إلى حاجر ...
وسببها أنه لما تنازع الشرف ودعوى الكرم علقمة بن علاثة وابن عمه عامر بن الطفيل العامريان على ما جرت به عادتهم في الجاهلية، وكان علقمة كريما رئيسا وعامر عاهرا سفيها وساقا إبلا كثيرة لتنحر لمن قر له أي الفضل هاب حكام العرب أن يحكموا بينهما فأتوا هرم بن سنان، فقال لهما: أنتما كركبتي البعير تقعان على الأرض معا وتنهضان معا قالا فأينا اليمين قال: كلا كما يمين فمكثا سنة لم يحكم أحد بينهما، فأتى الأعشى علقمة مستجيرا به فقال: أجيرك من الأسود والأحمر فقأل له: ومن الموت قال لا، فأتى عامرا فقال له: مثله فقال له: ومن الموت قال: نعم، قال: وكيف قال إن مت في جواري وديتك، فلما بلغ ذلك علقمة
قال: لو علمت مراده لهان علي فقال الأعشى: يهجو علقمة، ويفضل عليه عامرا بقصيدته هذه ومنها قوله:
إن الذي فيه تماريتما بين للسامع والناظر ...
ما جعل الحد الظنون الذي خيب صوب اللحب الماطر ...
مثل الفرأتي إذا ما جرى يقذف بالبوصي والماهر ...
أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر ...
علقم لا تسفه ولا تجعلن عرضك للوارد والصادر ...
والشاهد في قوله: (سبحان من علقمة الخ (لمنعه من الصرف، والمراد التعجب من فخره
على عامر كما يقولون سبحان الله من كذا أي أعجب منه، وقال الراغب: إنه تهكم ومن زائدة، وهو مضاف لعلقمة، وقيل: أصله سبحان الله فحذف المضاف إليه فلا شاهد فيه، وعلقمة المذكور صحابي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وهو شيخ واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حوران فمات بها، وفي الاستيعاب أنه كان من المؤلفة، وقوله: يفعل متروك إظهاره أي لم يسمع من العرب إظهاره وهو سبح مشددا بمعنى نزه لا مخففا كما مر تحقيقه، وقوله للتنزيه عن العجز، ولا ينافي قصد التعجب كما قدمناه، وقوله عما ذكر بعده وهو الإسراء المذكور، وعدل عن قول الزمخشري: إنه للتنزيه البليغ عن جميع القبائح التي تضيفها إليه أعداء الله لأنه يأباه المقام كما قاله الطيبي، لكن الذي دعا الزمخشري إلى التفسير به مع أنه شامل لما ذكر أنه تفسير مأثور. قال في الإعراب المسمى بالعقد الفريد عن طلحة رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير سبحان الله

فقال: تنزيهه من كل سوء فتأمل. قوله: (واسرى وسرى بمعنى) هذا قول أبي عبيدة رحمه الله وهو سير الليل أو أكثره وليست همزة أسرى للتعدية بل هما بمعنى ويشير إليه ما ذكره بعده، وقيلى: الهمزة للتعدية ومفعوله محذوف تقديره أسرى ملائكته بعبده، وقيل: أسرى لأول الليل". (١)

١٩٢. ١٩٢-"بعضهم فتأمل. قوله: (أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا اراد المريض الخ) على هذا اقتصر في الكشاف وهو مبني على أصولهم كما في الكشف وعلى نهج قوله: جدارا يريد أن ينقض كما سيأتي تحقيقه فهو مجاز للتنبيه على عاقبة أمرهم فيجري مجرى قولهم: إذا أراد التاجر أن يفتقر أتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق وقولهم: إذا أراد العليل أن يموت خلط في أكله وشرع في أكل ما تتوق إليه نفسه لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام كما في الدرر الشريفة يعني أق دلالة أمر على وقوع شيء عقبه ينزل منزلة الإرادة لذلك الشيء لما بينهما من اللزوم أو المشابهة فتدبر، وقوله: قوم إشارة إلى أن المراد بقرية أهلها. قوله: (أمرنا مترفيها متنعميها بالطاعة (لما كان المتبادر منه أن التقدير أمرناهم بالفسق كقوله: أمرته فقام إذ تقديره أمرته بالقيام كما سيأتي تحقيقه وهو غير صحيح لأن الله لا يأمر بالفحشاء إلا بارتكاب التأويل الآتي قدر له هذا المتعلق ولم يلتفت إلى رده الآتي لأنه مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير كما نقله المفسرون وقوله: متنعميها بصيغة الجمع المضافة وقوله: على لسان رسول بيان للواقع المقدر بقرينة قوله: تحى نبعث رسولا. قوله: (ويدل على ذلك ما قبله وما بعده الخ (رد على الزمخشري كما سيأتي تفصيله مقتديا بالإمام فيه يعني أن ما زعمه من أنه **لا دليل على** تقدير ما ذكر ممنوع بل الدليل عليه ظاهر فإن فسق وعصى متقاربان بحسب اللغة وإن خص في الشرع بمعصية خاصة، وذكر الضد يدل على الضد، كما أن النظير يدل على نظيره فذكر الفسق والمعصية دال على تقدير الطاعة كما في قوله: سرابيل تقيكم الحر فيكون كقوله أمرته فأساء إلي أي أمرته بالإحسان بقرينة المقابلة بينهما المقتضية بالعقل الدال على أنه لا يؤمر بالإساءة كما لا يؤمر بالفسق والنقل أن الله لا يأمر بالفحشاء والتعجب من جعل المصنف ما ذكر دليلا على تقديره مع أن الزمخشري جعله دليلا على خلافه مما يتعجب منه ثم إن المدقق في الكشف رد ما ذكره المصنف رحمه الله كغيره بأن الزمخشري لم يمنع هذا التقدير من هذا المسلك بل المانع عنده أن تخصيص المترفين حينئذ يبقى غير بين الوجه

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٢/٦

وكذلك التقييد بزمان إرادة الإهلاك ولظهوره لم يتعرض له، وأيضا شهرة الفسق في أحد معنييه تمنع من عده مقابلا بمعنى العصيان على أن

ما ذكر من نبو المقام عن الإطلاق قائم في التقييد بالطاعة، فافهم ولا تغتر بما أثره الإمام وشنع بأنه لا فرق بين أمرته ففسق وأمرته فعصاني، وأيده غيره بأن الفسق الخروج عن الأمر فذلك من عدم تدبر ما أورده جار الله على ما يجب انتهى يعني أن الى، مر بالطاعة واقع من الله في كل زمان ولكل أحد فلا وجه للتقييد حينئذ وأن هذا هو الداعي لاختيار الزمخشري ما ذكر ولما ورد عليه أنه ليس في كلامه ما يدل عليه تلافاه بأنه تركه لظهوره ولا يخفى أنه قول بسلامة الأمير ونظر بعين الرضا إذا أدخل في الكلام ما ليس فيه، وأما التقييد المذكور فظاهر لأنهم أئمة الكفر ورؤساء الضلال وما وقع من سواهم باتباعهم ولو لم يلاحظ هذا لم يكن للتقييد وجه في سائر الوجوه فتدبر. قوله: (وقيل أمرناهم الخ (هذا ما ارتضاه الزمخشري وملخصه أن المراد أمرناهم ففعلوا، والأمر مجاز لأن حقيقته أن يقول لهم: افسقوا وهو لا يتأتى لما مر فالوجه أنه أفاض النعم عليهم ليشكروا فعكسوا ذلك وجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة له فلما آثروا الفسوق أهلكهم، وهذا هو الوجه لأن المستفيض حذف ما يدل عليه، ونظيره لو شاء لأحسن إليك أي لو شاء الإحسان فلو أضمرت خلافه لم تكن على سداد، وكأنك تروم من مخاطبك علم الغيب فهو إفا استعارة تمثيلية أو تصريحية تبعية لا مجاز مرسل كما يوهمه لفظ التسبب، فافهم. قوله: (على أن الأمر مجار من الحمل عليه أو التسبب له (متعلق بقوله قيل الخ ومن متعلقه بمقدر أي ناشيء من الحمل لأنه وجه الشبه فإنه شبه إفاضة النعم وصبها على أهل الأهواء بأمرهم بالفسق والجامع مع ما ذكر أو شبه حالهم في تقلبهم في النعم مع عصيانهم وبطرهم بحال من أمر بفساد فبادر إليه، هذا ما في شروح الكشاف فقوله: بأن بيان للمستعار له، فما قيل". (١)

١٩٣. ١٩٣-"المراد بقوله: خصها بالذكر بلفظه فيكون ما بعده تأسيسآ، ويجوز كونه تأكيدا وفيه نظر، وقوله: للعلة أي إظهارا للعلة الخ، وهو ضمير العلة وذكره لتذكير الخبر وقوله: وشغل القلب واللسان فالذكر شامل للقلبي واللساني. قوله: (وقيل لذكري (أي معنى لذكري فهو مضاف للفاعل والأمر بها يستفاد من كتابتها في الكتب الإلهية، ومعنى لأن أذكرك بالثناء لأثني عليك أي لأثيبك

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٧/٦

عليها، وقوله: ولا تشوبها أي لا تخالطها وهو مستفاد من التخصيص بالذكر، وقوله: لأوقات ذكري فاللام وقتية بمعنى عند كما في كتبتها لخمس خلون، وقوله: لذكر صلاتي اللام فيه وقتية أو تعليلية أي عند تذكرها أو لأجل تذكرها. قوله: الما روي الخ (هذا
حديث صحيح رواه أصحاب السنن ووقع في البخاري، ولذا قال التوربشتي: ءن الآية تحتمل وجوها ولكن الواجب المصير إلى وجه يوافق الحديث فالمعنى أقم الصلاة لذكرها لأنه إذا ذكرها فقد ذكر الله أو يقدر فيه مضاف أي لذكر صلاتي، أو وقع ضمير الله موقع ضمير الصلاة لشرفها وخصوصيتها اهـ. وقيل: تبعا لصاحب الكشف وغيره لا نسلم أن الحديث يقتضي تعيين هذا الوجه لصحة إرادة الوجه الأول منه لأن وضع الصلاة إذا كان لتذكر المعبود وهي محله فإذا ذكرها المكلف تبادرت الحكمة في مشروعيتها إلى ذهنه فيكون حاملا على إقامتها، ولذا جعل الزمخشري تأوبل الحديث تمحلا وبهذا اندفع ما قيل: إنه لو أريد هذا القيل أقم الصلاة لذكرها كما في الحديث، والجواب بأن ذكر الصلاة سبب لذكر الله فأطلق المسبب على السبب أو المضاف مقدر، أو المراد للذكر الحاصل مني فأضيف الذكر إلى الله لهذه الملابسة تكلف ولا يخفى أنه لا يزيل التكلف بل يزيده، ثم إنه لا وجه لتخصيص الوجه الأول كما سترى والأظهر ما في بعض شروح الكشاف من أنه لما جعل المقصود الأصلي من الصلاة ذكر الله وهو حاصل مطلوب في كل وقت فإذا فاته الوقت المحدود له يخبغي المبادرة إليه ما أمكنه فهو من إشارة النص لا من منطوقه حتى يحتاج لما ذكر، ولذا قال في أحكام الجصاص هذا لا ينافي كون المعاني الأخر مرادة من الآية فكأنه قال: أقم الصلاة المنسية لتذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم أو لأذكرك بالثناء والمدح أو لأنها مكتوبة أو لتخصني بالذكر فيها فتدبر. قوله: (كائنة لا محالة (هذا مستفاد من تأكيدان والجملة الاسمية. قوله: (أريد إخفاء وقتها (لما كان الإخبار بأنها ستأتي تحقيقا إظهارا لها في الجملة ينافي إخفاءها أولوه بما ذكر من أن المراد إخفاء وقتها المعين، ولما كان كونه من المغيبات يناسب أن يقال: أخفيها بدون أكاد فسروا أكاد بأريد وهو أحد معانيها كما نقله ابن جني في المحتسب عن الأخفش رحمه الله تعالى واستدلوا عليه بقوله:

كادت وكدت وتلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى ...

يعني أرادت وأردت لقوله: وتلك خير إرادة، وقيل: أكاد هنا زائدة اهـ. قوله: (أو أقرب
أن أخفيها الخ (يعني أنها بمعناها المعروف من أفعال المقاربة فالمراد إخفاء ذكرها الإجمالي، والمعنى أنه تعالى كاد أن لا يذكرها ولو إجمالا لكونها أخفى المغيبات لكنه ذكرها إجمالا كما

في قوله: إن الساعة آتية لحكمة وهي اللطف بالمؤمنين لحثهم على الأعمال الصالحة وعدم المبالاة بأمور الدنيا وقطع أعذار غيرهم حتى لا يعتذروا بعدم العلم ولما بالتشديد ويجوز تخفيفها وضمير به للإتيان. قوله: (أو كاد أظهرها (أي أعين وقتها ومتعلق الإخفاء والإظهار ليس بشيء واحد حتى يتعارض القراءتان، قال أبو عليئ: المعنى أزيل عنها خفاءها والخفاء بالفتح والمذ ما يلف به القربة ونحوها من كساء، وما يجري مجراه وهو الواقع في كلام المصنف أيضا وهو من ألفاظ السلب يقال: أخفيته إذا أزلت عنه خفاءه أي غطاءه، وساتره فيظهر لا محالة، ومنه يعلم كلام المصنف، وأما خفاه فمعناه أظهره لا غير فلذا جعل قراءة الهمزة على أنه مضارع الثلاثي مؤيدة لهذا التفسير، وذهب أكثر المفسرين إلى أن تقديره أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف أبيئ وابن مسعود رضي الله عنهما ولم يرتضه الزمخشري، وقال: إنه **لا دليل على** هذا المحذوف ولا قرينة عليه لأن ما قبله يقتضي أن يقدر أخفى إتيانها، وقيل: إن الدال عليه أنه لا بد له من". (١)

١٩٤. ١٩٤-"فلا ينبغي أن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت لأنه تعالى يفعل ما يشاء بلا مكره له، كما في صحيح مسلم ليعزم المسألة ولتعظم الرغبة فإنه تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه، نص عليه في الحصن الحصين والظاهر أنه ليس من قبيل ما ذكر فتأمل.

قوله: (أي أصلحناها للولادة (هذا بيان لحاصل المعنى وأن المعنى إصلاحها له ما ذكر

لا لأن الضمير للولادة لتأويلها بأن تلد لما فيه من التكلف وتفكيك الضمائر وان كان قوله أو لزكريا ربما يوهمه واللام تعليلية، وقدم يحي عليه الصلاة والسلام لأنه المطلوب الأعظم فالواو لا تقتضي ترتيبا.

قوله: (أو لزكريا بتحسين خلقها (فهو معطوف عل استجبنا لأنه ليس

مدعوا به ويجوز عطفه على وهبنا وحينئذ يظهر عطفه بالواو لأنه لما فيه من الزيادة على المطلوب لا يعطف بالفاء التفصيلية وعلى الوجه الأول فلأن المقصود به الامتنان لا التفسير لعدم الاحتياج إليه مع أنه لا يلزم التفسير بالفاء بل قد يكون العطف التفسيري بالواو، وحردة بالحاء والراء والدال المهملات بزنة حذرة بمعنى سيئة الخلق معاندة. قوله: (يعني المتوالدين (بصيغة الجمع من التوالد وهو إن كان بمعنى المتولد وكونه مولودا ففيه تغليب ليحيى على أمه وأبيه وان كان بمعنى ذي الولادة سواء أكان مولودا أو والدا فلا تغليب فيه وقوله إنهم الخ جملة مسوقة لتعليل ما يفهم من الكلام من أن

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٩٣/٦

هؤلاء المذكورين حصل لهم القربى والزلفى ونيل المراتب العالية لما ذكر كما أشار إليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله: بعد والمعنى أنهم نالوا الخ. لا لاستجابة دعواتهم حتى يقال إنه لا يصح عود الضمير على المتوالدين لأن يحيى عليه الصلاة والسلام ليس منهم هنا ويتكلف دفعه بأن يقال إن الآية استئناف جواب عن سؤال تقديره ما حالهم فتدبر وقوله أو المذكورين الخ. يعني أن الضمير راجع للانبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام لا لزكريا عليه الصلاة والسلام ومن معه وهو على هذا ظاهر من غير تكلف. قوله: (يبادرون إلى أبواب الخيرات) أي إلى أنواع الأعمال الحسنة، وأسرع يتعدى بإلى لما فيه من معنى المبادرة وبفي لما فيه من معنى الجد والرغبة يقال أسرع في مشيته، وفي الحديث هم مشاريع في الخير ذكره في المصباح وغيره واليه أشار الزمخشري ولظن بعضهم أنه لا يتعدى إلا بإلى قال: إنه يتضمن معنى الرغبة أو من قبيل تجرح في عراقيبها أو في بمعنى إلى أو للتعليل ولا حاجة إليه. وكذا ما قيل إنه عدل عن إلى إلى في للدلالة على أنهم لا يفترون بل يظهرون الجد في تحصيلها. ولا يرد عليه كما توهم أن المسارع إليه غير مذكور وأنه لا دليل على تقديره وله غفلة عما مر. قوله: (ذوي رغب الخ) جعل رغبا ورهبا مصدرين بتقدير مضاف أو مؤولين باسم الفاعل ويجوز إبقاؤهما على معناهما مبالغة وليس بجمع كخدم جمع خادم لأنه مسموع في ألفاظ نادرة وان جوز ويجوز كونه مفعولا له والرهبة ضد الرغبة ولم يقيده في قوله ذوي رغب إشارة إلى جواز تعميمه وشموله للأمور الدنيوية والأخروية وقيده في الثاني بالثواب إشارة إلى جواز كل منهما فإن كان راجعا لهما فالتقييد به لأنه المناسب للمقام، ومدح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يرد أنه تخصيص من غير مخصص وأن الظاهر التعميم كما قيل ولجوز تفسير الرغب بالتضرع والابتهال لكنه خلاف المشهور في اللغة والاستعمال. وقوله خائفين وجهه ما مر ومخبتين بمعنى متذللين. قوله: (دائبين الوجل) وفي نسخة دائمين والوجل منصوب به لتضمينه معنى ملازمين ودائب بمعنى دائم من الدأب وهو العادة المستمرة أو هو

منصوب بنزع الخافض أي في الوجل، وأما كونه بدلا من الضمير المستتر بدل اشتمال فخلاف الظاهر وفي نسخة دائمي الوجل بالإضافة وهي ظاهرة. وقوله والمعنى الخ مر بيانه. قوله: (والتي أحصنت فرجها) منصوب لعطفه على ما قبله أو باذكر أو مبتدأ خبره مقدر أي مما يتلى عليكم أو نفخنا والفاء زائدة عند من يجيزه وقوله من الحلال والحرام قيل لا ينبغي ذكر الحلال لأن النكاح سنة في الشرائع القديمة فلا يصح جعله منشأ نلفضيلة وليس بشيء لأن التبتل والترهب كان في شريعتهم. ثم نسخ

ولدا قال: لا رهبانية في الدين ولو سلم فذكره هنا لازم لتكون ولادتها خارقة للعادة والإحصان بمعناه اللغوي وهو المنع مطلقا ونفخ لازم وقد يتعدى كما ذكره المعرب وعليه قول". (١)

١٩٥. ١٩٥-"جار على الوجهين وقوله: ولذلك أي لقوله لا يمكن الخ وقوله: لأن الخ تعليل لقولهم في الجواب وقوله: خالقها إشارة إلى أن لام لله للملك بالخلق وهو لا ينافي جهلهم السابق لأنه إلزامي فرضي كما مر وقوله ليس أهون أي الأمر بالعكس لسبق مثله ووجود مادته. وقوله: أعظم من ذلك أي الأرض ومن فيها فهو ترق. قوله: (بغير لام) أي سيقولون الله وكذا في الآية الآتية وأما في الأولى فلم يقرأ بها أحد وقد وهم فيه أبو حيان في عدم الفرق كما قاله الفاضل المحشي والقراءة بترك اللام على الظاهر وباللام على المعنى لأن فولك من رب الدار بمعنى لمن هي وقد وردا في كلامهم كما قال الشاعر:

إذا قيل من رلث المزالف والقرى ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وقال الآخر في عكسه:

وقال السائلون لمن حضرتم فقال المخبرون لهم وزير ...

قوله: (فلا تشركوا به بعض مخلوقاته) كالأصنام وهو مترتب على الاتقاء وللترقي في

عظم المخلوقات ترقي في التذييل لأن هذا أبلغ في الوعيد مما قبله وقوله: ولا يمنع منه قيل إنه جار على عادة عظماء العرب حيث كانوا لا يجير أحدهم جار أحدهم ولو أجاره لم يفد. وقوله: معنى النصرة أو الاستعلاء. قوله: (ملكه غاية ما يمكن) يعني أن صيغة الملكوت للمبالغة في الملك فهي ملك أقصى ما يمكن ملكه أو الملكوت بمعنى الخزينة وقيل هي المالكية والمدبرية وقوله: إن كنتم تعلمون تكرير لاستهانتهم وتجهيلهم لكمال ظهوره وقوله فمن أين تخدعون كون أني بمعنى من أين تقدم في آل عمران وأشار بقوله: تخدعون إلى أن

السحر هنا مستعار للخديعة. قوله: (من التوحيد والوعد بالنشور) هو إضراب عن قولهم أساطير الأولين فكان الظاهر اقتصار على الثاني لكنه لا حظ فيه معنى ما بعده من التوحيد بنفي الولد أو ما فهم من سياق ما قبله لكون الكلام مع المشركين وهو أولى وقوله حيث أنكروا ذلك وقالوا إنه أساطير الأولين وهو تفسير لحاصل المعنى لا أن الكذب مجاز عن الإنكار فإنه لا حاجة إليه وقوله: لتقدسه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٢٧٠/٦

الخ لأنه لو كان له ولدتا تأله ولزم مشاركته في الإلوهية وهو معنى قوله يساهمه أي يقاسمه وفي نسخة يشابهه. قوله: (جواب محاجتهم وجزاء الخ (هذا على مذهب الفراء من أن إذن جواب وجزاء دائما لشرط ملفوظ أو مقدر وقد مر تحقيقه والمقدر هنا لو كما أشار إليه المصنف رحمه الله بقوله أي لو كان معه آلهة الخ قال الفراء حيث وقعت اللام بعد إذن فقبلها لو مقدرة إن لم تكن ظاهرة والمحاجة على زعمهم والا فلا حجة لهم **ولا دليل على** زعمهم الفاسد. قوله: (واستبد به الخ) أي استقل به تصرفا وملكا وهو تفسير لقوله ذهب وقوله: وظهر بينهم التحارب وفي نسخة وتع وهو تفسير لقوله لعلا وقوله: كما هو حال ملوك الدنيا يعني أنه أمر عادي لا إلزامي قطعي ولذا قيل إنه دليل إقناعي لا قطعي وقوله وقيام البرهان صريح فيه لكن صاحب الكشف قدس سره خالف في هذا وقال لاج لي أنه برهان غير قطعي كما في قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وأطال فيه هنا وقد مر تحقيقه وقوله فلم يكن الني متفرع على قوله لظهر بينهم التحارب أو على جميع ما قبله لأنه نتيجته فلا وجه لما قيل إن الظاهر عطفه بالواو على ظهر فإنه يترتب على ما يترتب عليه وقوله: وحده قيل الأولى تركه وهو تأكيد لا ضرر فيه. قوله: (واللازم باطل بالإجماع والاستقراء) المراد بالإجماع إجماع المسلمين ومشركي العرب لأن المراد إلزامهم فلا يرد إنه إن أراد إجماع المسلمين لم يفد وان أراد إجماع جميع أهل الملل ورد عليه الثنوية والاستقراء لأنه لم يوجد ملكان في مملكة إلا وبينهما ذلك وإذا ان هذا الكلام خطابيا إقناعيا لا يرد عليه ما قيل إن الإجماع والاستقراء لا يناسب المقام لأنهما ليسا حجة عقلية مع أنهما غير تامين والبرهان إنما قام على انتهاء سلسلة الموجودات إلى واجب الوجود بالذات ولا يلزم منه عدم تعدده مع تعدد السلاسل وما ذكره إنما يرد على برهان التمانع والبرهان ليس منحصرا فيه وإليه أشار المصنف رحمه الله البرهان لا ما زعمه المعترض! فإن برهان الوحدة مقرر منور في الكلام بطرق متعددة فلا وجه لما ذكره أصلا إلا أن العرب لا يدعون لآلهتهم الخلق والدليل المذكور لا يدل على نفيها". (١)

١٩٦. ١٩٦-"وقت إهلاكهم بوقت لا يكونون فيهم، وهذا معطوف على تخصيص وناظر إلى المعارضة، وقوله وانهم الخ أي مريدون لإنجائه فليس مكررا مع ما قبله. قوله: (وفيه تأخير البيان عن الخطاب) أي فيما ذكر في هذه القصة في النظم لأنهم قالوا مهلكوا أهلها من غير بيان للمراد من

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٣٤٣/٦

الأهل أهو الجميع أو من عد الوطأ وأهله ثم بينوه بعد ذلك فإن أراد المصنف أن ما ذكر يدل على جواز تأخيره في الجملة فله وجه، وإن أراد- الرد على الحنفية فليسى بوارد لأن الممنوع تأخيره عن وقت الحاجة، وهذا ليس كذلك مع أنه حكاية لما وقع في غير شرعنا وأما رده بأنه ليس خطابا أصوليا أي حكما شرعيا فغير مستقيم لأنه لا يخصه كما ذكر في قصة ابن الزبعري في الأصول فانظره، وقوله في العذاب ناظر للتخصيص وما بعده للتأقيت فهو لف ونشر، ويجوز التعميم فيهما. قوله: (جاءته المساءة) إشارة إلى أن النائب عن الفاعل ضمير المصدر والغم تفسير للمساءة وبسببهم إشارة إلى أن الباء سببية، وقوله مخافة الخ بيان لوجه غمه وسببه، وقوله وأن صلة أي زائدة وفائدتها تأكيد الفعلين أي شرط لما وجوابها، واتصالهما بالجر معطوف على تأكيد والاتصال مدلول لما أي هي مزيدة لتأكيد الكلام التي زيدت فيه فتؤكد الفعلين، واتصالهما المستفاد من لما فسقط ما اعترض به في المغني من أن الزائد إنما يفيد التأكيد كما فصلناه في نكت المغني. قوله: (بشأنهم الخ) إشارة إلى أن فيه مضافا مقدرا، وقوله ذرعه إشارة إلى أن التمييز محول عن الفاعل، وقوله قصير الذراع إشارة إلى أن الضيق مجاز في القصر وأن ضيقه وسعته كناية عن القدرة وعدمها كما صرح به الزمخشري في سورة هود وقيل إن الذرع مجاز مفرد للطاقة، وقيل إن ضاق ذرعه استعارة تمثيلية ولكل وجه، وقوله و بإزائه أي مقابله فهو ضده. قوله تعالى: (﴿وقالوا﴾) معطوف على سيء أو على مقدر أي قالوا إنا رسل ربك كما صرح به في هود وقوله: ﴿لا تخف ولا تحزن﴾ ما وقع في الفروق من الفرق بين الحزن والخوف بأن الحزن للواقع والخوف للمتوقع على فرض صحته أكثري، وعليه فالتمكن

لم يقع فلذا قيل على تعليلية أو المراد على ظن تمكنهم منا ولا حاجة إليه لما مر، وما قيل من أن الحزن والخوف اندفع بإعلامهم أنهم رسل الله ليس بشيء لأنه لا دليل على تقدم الإخبار عن النهي، والواو لا تقتضي ترتيبا مع أنه يجوز أن يكون لتأنيسه وتأكيد ما أخبروه به ونحوه. قوله: (وموضع الكاف جر) بالإضافة ولذا حذفت النون، وقيل إن محلها نصب وحذف النون لشدة اتصال الضمير به، ولا مانع من أن يكون لها محلان جر ونصب والفعل المقدر ننجي والأصل منجون أهلك وقوله كانت من الغابرين مستأنفة وقد تقدم الكلام فيه وفي الاستثناء مفصلا. قوله: (عذابا) هذا معناه بحسب عرف اللغة وأصل معناه الاضطراب فسمي به أي أطلق عليه لما ذكر، وقوله بسبب فسقهم إشارة إلى أن الباء سببية وما مصدرية والمراد فسقهم المعهود المستمر لأن ما المصدرية موصولة فتفيد العهد في الجملة وكان لا سيما إذا دخلت على المضارع تفيد الاستمرار وهذا من الإضافة التقديرية والآية بمعنى العلامة

وضمير منها للقرية أو للفعلة، وأنهارها معروفة إلى الآن، ولا ينافيه كونها خربت وقوله يستعملون إشارة إلى أنه منزل منزله اللازم والمراد بالتعلق ما يعم النحوقي والمعنوفي والا ظهر تعلقه ببينة، وقوله والى مدين متعلق بارسلنا مقدرا وهو يؤيد عمله أو تقديره فيما مر. قوله: (وافعلوا ما ترجون به ثوابه) ضمير به عائد لما وضمير ثوابه لليوم وهو إشارة إلى تقدير مضاف أو إلى المراد منه بقرينة الرجاء على معناه المتبادر منه أو هو من إطلاق الزمان على ما فيه وما قيل من أن الأمر برجائه أمر بسببه اقتضاء بلا تجوز فيه بعلاقه السببية كما أشار إليه المصنف لا يخالف كلام أهل العربية كيف وأهل الأصول ذكرو. في النصوص القرآنية لأنه إما تقدير لقرينة عقلية كما في أعتق عبدك عني أو دلالة التزامية، ولا تكلف في الوجهين كما توهم وكون الرجاء بمعنى الخوف مما أثبته أهل اللغة كما هو مشهور، ومفسدين حال مؤكدة لأن العثو الفساد وترجف بمعنى رجفت. قوله: (في بلدهم (لأن الدار تطلق على البلد، ولذا قيل للمدينة دار الهجرة أو المراد مساكنهم وأقيم فيه الواحد مقام الجمع لا من اللبس لأنهم لا يكونون في دار واحدة، وباركين

بالباء الموحدة من البروك وهو الجثو على الركب والمراد ميتين مجازا. قوله: (منصوبان بإضمار اذكر) أي". (١)

١٩٧. ١٩٧-"للصالحات فكانت عاقبتهم النعيم المقيم في مقام كريم، وهؤلاء غفلوا عن ذلك فرتعوا في دنياهم كالبهائم حتى ساقهم الخذلان إلى مقرهم من درك النيران فتقابله واقع في أحسن موقع، وفيه مقابلة أدق مما قيل إنه من الاحتباك فذكر الأعمال الصالحة، ودخول الجنة أو **لا دليل على** حذف الأعمال الفاسدة، ودخول النار ثانيا والتمتع والمثوى ثانيا دليل على حذف التمتع، والمثوى أولا. قوله: (حريصين الخ) هو وجه الشبه، وقوله: مثوى لهم كقوله: ﴿إن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [سورة التربة، الآية: ٤٩] وقوله: على حذف المضاف هو أهل بقرينة قوله: أهلكناهم أو هو على المجاز بذكر المحل، وارادة الحال، وقوله: دهاجراء أحكامه الخ بالجر عطف على حذف المضاف يعني إنه حكم على القرية بأنها أشد قوة، وأنها مخرجة له، وهو وصف لأهلها، وهذا الحكم بحسب الظاهر، وإن كان في الواقع على المضاف المحذوف، ومنه يعلم وجه كونه مجازا بالنقص لكن الفرق بينه، وبين المجاز العقلي دقيق جدا قوله: (والإخراج الخ) يعني أنه مجاز عقلي كقوله: أقدمني البلد حق لي عليك والخلاف فيه

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٩٩/٧

معروف فعند المتقدمين لا فاعل له حقيقي، وعند صاحب التلخيص الفاعل هو الله، وليس هذا الخلاف مبنيا على خلق أفعال العباد كما حقق في حواشي الحفيد على شرح التلخيص فمن توهمه فقد وهم، والتسبب لأن أهل مكة لم يخرجوه، ولكن أحبوه، وهموا به فكانوا بذلك سببا لإخراجه حين أذن الله له في الهجرة عنها. قوله: (وهو كالحال المحكية (لأن المتفرع على الإهلاك عدم النصرة في الماضية لا في الحال، والاستقبال كما هو المتبادر من اسم الفاعل فمقتضى الظاهر أن يقال فلم يكن لهم نصر فعدل عنه كما في قوله:

﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [سورة يس، الآية: ٩] لتصوير الماضي بصورة الحال، وقال كالحال لأن اسم الفاعل ليس كالفعل إذ هو قد يقصد به الثبوت، وإذا لم يعمل قيل إنه حقيقة في الماضي كما حقق في الأصول الفرعية. قوله تعالى: (﴿أفمن كان﴾ الخ) الاستفهام لإنكار استوائهما، وقوله: على بينة أي ثابت قائم عليها، وقوله: حجة تفسير بينة، وقوله: وهو القرآن تفسير للحجة وذكره لرعاية الخبر، وقوله: كالنبي الخ تفسير لمن، ولم يخصه بالنبي كما في الكشاف لأنه لا داعي له وقوله: كالشرك بيان لسوء العمل لأنه بمعنى العمل السيئ وقوله: في ذلك الإشارة لسوء العمل، وقوله: لا شبهة لهم بيان لاتباع الهوى فيه، ولمقابلته لما قبله من الثبات على الحجة، والبينة. قوله: (أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة) تفسير للمثل كما مر واشارة إلى أن مثل الجنة مبتدأ له خبر مقدر مقدم، وهو مختار سيبويه كما فصلناه في أول سورة المائدة، والنور ولذا قابله بقوله: وقيل الخ، وترجيح الأول لما مر فتذكره، وقوله: وتقدير الكلام الخ هذا، وإن كان تقديرا قبل الحاجة إليه حتى قيل إن الثاني أرجح منه، ولذا اقتصر عليه الزمخشري إلا أنه يرجحه أنه لما أنكر التسوية بين من وضح برهان ما ادعاه، ومن قال بحسب ما اشتهى هواه كان مقتضاه أن ينكر استواء سكان الجنان، وأهل النيران، ولذا قدمه المصنف ولم يعبأ بما ذكره هذا القائل. قوله: (أو أمثل الجنة الخ الما كان جعل الجنة مثلا لأهل النار غير ظاهر أشار إلى أنه إما على تقدير في الأول أو الثاني ليكونا على نمط واحد، وعلى كليهما فمثل مقدر في الثاني إما مع مضاف آخر أو لا، وأشار بقوله: أمثل إلى أن قوله مثل الجنة، وإن كان في صورة الإثبات هو في معنى الإنكار، والنفي لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الإنكار، وانسحاب حكمه عليه، وهو قوله: أفمن كان الخ وليس في اللفظ قرينة على هذا، وإنما هو من السياق، وأن فيه جزالة المعنى. قوله: (فعري الخ (جواب سؤال مقدر تقديره إذا كان المعنى على ما ذكر فلم ترك ذكر الهمزة فيه، وهو نادر بأنه ترك لإبرازه في صورة التسليم، ومثله يدل على الإنكار

بأبلغ وجه، وقوله: يجري مثله صفة استغناء وهو مضارع معلوم أو مجهول أو هو مصدر مجرور ومعناه أنه ترك فيه حرف الإنكار الذي هو نفي معنى، وأتى به مثبتا والمقصود نفيه أيضا، وهذا أعني قوله: يجري مثله مماثل لقوله: أفمن كان على بينة الخ فما اعتبر فيه يعتبر في هذا، وهو المصحح للتعرية، والمرجح ما أشار إليه بقوله: تصويرا الخ يعني أن التعرية عن حرف الإنكار لأجل أن تصور مكابرة من سوى بين

المتمسك بالبينة، والتابع للهوى بصورة مكابرة من سوى بين الجنة، والنار فحذف حرف الإنكار وجعل الأول كالثاني يحقق هذا التصوير بخلاف ما لو ذكر حرف الإنكار، وقيل: أمثل الخ فإنه". (١)

١٩٨. ١٩٨-"خبر مبتدأ محذوف، وقوله: إلى تكذيبهم أي كفار قريش، وقوله: نصبه بأتى على أن يكون صفة لمصدره وذلك بمعنى الإتيان، وقوله: أو ما يفسره وهو أتى آخر مقدو على شريطة التفسير لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملا في ذلك الباب كما صرح به النحاة ففاعل يفسر ضمير أتى ومفعوله ضمير ما، وقيل الضمير البارز لذلك والمراد بما فسره قالوأ، والإشارة على هذا للقول، والمعنى إلا قالوا ساحر أو مجنون قولا مثل ذلك القول ولا يخفى أنه مع تعسفه ليس مرادا للمصنف رحمه الله. قوله: (كان الأولين والآخرين الخ) فالاستفهام للتعجيب من تواردهم على ذلك لا للإنكار سواء كان بمعنى لم وقع أو لم يقع لأنه لا وجه له بوجهيه فلا وجه لتجويزه هنا، وقوله: لتباعد أيامهم متعلق بإضراب، وقوله: ولا تا ع التذكير فالأمر للدوام عليه لئلا يكون تحصيلا للحاصل، وقوله: من قدر الله إيمانه وأما المؤمن بالفعل فهو متذكر فالمؤمن بمعنى المشارف والمستعد للإيمان، وقوله: أو من آمن فهو على حقيقته، والمراد بالانتفاع زيادته، وزيادة التبصر به. قوله: (لما خلقهم الخ (لا يخفى أنه إن قيل بأن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض أو قيل به بناء على بناء على أنها يترتب عليها حكم ومصالح أرادها الله منها لا على الاستكمال بها يحتاج هذا للتأويل أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني فلأنها لا تترتب على الخلق بالنسبة إلى الجميع، وحاصله كما قرره بعض فضلاء عصرنا أن الآية بظاهرها دالة على أن العبادة هي الغاية المطلوبة من الخلق الباعثة عليه، وهو مخالف لما تدل عليه الأدلة العقلية من عدم كون أفعاله معللة بالأغراض، وكون جميع المقدورات من الإيمان، والكفر والخير والشر، والطاعة والعصيان، وغيرها واقعة بقدرته، وارادته، وكان ذلك أيضا منافيا لظاهر قوله: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٤٣/٨

من الجن والإنس﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٧٩] الدال على إرادة المعاصي ليستحقوا بها العذاب، وعذاب جهنم، وهذا أيضا مبني على أن غاية فعل الفاعل المختار مرادة له أيضا فلذا أولها المصنف بما سنبينه

لك إن شاء الله تعالى. قوله: (على صورة متوجهة إلى العبالة الخ) المراد بالصورة الصفة، والحالة كما يقال صورة المسألة كذا، ومعنى كونها متوجهة، ومقبلة لها كما في بعض النسخ أنها مقتضية لذلك مقبلة بوجوه الاستعداد عليها، والمعنى أنه ركب فيهم عقولا وخلق لهم حواس ظاهرة، وباطنة لو خليت، ونفسها عرفت صانعها وانقادت له كما في الحديث. قوله: (كل مولود يولد على الفطرة) فشبه اقتضاء حالهم لما ذكر بجعلها غاية له واستعمل فيه ما وضع له، وهو اللام بطريق الاستعارة التبعية. قوله: (مغلبة لها) كذا في بعض النسخ وفي بعضها مقبلة لها، ومر تفسيره، وأما على هذه، وهي بزنة الفاعل من التغليب فالمعنى أن تلك الصفة تغلب العبادة على غيرها مما ركب فيهم من صفات النفس الأمارة كالغضب، والشهوة كما قيل. قوله: (جعل خلقهم منيي بها مبالنة في ذلك) يعني أنه مع أنه ليس غاية جعل غاية لما مر فهو استعارة لتشبيه المعد له الشيء بالغاية قيل، وهو شائع في الظروف كما يقال للقوي جسمه هو مخلوق للمصارعة، وفي الكشف أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية، وهو ما وضع له اللام، والإرادة له ليس من مقتضى لام الغاية إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه فهي على حقيقتها، ولا تحتاج إلى تأويل فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليها وجعلت تلك غاية كمالية لخلقهم، وتعوض بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية وهذا معنى مكشوف اهـ، ولا يخفى ما فيه وأن كون الغاية لا يلزم أن تكون مرادة للفاعل المختار خلاف ما يشهد له العقل فإن الغرض ما يقصد من الفعل فتأمل. قوله: (مع أن الدليل يمنمه أليس المراد بالدليل ما تقرر من أن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض كما قيل لأنه لا دليل على منعه فقد ذهب إليه كثير من المحدثين، والأدلة على خلافه كثيرة كما يدل عليه كثير من الآيات، والأحاديث، وإنما المراد أن الدليل قائم على أن الله تعالى لم يخلق الخلق لأجل العبادة أي لإرادة العبادة منهم إذ لو أواد العبادة منهم لم يتخلف ذلك وقد قام الدليل على التخلف بالمشاهدة، واستلزام الإرادة الإلهية للمراد، وقد قام الدليل عليه في الأصول. قوله: (لنا في ظاهر قوله الخ) إنما قال ظاهر قوله: لأنه يحتمل أن يكون لام لجهنم لام العاقبة فلا ينافي كونها ليست بعلة، وقوله: وقيل الخ هذا منقول عن ابن عباس وعلي رضي

الله عنهم فالمعنى إلا لآمرهم". (١)

١٩٩. ١٩٩-"أن يقال الأمر وقع بعد ابتداعها أو يؤول ابتدعوها بأنهم أول من فعلها بعد الأمر، وقوله: أتوا بها أولا تفسير لقوله: استحدثوها، وقوله: من تلقاء أنفسهم أي من جانب أنفسهم أو من ألقاء أنفسهم ذلك لهم. قوله: (فما رعوها جميعا) إما تأكيد للضمير أو لقوله حق رعايتها مقدما عليه فعلى الأول هو إشارة إلى أن منهم من رعاها، وعلى الثاني رعوا بعض حقوقها، وقوله: بضم التثليث متعلق بالنفي، والتثليث قولهم بأن الإله ثلاثة، والاتحاد قولهم: إن الله متحد بعيسى حال فيه، والسمعة الرياء وهو غالب عليهم، وقوله: نحوها أي المذكورات، واليها متعلق بضم، وقوله: من المتسمين أي الذين لهم سمة، وعلامة تدل على اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، وقوله: بالرسل المتقدمة فالمراد مؤمنو أهل الكتاب. قوله: الإيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم بمن قبله)

بيان لتحقق النصيبين لهؤلاء على أن المراد مطلق أهل الكتاب مع أن الملل الأولى منسوخة، والمنسوخ لأثواب في العمل به فإن كان الخطاب للنصارى فملتهم غير منسوخة قبل ظهور الملة المحمدية، ومعرفتهم بها فلا يحتاج إلى جواب عنه بما ذكر، وأنما لم يرتض به قيل لأنها نزلت فيمن أسلم من اليهود كما ورد في الأحاديث الصحيحة كعبد الذ بن سلام وأضرابه ولذا بنى تفسيره أولا عليه، ولأنه **لا دليل على** التخصيص هنا، والمراد من لم يؤمن منهم فلا يحتاج قوله: آمنوا إلى تأويل اثبتوا، ونحوه كما في الكشاف. قوله: (أو الهدى الخ) فالنور استعارة تصريحية، وقوله: يسلك به إشارة إلى وجه الشبه فيه، والجار في قوله: لئلا الخ متعلق بالأفعال الثلاثة قبله على التنازع أو يقدر كفعل، وأعلمهم ونحوه، ولا مزيدة فإنه يجوز زيادتها مع القرينة كثيرا، واختاره على عدم الزيادة لما فيه من التكلف الآتي، وقوله: ليعلموا جمعه لظهور أنه ضمير أهل الكتاب، وقد قيل إنه كان عليه أن يفرد الضمير أو يؤخره عن قوله: أهل الكتاب، ولكنه أمر سهل. قوله: (والمعنى أنه لا ينالون شيئا الخ) على أن المقدر ضمير الشأن، وفي نسخة أنهم على أن المحذوف ضميرهم، وهو الأولى كما ذكره في المغني، وقوله: مما ذكر من فضله يعني في النصيبين من الأجر وما معه، وقوله: برسوله يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم، وقوله: أو لا يقدرون الخ. على أن الفضل عام في كل فضل، وقوله: لأنهم لم يؤمنوا صريح فيما مر من أن المراد من لم يؤمن منهم، وقوله: وهو أي نيل ما ذكر، وقوله: على شيء ليس عاما حتى يكون فضلا في غير

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ٩٩/٨

محزه بل تنوينه للتحقير، وقوله تعالى: ﴿يؤتيه من يشاء﴾ خبر ثان أو هو الخبر، وما قبله حال لازمة أو استئناف. قوله: (والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب الخ) فضمير يقدرون والمقدر على أحد الوجهين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وفي الوجه السابق لأهل الكتاب وعدم قدرتهم عليه أنهم لا ينالونه كما في أحد الوجهين أولآ ونفى النفي المراد به إثبات علمهم بنيل الرسول والمؤمنين لفضل الله، ورحمته. قوله: (فيكون وأن الفضل عطفا الخ الا على أن لا يقدوون لفساد المعنى فالمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أن النبي، والمؤمنين به لا يقدرون على شيء من فضل الله، ولا ينالونه بل هم الذين يقدرون على حصر فضل الله، واحسانه على أقوام معينين أي فعلنا ما فعلنا لئلا يعتقدوا، ولأن الفضل بيد الله فهو

من عطف الغاية على الغاية، وهو دفع لما أورد على عدم الزيادة من أنه غير ممكن لأنه يقتضي أن يكون المعنى لئلا يعلموا أن الفضل بيد الله، وهو باطل. قوله: (وقرئ ليلا) أي بلام مكسورة بعدها ياء ساكنة، ثم لام مخففة وألف، وقوله. ثم أبدلت أي اللام الثانية المدغمة التي كانت نونا، ثم قلبت وأنما أبدلت لثقل توالي الأمثال كما فعلوا في قيراط، ودينار فإن أصله قراط ودنار فأبدل أحد المثلين فيه ياء للتخفيف، وهذا وإن لم يكن كلمة واحدة بوزن فعال فإن أهل الصرف شرطوا فيه أن يكون اسما جامدا بوزن فعال إلا أنهم شبهوه به، وقوله: وقرئ ليلا أي بفتح اللام مع الإبدال كما في اسم المرأة بعينه، وقوله: على أن الأصل الخ فأصل لام الجر الفتح كما سمع عن بعض العرب فتحها، وكذا كل حرف مفرد على قول النحاة لكنها كسرت لتناسب حركتها عملها، وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم الخ هو حديث موضوع، وقوله: كتب المراد رزقه الله الأمن من سوء الخاتمة، والا لم يكن ظاهرا تمت السورة بحمد الله، ومنه والصلاة والسلام على أفضل رسله الكرام، وعلى آله وصحبه الأئمة الأعلام.". (١)

٢٠٠. ٢٠٠-"والمراد بالذين من قبلهم بنوا إسرائيل وفى الحديث (ان الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوى لى منها) يقول ان الله تعالى جمع وضم جميع هذه الأرض ليلة المعراج او فى غير ذلك الوقت فرأيت جميع آفاق الأرض من المشارق والمغارب ثم وعد أمته بان الله تعالى يملأ الدنيا كلها عدلا وقسطا كما ملئت قبل ذلك جورا وظلما ويملك المؤمنين جميع

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي ١٦٣/٨

الأرض هذا على تقدير حمل اللام فى الأرض على الاستغراق وقيل اللام للعهد الخارجي كما إذا قيل اغلق الباب إذا كان مشاهدا ومن للتبيين **ولا دليل على** جمع جميع الأرض ولم يبلغ ملك أمته جميع اجزائها فأى موضع من الأرض وقع نظره عليه السلام عليه كان دار الإسلام وأي مكان كان محجوبا عنه كان دار الكفر والله اعلم بحقيقة الحال ومنه الكرم والنوال واليه الرجوع والمآل وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فاعل بمعنى فعل يقال جاوز وجاز بمعنى واحد وجاوز الوادي إذا قطعه وجاوز بغيره البحر عبربه فالباء هنا معدية كالهمزة والتشديد فكأنه قال وجزنا ببني إسرائيل البحر اى اجزناهم البحر وجوزناهم بالفارسية [وبگذرانيديم بنى إسرائيل را از دريا بسلامت] والمراد بحر القلزم واخطأ من قال انه نيل مصر قال فى القاموس القلزم كقنفذ بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور واليه يضاف بحر القلزم لانه على طرفه أو لأنه يبتلع من ركبه لان القلزمة الابتلاع- روى- انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء فصاموا شكرا لله تعالى فأتوا اى مروا على قوم كانوا من العمالقة الكنعانين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل كانوا من لخم وهو حى من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب فى الجاهلية وعن الزمخشري انه قبيلة بمصر يعكفون على أصنام لهم اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال فى تاج المصادر العكوف [كرد چيزى در آمدن ودر جايي مقيم شدن] يقال عكفه حبسه وعكف عليه اقبل عليه مواظبا قالوا عند ما شاهدوا أحوالهم يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها. والكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لآلها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا آلها كائنا كالذى استقر هو لهم فالعائد محذوف وكانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق حيث لم يذكر المفعول لبعد ما صدر عنهم عن العقل بعد ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى إن هؤلاء يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اسم مفعول من باب التفعيل يقال تبره تتبيرا اى كسره وأهلكه والمعنى مكسر ومهلك ما هم فيه اى من الدين الباطل. يعنى ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا اى فتاتا. قوله ما هم فيه مبتدأ ومتبر خبر له ويجوز ان يكون ما هم فيه فاعل متبر لاعتماده على المسند اليه وباطل اى مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض قال موسى أغير الله أغير المستحق للعبادة أبغيكم بحذف اللام

اى أبغي لكم اى اطلب لكم إلها تمييز من غير". (١)

٢٠١. ٢٠١-"تقدير شيء فى الأنفس مع الطمع فى إتمامه قال الأزهري كان التسويل تفعيل من سؤال الأشياء وهى الامنية التي يطلبها فيزين لطالبها الباطل وغيره أمرا من الأمور منكرا لا يوصف ولا يعرف فصنعتموه بيوسف استدل يعقوب على انهم فعلوا بيوسف ما أرادوا وانهم كاذبون بشيئين بما عرف من حسدهم الشديد وبسلامة القميص حيث لم يكن فيه خرق ولا اثر ناب فقوله بل سولت رد لقولهم أكله الذئب وبل للاعراض عما قبله واثبات ما بعده على سبيل التدارك نحو جاء زيد بل عمرو كما فى بحر العلوم فصبر جميل اى فامرى صبر جميل وهو الذي لا شكوى فيه الى الخلق والا فقد قال يعقوب نما أشكوا بثي وحزني إلى الله

: قال الكمال الخجندي

بوصل صحبت يوسف عزيز من مشتاب ... جمال يار نبيني مكر بصبر جميل

قال شيخنا الاجل الأكمل روح الله روحه اعلم ان الصبر إذا لم يكن فيه شكوى الى الخلق يكون جميلا وإذا كان فيه مع ذلك شكوى الى الخالق يكون أجمل لما فيه من رعاية حق العبودية ظاهرا حيث امسك عن الشكوى الى الخلق وباطنا حيث قصر الشكوى على الخالق والتفويض جميل والشكوى اليه أجمل انتهى: قال الشيخ عمر بن الفارض قدس سره فى تائيته

ويحسن اظهار التجلد للقوى ... ويقبح غير العجز عند الاحبة

اى لا يحسن اظهار التجلد والصبر على صدمات المحن مطلقا بل يحسن للاعادى كما اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفار فى غزواته ومناسكه. واما عند الاحبة فلا يحسن الا العجز لان اظهار التجلد عندهم قبيح جدا كما أظهره سمنون فى بعض مناجاته وقال

وليس لى فى سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرنى

فادب بتسليط عسر البول عليه فاعترف بعجزه وطاف فى سكك بغداد يستأجر الصبيان وبأمرهم ان ادعوا عمكم الكذاب فقير وخسته بدبخاهت آمدم رحمى وقال بعضهم الصبر الجميل تلقى البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر وقيل لا أعايشكم على كآبة الوجه بل أكون لكم كما كنت وذلك لان الموحد الحقيقي يطوى بساط الوسائط والأسباب فلا يرى التأثير الا

---

(١) روح البيان ٣/٢٢٥

من الله تعالى فى كل باب مع ان التغافل من اخلاق الكرام والعفو والصفح وقبول العذر من ديدن الأخيار

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... ان بر عندك فيما قال او فجرا

والله المستعان اى المطلوب منه العون وهو إنشاء الاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون من شأن يوسف وبيان كونه كذبا واظهار سلامته كأنه علم منهم الكذب قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون قال البيضاوي هذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح انتهى وذلك لانهم قالوا **لا دليل على** امتناع صدور الكبيرة من الأنبياء قبل الوحى وقوله ان صح يدل على الشك فى صحة استنبائهم وأصاب فى ذلك لان الأنبياء محفوظون قبل نبوتهم كما انهم معصومون بعدها من الأمور الموجبة للنفرة الغير اللائقة بشأنهم وليس هم يوسف كما سيأتى من قبيل ما صدر من اخوته من الحسد وضربه والقائه فى الجب بالفعل والكذب عمدا من غير تأويل. واما قوله تعالى ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب". (١)

٢٠٢. ٢٠٢-"وجد عين الحياة فشرب منها وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له فى اجله حتى يكذب الدجال وفيه اشارة الى ان لكل دجال فى كل عصر مكذبا ومبطلا لامره: قال الحافظ

كجاست صوفئ دجال فعل ملحد شكل ... بكو بسوز كه مهدئ دين پناه رسيد

واخرج عن ابن عساكر ان آدم لما حضره الموت اوصى بنيه ان يكون جسده الشريف معهم فى غار فكان جسده فى المغارة معهم فلما بعث الله نوحا ضم ذلك الجسد فى السفينة بوصية آدم فلما خرج منها قال لبنيه ان آدم دعا بطول العمر لمن يدفنه من أولاده الى يوم القيامة فذهب أولاده الى الغار ليدفنوه وكان فيهم الخضر فكان هو الذي تولى دفن آدم فانجز الله ما وعده فهو يحيي ما شاء الله له ان يحيي قال فى فتح القريب ومن اغرب ما قيل انه ابن آدم لصلبه وقيل انه من الملائكة وهذا باطل ومن اعجب ما قيل انه ابن فرعون صاحب موسى كما فى تواريخ مصر وقيل انه ابن خالة ذى القرنين كان فى سفره معه وشرب من ماء الحياة مد الله عمره الى الوقت المعلوم ولا بعد فانه كان من بنى آدم من يعيش ثلاثة آلاف سنة او اكثر وقيل انه ابن عاميل بن شماخين بن ارما بن علقما بن عيصو بن

---

(١) روح البيان ٤/٢٢٧

إسحاق النبي وكان عاميل ملكا والجمهور على انه نبي غير مرسل وعند الصوفية المحققين ولي غير نبي واختلفوا فى حياته والأكثر على انه موجود بين أظهرنا وهذا متفق عليه عند الصوفية لان حكاياتهم انهم رأوه فى المواضع الشريفة وكالموه اكثر من ان يحصى نقله الشيخ الأكبر فى الفتوحات المكية وابو طالب المكي فى كتبه والحكيم الترمذي فى نوادره وغير ذلك من المحققين من سادات الامة الذين لا يتصور اجتماعهم على الكذب والافتراء بمجرد الاخبار النقلية حاشاهم عن ذلك وقد ثبت وجوده فلا يكون عدمه الا بدليل **ولا دليل على** موته ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا نقل انه مات بأرض كذا فى وقت كذا فى زمن ملك من الملوك وفى تفسير البغوي اربعة من الأنبياء احياء الى يوم البعث اثنان فى الأرض وهما الخضر والياس اى والياس فى البر والخضر فى البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذى القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان فى السماء إدريس وعيسى عليهما السلام وفى كتاب التمهيد لابى عمر امام الحديث فى وقته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غسل وكفن سمعوا قائلا يقول السلام عليكم يا اهل البيت ان فى الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبته فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا اى الاصحاب واهل البيت يرونه انه الخضر وفى كتاب الهواتف ان على بن ابى طالب رضى الله عنه لقى الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثوابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله فى اثر كل صلاة وهو «يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يتبرم من إلحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك» قال الهروي ان الخضر قد جاء النبي عليه السلام مرارا واما قوله عليه السلام (لو كان حيا لزارنى) فلا يمنع وقوع الزيارة بعده قال فى فصل الخطاب ان الخضر قد صحب النبي عليه السلام وروى عنه أحاديث". (١)

٢٠٣. ٢٠٣-"ومجاهد، وعطاء، والسدي.

(٦٣٨) والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا قاله أنس بن مالك، وهو مخرج في «الصحيحين» .

والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس.

---

(١) روح البيان ٥/٢٦٨

وفي المشار إليه بقوله تعالى: إن كان هذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه القرآن. والثاني: كل ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر بالتوحيد وغيره. والثالث: أنه إكرام محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة من بين قريش.

[سورة الأنفال (٨) : آية ٣٣]

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٣)

قوله تعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم في المشار إليه قولان: أحدهما: أهل مكة.

وفي معنى الكلام قولان: أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. قال ابن عباس: لم تعذب قرية حتى يخرج نبيها والمؤمنون معه. والثاني: وما كان الله ليعذبهم وأنت حي قاله أبو سليمان.

والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به من قبلهم وأنت حي ذكره أبو سليمان الدمشقي.

فصل: قال الحسن، وعكرمة: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: وما لهم ألا يعذبهم الله، وفيه بعد، لأن النسخ لا يدخل على الأخبار.

(٦٣٩) وقال ابن أبزى: كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فأنزل الله عز وجل: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فخرج إلى المدينة، فأنزل الله: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وكان أولئك البقية من المسلمين بمكة يستغفرون! فلما خرجوا أنزل الله: وما لهم ألا يعذبهم الله. وجميع أقوال المفسرين تدل على أن قوله تعالى: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، كلام مبتدأ من إخبار الله عز وجل. وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إن الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله: وما لهم ألا يعذبهم الله.

قوله تعالى: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وفي معنى هذا الكلام خمسة أقوال «١» :

صحيح أخرجه البخاري ٤٦٤٩ ومسلم ٢٧٩٦ والواحدي ٤٧٩ والبغوي ٩٩٧ كلهم من حديث أنس.

ضعيف. أخرجه الطبري ١٦٠٠٤ مرسلا عن ابن أبزى وهذا مرسل، فهو ضعيف، والمتن غريب.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٦/ ٢٣٦: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب، قول من

قال: تأويله:

وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وبين أظهرهم تقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها، (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) من ذنوبهم وكفرهم، لكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: «ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إلي» يراد بذلك لا أحسن إليك، إذا أسأت إلي، ولو أسأت إلي لم أحسن إليك ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إلي.

وكذلك ذلك ثم قيل (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) بمعنى وما شأنهم، وما يمنعهم.

أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام!. وإنما قلنا: «هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب» لأن القوم- أعني «مشركي مكة» -كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا: اللهم إن كان ما جاء به محمد هو الحق، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) . فقال الله لنبيه «ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم، وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد إخراجك منهم، وهم يصدون عن المسجد الحرام؟ فأعلمه جل ثناؤه أن الذي استعجلوا من العذاب حائق بهم ونازل، وأعلمهم حال نزوله بهم، وذلك بعد إخراجه إياه من بين أظهرهم، ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر. الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون إلى أنه عني به المؤمنين، وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم، **ولا دليل على** أن الخبر عنهم قد تقضى وعلى ذلك كني به عنهم وأن لا خلاف في تأويله من أجله موجود اه.". [1]

٢٠٤. ٢٠٤-"الغريب: ابن عيسى" التثريب تعليق الضر بالإنسان من أجل جرم كان منه.

العجيب: ابن بحر: هو مأخوذ من الثرب، وهو لحم الجوف، وهو

بلوغ الأقصى من الأمر.

قال الشيخ: ومن الغريب: يحتمل أنه من الثرب، كما ذكر ابن بحر

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٢/٢٠٦

ويكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: فلان يتناول كبد زيد ويأكل كبده.

كناية عن التوبيخ واللوم والانتظار.

وقوله: (عليكم) لا يتعلق بالتثرب، لأن ذلك يستدعي تنوين

التثريب، وكذلك اليوم، ويجوز أن يكون "عليكم" الخبر واليوم متعلق بما في

عليكم من معنى الفعل، ويجوز أن تجعل اليوم خبرا و "عليكم" صفة للتثريب، ويجوز أن تضمر الخبر، أي لا تثريب عليكم موجود، ويجوز أن يكون اليوم متصلا بقوله: (يغفر الله لكم) ، فيكون الكلام كافيا على قوله: (لا تثريب عليكم) .

قوله: (اذهبوا بقميصي هذا) .

قيل: كان قميصه الذي يلبسه، وقيل: كان من الجنة، لا يمسه ذو

عاهة إلا صح، وذكر المفسرون: أنه القميص الذي ألبسه الله إبراهيم - عليه السلام - يوم طرح في النار، فكساه إسحاق، ثم كساه هو يعقوب، ثم جعله يعقوب في تعويذة وعلقه في جيد يوسف ولم يعلم إخوته بذلك (١) .

قوله: (يأت بصيرا) ليرجع إلى حالة الصحة والبصر.

قوله: (ريح يوسف) .

أي ريح قميص يوسف، فكان من الجنة (٢) ، فعلم أن ليس في الدنيا من

الجنة شيء إلا ذلك القميص، ولذلك قال: (إني لأجد ريح يوسف) ، ومن

حمله على القميص الملبوس، قال: لما نشروه فاحت منه ريح يوسف فبلغت

---

(١) **لا دليل على** شيء من ذلك.

(٢) هذا القول كسابقه، كما أن ملابس الجنة لها مواصفات خاصة لا تنطبق على ملابس الدنيا ولا على قميص سيدنا يوسف - عليه السلام - والله أعلم.". [١]

٢٠٥. ٢٠٥-"لبعض العرب، وأنكرها أبو حاتم وغيره. ومعنى الآية: النهي عن أن يقول الإنسان ما لا يعلم أو يعمل بما لا علم له به، وهذه قضية كلية، وقد جعلها جماعة من المفسرين خاصة بأمور

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٥٥١

فقيل: لا تذم أحدا بما ليس لك به علم وقيل: هي في شهادة الزور، وقيل: هي في القذف. وقال القتبي: معنى الآية: لا تتبع الحدس والظنون، وهذا صواب، فإن ما عدا ذلك هو العلم وقيل: المراد بالعلم هنا هو الاعتقاد الراجح المستفاد من مستند قطعيا كان أو ظنيا، قال أبو السعود في تفسيره: واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه. وأقول:

إن هذه الآية قد دلت على عدم جواز العمل بما ليس بعلم، ولكنها عامة مخصصة بالأدلة الواردة بجواز العمل بالظن، كالعمل بالعام، وبخبر الواحد، والعمل بالشهادة، والاجتهاد في القبلة، وفي جزاء الصيد، ونحو ذلك، فلا تخرج من عمومها ومن عموم إن الظن لا يغني من الحق شيئا إلا ما قام دليل جواز العمل به، فالعمل بالرأي في مسائل الشرع إن كان لعدم وجود الدليل في الكتاب والسنة، فقد رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه قاضيا: «بم تقضي؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي» وهو حديث صالح للاحتجاج به، كما أوضحنا ذلك في بحث مفرد. وأما التوثب على الرأي مع وجود الدليل في الكتاب أو السنة- ولكنه قصر صاحب الرأي عن البحث فجاء برأيه- فهو داخل تحت هذا النهي دخولا أوليا، لأنه محض رأي في شرع الله، وبالناس عنه غنى بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم تدع إليه حاجة، على أن الترخيص في الرأي عند عدم وجود الدليل إنما هو رخصة للمجتهد يجوز له أن يعمل به، ولم يدل دليل على أنه يجوز لغيره العمل به وينزله منزلة مسائل الشرع، وبهذا يتضح لك أتم اتضاح، ويظهر لك أكمل ظهور أن هذه الآراء المدونة في الكتب الفروعية ليست من الشرع في شيء، والعامل بها على شفا جرف هار، فالمجتهد المستكثر من الرأي قد قفا ما ليس له به علم، والمقلد المسكين العامل برأي ذلك المجتهد قد عمل بما ليس له به علم ولا لمن قلده ظلمات بعضها فوق بعض وقد قيل: إن هذه الآية خاصة بالعقائد، **ولا دليل على** ذلك أصلا. ثم علل سبحانه النهي عن العمل بما ليس بعلم بقوله: إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا إشارة إلى الأعضاء الثلاثة، وأجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها. وقال الزجاج: إن العرب تعبر عما يعقل وعما لا يعقل بأولئك، وأنشد ابن جرير مستدلا على جواز هذا قول الشاعر «١» :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

واعترض بأن الرواية بعد أولئك الأقوام، وتبعه غيره على هذا الخطأ كصاحب الكشاف. والضمير في

كان من قوله: كان عنه مسؤلا يرجع إلى كل، وكذا الضمير في عنه، وقيل: الضمير في كان يعود إلى القافي المدلول عليه بقوله: ولا تقف. وقوله: عنه في محل رفع لإسناد مسؤولا إليه، ورد بما حكاه النحاس من الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جارا أو مجرورا. قيل: والأولى

---

(١) . هو جرير.". (١)

٢٠٦. ٢٠٦-"لما ذكر سبحانه أنواع الدلائل نبه على كمال القرآن فقال: قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن الأنباري: سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء، ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداد، والمراد بالبحر هنا الجنس. والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته، وفرض أن جنس البحر مدادا لها لنفد البحر قبل نفود الكلمات، ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد أيضا، وقيل في بيان المعنى: لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي وقوله:

ولو جئنا بمثله مددا كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت قوله: قل لو كان وفيه زيادة مبالغة وتأكيد، والواو لعطف ما بعده على جملة مقدرة مدلول عليها بما قبلها، أي: لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته لو لم يجيء بمثله مدادا ولو جئنا بمثله مددا، والمدد الزيادة وقيل: عنى سبحانه بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى، وهو وإن كان واحدا فيجوز أن يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من الفوائد، وقد عبرت العرب عن الفرد بلفظ الجمع، قال الأعشى:

ووجه نقي اللون صاف يزينه ... مع الجيد لبات لها ومعاصم

فعبر باللبات عن اللبة. قال الجبائي: إن قوله: قبل أن تنفد كلمات ربي يدل على أن كلماته قد تنفد في الجملة، وما ثبت عدمه امتنع قدمه. وأجيب بأن المراد الألفاظ الدالة على متعلقات تلك الصفة الأزلية وقيل في الجواب: إن نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر لا يدل على نفاد الشيء الآخر، ولا على عدم نفاده، فلا يستفاد من الآية إلا كثرة كلمات الله بحيث لا تضبطها عقول البشر أما أنها متناهية، أو غير متناهية فلا دليل على ذلك في الآية. والحق أن كلمات الله تابعة لمعلوماته، وهي غير متناهية، فالكلمات غير متناهية.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٢٧٠/٣

وقرأ مجاهد وابن محيصن وحميد ولو جئنا بمثله مدادا وهي كذلك في مصحف أبي، وقرأ الباقون مددا وقرأ حمزة والكسائي قبل أن ينفد بالتحتية، وقرأ الباقون بالفوقية، ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك مسلك التواضع، فقال: قل إنما أنا بشر مثلكم أي: إن حالي مقصور على البشرية لا يتخطاها إلى الملكية، ومن كان هكذا فهو لا يدعي الإحاطة بكلمات الله إلا أنه امتاز عنهم بالوحي إليه من الله سبحانه فقال: يوحى إلي وكفى بهذا الوصف فارقا بينه وبين سائر أنواع البشر، ثم بين أن الذي أوحي إليه هو قوله: أنما إلهكم إله واحد لا شريك له في ألوهيته، وفي هذا إرشاد إلى التوحيد، ثم أمرهم بالعمل الصالح والتوحيد فقال: فمن كان يرجوا لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل، والمعنى، من كان له هذا الرجاء الذي هو شأن المؤمنين فليعمل عملا صالحا وهو ما دل الشرع على أنه عمل خير يثاب عليه فاعله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا من خلقه سواء كان صالحا، أو طالحا، حيوانا أو جمادا، قال الماوردي: قال جميع أهل التأويل في تفسير هذه الآية: إن المعنى لا يرائي بعمله أحدا. وأقول:

إن دخول الشرك الجلي الذي كان يفعله المشركون تحت هذه الآية هو المقدم على دخول الشرك الخفي الذي هو الرياء، ولا مانع من دخول هذا الخفي تحتها، إنما المانع من كونه هو المراد بهذه الآية.". (١)

٢٠٧. ٢٠٧-"لأنه حال من شيء المذكور بعده، ومن في «من شيء» مزيدة للتوكيد، وأضاف الشركاء إليهم لأنهم كانوا يسمونهم آلهة، ويجعلون لهم نصيبا من أموالهم ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس بين سبحانه أن الشرك والمعاصي سبب لظهور الفساد في العالم.

واختلف في معنى ظهور الفساد المذكور، فقيل: هو القحط، وعدم النبات، ونقصان الرزق، وكثرة الخوف، ونحو ذلك. وقال مجاهد وعكرمة: فساد البر: قتل ابن آدم أخاه، يعني: قتل قابيل لهابيل، وفي البحر: الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا.

وليت شعري أي دليل دلهما على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب؟ فإن الآية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم، والتعريف في الفساد: يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حيزي البر، والبحر، وقال السدي: الفساد:

الشرك، وهو أعظم الفساد. ويمكن أن يقال: إن الشرك وإن كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي،

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣٧٥/٣

ولكن لا دليل على أنه المراد بخصوصه. وقيل: الفساد كساد الأسعار، وقلة المعاش، وقيل: الفساد قطع السبل، والظلم، وقيل: غير ذلك مما هو تخصيص لا دليل عليه. والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعا إلى أفعال بني آدم من معاصيهم، واقترافهم السيئات وتقاطعهم، وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعا إلى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب ذنوبهم، كالقحط، وكثرة الخوف، والموتان، ونقصان الزرائع، ونقصان الثمار. والبر والبحر: هما المعروفان المشهوران، وقيل البر: الفيافي، والبحر: القرى التي على ماء قاله عكرمة، والعرب تسمي الأمصار: البحار. قال مجاهد: البر: ما كان من المدن والقرى على غير نهر، والبحر: ما كان على شط نهر، والأول: أولى. ويكون معنى البر: مدن البر، ومعنى البحر:

مدن البحر، وما يتصل بالمدن من مزارعها ومراعيها، والباء في بما كسبت: للسببية، وما: إما موصولة أو مصدرية ليذيقهم بعض الذي عملوا اللام متعلقة بظهر، وهي لام العلة، أي: ليذيقهم عقاب بعض عملهم، أو جزاء بعض عملهم لعلهم يرجعون عما هم فيه من المعاصي، ويتوبون إلى الله قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لما بين سبحانه ظهور الفساد بما كسبت أيدي المشركين، والعصاة بين لهم ضلال أمثالهم من أهل الزمن الأول، وأمرهم بأن يسيروا لينظروا آثارهم، ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم، فإن منازلهم خاوية، وأراضيهم مقفرة موحشة، كعاد وثمود، ونحوهم من طوائف الكفار، وجملة كان أكثرهم مشركين مستأنفة لبيان الحالة التي كانوا عليها، وإيضاح السبب الذي صارت عاقبتهم به إلى ما صارت إليه فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته وأسوته فيه، كأن المعنى: إذا قد ظهر الفساد بالسبب المتقدم فأقم وجهك يا محمد إلخ.

قال الزجاج: اجعل جهتك اتباع الدين القيم، وهو الإسلام المستقيم «من قبل أن يأتي يوم» يعني: يوم القيامة «لا مرد له» لا يقدر أحد على رده، والمرد: مصدر رد، وقيل المعنى: أوضح الحق، وبالغ في الأعذار، و «من الله» يتعلق بيأتي، أو بمحذوف يدل عليه المصدر، أي: لا يرده من الله أحد، وقيل: يجوز أن يكون المعنى: لا يرده الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه، وفيه من الضعف وسوء الأدب مع الله ما لا يخفى يومئذ". (١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٤/٢٦٣

٢٠٨. ٢٠٨-"سورة ق

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكية إلا آية، وهي قوله: ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وهي أول المفصل على الصحيح، وقيل: من الحجرات. وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة ق بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله. وقد أخرج مسلم وغيره عن قطبة بن مالك قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر في الركعة الأولى ق والقرآن المجيد» وأخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن أبي واقد الليثي قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد بقاف واقتربت» . وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود وابن ماجه والبيهقي عن أم هشام ابنة حارثة قالت: ما أخذت ق والقرآن المجيد إلا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس. وهو في صحيح مسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة ق (٥٠) : الآيات ١ الى ١٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (٢) أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ (٤)

بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥) أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد (٩)

والنخل باسقات لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١) كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣) وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد (١٤)

أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد (١٥)

قوله: ق والقرآن المجيد الكلام في إعراب هذا كالكلام الذي قدمنا في قوله: ص والقرآن ذي الذكر. وفي قوله: حم والكتاب المبين واختلف في ق، فقال الواقدي: قال المفسرون:

هو اسم جبل يحيط بالدنيا من زبرجد والسماء مقبية عليه، وهو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس

من ورائه بمسيرة سنة «١» . قال الفراء: كان يجب على هذا أن يظهر الإعراب في ق لأنه اسم، وليس بهجاء. قال:

(١) . قال أبو حيان: (ق) حرف هجاء، وقد اختلف المفسرون في مدلوله على أحد عشر قولا متعارضة، **لا دليل على** صحة شيء منها.". (١)

٢٠٩. ٢٠٩-"جرير للآخر منها مع طول باعه في علم الرواية والدراية. قال الفراء: سمعت رجلا يقول: التين: جبال حلوان إلى همدان، والزيتون: جبال الشام. هب أنك سمعت هذا الرجل، فكان ماذا؟ فليس بمثل هذا تثبيت اللغة، ولا هو نقل عن الشارع. وقال محمد بن كعب: التين: مسجد أصحاب الكهف، والزيتون: مسجد إيلياء، وقيل: إنه على حذف مضاف، أي: ومنابت التين والزيتون. قال النحاس: **لا دليل على** هذا من ظاهر التنزيل، ولا من قول من لا يجوز خلافه. وطور سينين هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى اسمه الطور، ومعنى سينين: المبارك الحسن بلغة الحبشة، قاله قتادة. وقال مجاهد: هو المبارك بالسريانية. وقال مجاهد والكلبي: سينين: كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط. قال الأخفش: طور: جبل، وسينين: شجر، واحدته سينينية. قال أبو علي الفارسي: سينين فعليل، فكررت اللام التي هي نون فيه، ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء لأنه جعل اسما للبقعة، وإنما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشام، وهي الأرض المقدسة كما في قوله: إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله «١» وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه. قرأ الجمهور: سينين بكسر السين، وقرأ ابن إسحاق وعمرو بن ميمون وأبو رجاء بفتحها، وهي لغة بكر وتميم. وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة سيناء بالكسر والمد. وهذا البلد الأمين يعني مكة، سماه أمينا لأنه آمن كما قال: أنا جعلنا حرما آمنا «٢» يقال أمن الرجل أمانة فهو أمين. قال الفراء وغيره: الأمين بمعنى الآمن، ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لأنه مأمون الغوائل لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم هذا جواب القسم، أي: خلقنا جنس الإنسان كائنا في أحسن تقويم وتعديل. قال الواحدي: قال المفسرون: إن الله خلق كل ذي روح مكبا على وجهه إلا الإنسان، خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده، ومعنى التقويم: التعديل، يقال: قومته فاستقام.

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/٨٣

قال القرطبي: هو اعتداله واستواء شأنه، كذا قال عامة المفسرين. قال ابن العربي: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما، وهذه صفات الرب سبحانه، وعليها جعل بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني على صفاته التي تقدم ذكرها. قلت: وينبغي أن يضم إلى كلامه هذا قوله سبحانه: ليس كمثله شيء «٣» وقوله: ولا يحيطون به علما «٤» ومن أراد أن يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الإنسان من بديع الخلق وعجيب الصنع فلينظر في كتاب «العبر والاعتبار» للجاحظ، وفي الكتاب الذي عقده النيسابوري على قوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون «٥» وهو في مجلدين ضخمين. ثم رددناه أسفل سافلين أي: رددناه إلى أرذل العمر، وهو الهرم والضعف بعد الشباب والقوة حتى يصير كالصبي فيخرف وينقص عقله، كذا قال جماعة من المفسرين. قال الواحدي: والسافلون: هم الضعفاء والزمناء والأطفال، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعا.

---

(١) . الإسراء: ١.

(٢) . العنكبوت: ٦٧.

(٣) . الشورى: ١١.

(٤) . طه: ١١٠.

(٥) . الذاريات: ٢١.". (١)

٢١٠. ٢١٠-"هذه الواو زائدة تقديره: أوحينا إليه، كقوله تعالى: ﴿فلما أسلما وتله للجبين - وناديناه﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٤] أي: ناديناه، ﴿لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون﴾ [يوسف: ١٥] أي: أوحينا إلى يوسف عليه السلام: لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون، بوحي الله وإعلامه إياه ذلك، قال مجاهد، وقيل: معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم أنك يوسف، وذلك حين دخلوا عليه فعرفهم وهم منكرون، والأكثرون على أن الله تعالى أوحى إليه بهذا، وبعث إليه جبريل عليه السلام يؤنسه، ويبشره بالخروج، ويخبره أنه ينبئهم بما فعلوه ويجازيهم عليه وهم لا يشعرون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم إنهم ذبحوا أسخلة، وجعلوا دمها على قميص

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥/٥٦٧

يوسف علية السلام.

[قوله تعالى وجاءوا أباهم عشاء يبكون. . . .]

[١٦] ﴿وجاءوا أباهم عشاء يبكون﴾ [يوسف: ١٦] قال أهل المعاني: جاؤوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب، وروي أن يعقوب عليه السلام سمع صياحهم وعويلهم فخرج وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا قال: فما أصابكم وأين يوسف؟؟

[١٧] ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ [يوسف: ١٧] أي: نترامى وننتضل، قال السدي: نشتد على أقدامنا. ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ [يوسف: ١٧] أي: عند ثيابنا وأقمشتنا. ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف: ١٧] بمصدق لنا ﴿ولو كنا﴾ [يوسف: ١٧] وإن كنا ﴿صادقين﴾ [هود: ١٣] فإن قيل: كيف قالوا ليعقوب أنت لا تصدق الصادق؟ قيل معناه إنك تتهمنا في هذا الأمر؛ لأنك خفتنا عليه في الابتداء، واتهمتنا في حقه، وقيل: معناه لا تصدقنا؛ لأنه **لا دليل على** صدقنا وإن كنا صادقين عند الله.

[١٨] ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ [يوسف: ١٨] أي: بدم كذب؛ لأنه لم يكن دم يوسف، وقيل: بدم مكذوب فيه، فوضع المصدر موضع الاسم، وفي القصة: أنهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه، فقال يعقوب عليه السلام: كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم، ﴿قال بل سولت﴾ [يوسف: ١٨] زينت، ﴿لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل﴾ [يوسف: ١٨] معناه: فأمري صبر جميل، أو فعلي صبر جميل، وقيل: فصبر جميل أختاره، والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جرع. ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ [يوسف: ١٨] أي: أستعين بالله على الصبر، على ما تكذبون.

[١٩] ﴿وجاءت سيارة﴾ [يوسف: ١٩] وهم القوم المسافرون سموا سيارة؛ لأنهم يسيرون في الأرض كانت رفقة من مدين تريد مصر، فأخطأوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب، وكان الجب في قفر بعيد من العمران للرعاة والمارة، وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقي يوسف عليه السلام فيه، فلما نزلوا أرسلوا رجلا من أهل مدين يقال له مالك بن ذعر، لطلب الماء، فذلك قوله عز وجل. ﴿فأرسلوا واردهم﴾ [يوسف: ١٩] والوارد: الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيهيئ الأرشية والدلاء ﴿فأدلى دلوه﴾ [يوسف: ١٩] أي: أرسلها في البئر، يقال: أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر، ودلوتها إذا أخرجتها، فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون ﴿قال يا بشرى﴾ [يوسف: ١٩] قرأ الأكثرون هكذا بالألف وفتح الياء، والوجه: أن بشراي مضافة إلى ياء المتكلم وهو منادى مضاف فموضعه

نصب، وقرأ الكوفيون: (يا بشرى) بغير ياء الإضافة على فعل، وأمال الراء حمزة والكسائي وفتحها عاصم وقيل: بشر المستقي أصحابه يقول. أبشروا، ﴿هذا غلام وأسروه﴾ [يوسف: ١٩] أي أخفوه، ﴿بضاعة﴾ [يوسف: ١٩] قال مجاهد: أسره مالك بن ذعر وأصحابه من التجار الذين معهم، وقالوا هذا بضاعة استبضعها بعض أهل الماء إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه المشاركة، وقيل: أراد أن إخوة يوسف أسروا شأن يوسف، وقالوا هذا عبد لنا أبق منا، قال الله تعالى: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ [يوسف: ١٩]". (١)

٢١١. ٢١١-"الأولين

(٣٦) وقد كذبوا فإنهم سمعوا بذلك على أيام يوسف عليه السلام. وقال لهم موسى - وقرأ ابن كثير بغير واو-: ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار، أي ربي عالم بمن جاء بالرسالة من عنده، وبمن تكون له العاقبة المحمودة في الدنيا وهي أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان، وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فالدنيا خلقت مزرعة للآخرة ومجازا إليها. والمقصود بالذات هو الثواب للمطيعين العابدين فيكون الثواب هو العاقبة الأصلية ولا اعتداد بعاقبة السوء، لأنها من نتائج أعمال الفجار ويكون العقاب إنما قصد بالتبعية، إنه لا يفلح الظالمون (٣٧) أي يظفر المشركون بالنجاة والمنافع كما قال القائل من بحر الطويل:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

وقال فرعون، بعد ما جمع السحرة لمعارضة موسى فكان من أمرهم ما كان: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين أي بعد اتخاذه لبنا ولم يقل فرعون. اطبخ لي الآجر لأنه أول من عمل الآجر فهو يعلم صنعته لهامان. فاجعل لي منه صرحا أي قصرا عاليا لعلي أطلع إلى إله موسى أي أنظر إليه وإني لأظنه أي موسى عليه السلام من الكاذبين (٣٨) في ادعاء وجود إله غيري فليس في السماء من إله.

واعلم أن عادة فرعون متى ظهرت حجة موسى يدفعها بشبهة يروجها على أغمار قومه، وهي قوله: **لا دليل على** وجود إله غيري، فلا أثبته بل أظن موسى كاذبا في دعواه، وذلك نفى إله غير نفسه.

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٤/٤٤٥

وقوله: ولا تكليف على الناس إلا أن يطيعوا ملكهم وينقادوا لأمره، فهذا هو ادعاؤه الإلهية لا ادعاؤه كونه خالقا للسماء والأرض، ومن مكر فرعون ودهائه أنه لما دل سيدنا موسى عليه السلام فرعون بقوله: رب السموات والأرض أو هم فرعون ببناء أغمار قومه أن موسى قال:
إن إلهه في السماء وأمر فرعون وزيره ببناء الصرح. قيل: لما أمر فرعون ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء، وأمر بطبخ الآجر والجص، ونجر الخشب، وسبك المسامير، فبنوا الصرح ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه راكبا على البراذين، فأمر بنشابة، فضرب نحو السماء، فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال: قد قتلت إله موسى فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه، فقطعه ثلاث قطع: قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منه ألف رجل، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب. ولم يبق أحد من عماله إلا وقد هلك واستكبر هو وجنوده في الأرض أي أرض مصر بغير الحق أي ملتبسين بغير استحقاق، وظنوا أي فرعون وجموعه القبط أنهم إلينا أي إلى حكمنا لا يرجعون (٣٩) بالنشور.". (١)

٢١٢. ٢١٢-"أرضها واعتدال ريها ﴿سبع سنابل﴾ بأن تشعب منها سبع شعب في كل شعبة سنبلة وهو من السنبل. قال الحرالي: وهو مجتمع الحب في أكمامه، كأنه آية استحقاق اجتماع أهل ذلك الرزق في تعاونهم في أمرهم، وتعريف بأن الحب يجمعه لا بوحدته ﴿في كل سنبلة مائة حبة﴾ فصارت الحبة سبعمائة حبة بمضاعفة الله لها. قال الحرالي: فضرب المثل للإنفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام بالحرث الذي هو كيميا عباده يشهدون من تثميره حيث تصير الحبة أصلا ويثمر الأصل سنابل ويكون في كل سنبلة أعداد من الحب، فكان ما ذكر تعالى هو أول الإنفاق في سبيل الله وذكر السبع لما فيه من التمام وما يقبله من التكثير، فإن ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أنبأ عنه بالسبع، لأن العرب تكثر به ما هو أقل منه أو أكثر، فجعل أدنى النفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف، ثم فتح تعالى باب التضعيف إلى ما لا يصل إليه عد - انتهى.
فالآية من الاحتباك وتقديرها: مثل الذين ينفقون ونفقتهم كمثل حبة وزارعها، فذكر المنفق **أولا دليل**

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ١٩٧/٢

على حذف الزارع ثانيا، وذكر الحبة ثانيا دليل على حذف النفقة أولا.". (١)

٢١٣. ٢١٣-"ذكر القتل أولا دليل على السلامة ثانيا، وذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا؛ وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا خلافا لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب ﴿أجرا عظيما *﴾ أي في الدارين على اجتهاده في إعزاز دين الله سبحانه وتعالى، واقتصاره على هذين القسمين حث على الثبات ولو كان العدو أكثر من الضعف ﴿فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٩] ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء﴾ [آل عمران: ١٣] والله مع الصابرين.

ولما كان التقدير: فما لكم لا تقاتلون في سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد، وكانوا يقولون: إنا لا نعطي الميراث إلا لمن يحمي الذمار، ويذب عن الجار، ويمنع الحوزة؛ قال عاطفا على هذا المقدر ملهبا لهم ومهيجا، ومبكتا للقاعدين وموبخا: ﴿وما﴾ أي وأي شيء ﴿لكم﴾ من دنيا آو آخره حال كونكم ﴿لا تقاتلون﴾ أي تجددون القتال في كل وقت، لا تملونه ﴿في سبيل الله﴾ أي بسبب تسهيل طريق الملك الذي له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص ﴿والمستضعفين﴾ أي المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجودا، ويجوز - وهو أقعد - أي يكون منصوبا". (٢)

٢١٤. ٢١٤-"أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح، وفي رواية: إن نزولها كان ليلا، وإن الأرض كانت ترتج لنزولها. وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة والقدرية وأهل الملل الزائغة، وعليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب الملحدين، وإنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة، وأن تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح، ولنزولها ليلا دليل على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا، وعلى أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، أولو الألباب أهل الخلوات، والأرواح الغالبة على الأبدان وهم قليل. ﴿بسم الله﴾ الذي بين دلائل توحيده بأنه الجامع لصفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذي أفاض

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/٧٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥/٣٢٧

على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد والإعدام ما حير لعمومه الأفهام، فضاقت به الأوهام ﴿الرحيم *﴾ الذي حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم، بالإعلام بأنه الحي القيوم السلام.

﴿الحمد﴾ أي الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿لله﴾ .

لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله في ذلك". (١)

٢١٥. ٢١٥-"﴿من تكون له﴾ كونا كأنه جبل عليه ﴿عاقبة الدار﴾ أي بيني وبينكم، وهذا في إثبات الفاء بخلاف ما في قصة شعيب عليه السلام من سورة هود عليه السلام في حذفها؛ ولما كان التقدير جوابا لما تقرر من سؤالهم: عاقبة الدار للعامل العدل، استأنف قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون *﴾ أي الغريقون في الظلم كائنين من كانوا، فلا يكون لهم عاقبة الدار، فالآية من الاحتباك: ذكر العاقبة **أولا دليل على** حذفها ثانيا، وذكر الظلم ثانيا دليل على حذف العدل أولا.". (٢)

٢١٦. ٢١٦-"﴿بعظم﴾ مثل شحم الألية فإن ذلك لا يحرم، وهذا السياق بتقدم الجار وبناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم.

ولما كان كأنه قيل: لم حرم عليهم هذه الطيبات؟ قيل: ﴿ذلك﴾ أي التحريم العظيم والجزاء الكبير وهو تحريم الطيبات ﴿جزيناهم﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ببغيهم﴾ أي في أمورهم التي تجاوزوا فيها الحدود، وفي إيلاء هذه الآية - التي فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة وغيرها أمران جليلان: أحدهما بيان اطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل ما أوحي إلي من تقدمه ولما يشامم أحدا من أتباعهم ولا دارس عالما ولا درس علما قط، **فلا دليل على** صدقه على الله أعظم من ذلك، والثاني تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم، وأزال عنها في تلك الحالة ضرها ولم يفعل بها كما فعل باليهود في أنه حرم عليهم طائفة من الطيبات ولم يحلها لهم في حال من الأحوال عقوبة لهم، وفي ذلك أتم تحذير لهذه الأمة من أن يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه في قوله ﴿غير محلي الصيد وأنتم حرم﴾ [المائدة: ١] فبان الصدق وحصحص الحق ولم يبق لمتعنت كلام، فحسن جدا ختم ذلك بقوله ﴿وإنا لصادقون

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢/٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٧٨/٧

*﴾ أي ثابت صدقنا أزلا وأبدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة، وتعقيبه بقوله: ﴿فإن﴾ أي وتسبب عن هذا الإيحاء الجامع الوجيز". (١)

٢١٧. ٢١٧-"أي الكافرة ﴿آمنت﴾ ويسر الأمر ببعض زمان القبل، ولم يكلف باستغراقه بالإيمان فقال: ﴿من قبل﴾ أي قبل مجيء الآية في زمن متصل بمجيئها.
ولما ذكر الكافرة، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على «آمنت» : ﴿أو﴾ لم تكن المؤمنة العاصية ﴿كسبت﴾ أي من قبل ﴿في إيمانها﴾ أي السابق على مجيء الآية ﴿خيرا﴾ أي توبة، وبعبارة أخرى: نفسا كافرة إيمانها المجدد بعد مجيء الآية، وهو معنى ﴿لم تكن آمنت من قبل﴾ أو نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجيء الآية ما لم تكن كسبت في إيمانها السابق على الآية خيرا، والحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر ولا توبة فاسق - كما قاله البغوي - لأن المقصود من التصديق والتوبة الإيمان بالغيب وقد فات بالآية الملجئة، فيكون فاعل الفعل المقدر في «كسبت» محذوفا، والتقدير: لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل، أو لم تكن كسبت في إيمانها خيرا إيمانها وكسبها، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن، والكسب راجع إلى من لم يكسب، وهو ظاهر، والتهديد بعدم نفع الإيمان عند مجيء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير، والآية من الاحتباك: ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية، وذكر جملتي آمنت وكسبت ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة أولا.
ولما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه". (٢)

٢١٨. ٢١٨-"ومساترة في مماكرة: ﴿ومن يشاقق الله﴾ أي الذي له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ويشاقه سرا أو جهرا ﴿ورسوله﴾ بأن يكون في شق غير الشق الذي يرضيانه ﴿فإن الله﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿شديد العقاب*﴾ أي له هذه الصفة، فليتوقع مشاققه عذابه، فالآية من الاحتباك: ذكر الفعل المدغم أولا دليل على حذف المظهر ثانيا، والمظهر ثانيا على حذف المدغم أولا.
ولما ختم الآية ببيان السبب الموجب لإهانة الذين كفروا وبما له من الوصف العظيم، أتبعه ما يقول لهم

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٠٩/٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٣٣/٧

لبيان الحال عند ذلك بقوله التفاتا إليهم لمزيد التبكيت والتوبيخ.". (١)

٢١٩. ٢١٩-"ولما كان المراد بالمرض الفساد المعنوي المؤدي إلى خبث العقيدة، عبر عنه بالرجس فقال: ﴿فزادتهم رجسا﴾ أي اضطرابا موجبا للشك، وزاد الأمر بيانا بأن المراد المجاز بقوله: ﴿إلى رجسهم﴾ أي شكهم الذي كان في غيرها ﴿وماتوا﴾ أي واستمر بهم ذلك لتمكنه عندهم إلى أن ماتوا ﴿وهم كافرون*﴾ أي عريقون في الكفر، وسمي الشك في الدين مرضا لأنه فساد في الروح يحتاج إلى علاج كفساد البدن في الاحتياج، ومرض القلب أعضل، وعلاجه أعسر وأشكل، ودواءه أعز وأطباؤه أقل. ولما زاد الكفار بالسورة رجسا من أجل كفرهم بها، كانت كأنها هي التي زادتهم، وحسن وصفها بذلك كما حسن: كفى بالسلامة داء، وكما قال الشاعر:

أرى بصري قد رابني بعد نصحه ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

قاله الرماني، فالمؤمنون يخبرون عن زيادة إيمانهم وهؤلاء يخبرون عن عدمه في وجدانهم، فهذا موجب شكهم وتماديهم في غيهم وإفكهم، ولو أنهم رجعوا إلى حاكم العقل لأزال شكهم وعرفهم صدق المؤمنين بالفرق بين حالتيهم، فإن ظهور الثمرات مزيل للشبهات، والآية من الاحتباك: إثبات الإيمان أولا دليل على حذف ضده ثانيا، وإثبات المرض ثانيا دليل على حذف الصحة أولا.". (٢)

٢٢٠. ٢٢٠-"بين الإسرائين كما بان الفصل بين الكتابين، فذكر الإسراء أولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا، وذكر إيتاء الكتاب ثانيا دليل على حذف مثله أولا، فالآية من الاحتباك؛ ثم نبه على أن المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله تعالى: ﴿ألا﴾ أي لئلا ﴿تتخذوا﴾ بالياء التحتية في قراءة أبي عمرو، وبالفوقانية في قراءة الباقين، فنبه بصيغة الافتعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته من الدلائل، وله إلى خلقه من المزايا والفضائل - لا يعدل عنه إلى غيره إلا بتكلف عظيم من النفس، ومنازعة بين الهوى والعقل وما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد إليه والإقبال عليه، ونفر من له همة علية ونفس أبية من الشرك بقوله منبها بالجار على تكاثر الرتب دون رتبة عظمته سبحانه وعد الاستغراق لها، تاركا نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٣٩/٨

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٢/٩

بوجه: ﴿من دوني﴾ وقال تعالى: ﴿وكيلا *﴾ أي ربا يكلون أمورهم إليه ويعتمدون عليه من صنم ولا غيره، لتقريب إليه بشفاعة ولا غيرها - منبها بذكر الوكالة على سفه آرائهم في". (١)

٢٢١. ٢٢١-"الدالة على تفردنا وفعلنا بالاختيار ﴿الليل﴾ أي مظلما ﴿ليسكنوا فيه﴾ عن الانتشار ﴿والنهار مبصرا﴾ أي بإبصار من يلابسه، لينتشروا فيه في معايشهم بعد أن كانوا ماتوا الموتة الصغرى، وكم من شخص منهم بات سويا لا قلبة به فمات، ولو شئنا لجعلنا الكل كذلك لم يقم منهم أحد، وعدل عن ﴿ليبصروا فيه﴾ تنبيها على كمال كونه سببا للإبصار، وعلى أنه ليس المقصود كالسكون، بل وسيلة المقصود الذي هو جلب المنافع، فالآية من الاحتباك: ذكر السكون **أولا دليل على** الانتشار ثانيا، وذكر الإبصار ثانيا دليل على الإظلام أولا، ثم عظم هذه الآية حثا على تأمل ما فيها من القدرة الهادية إلى سواء السبيل فقال: ﴿إن في ذلك﴾ أي الحشر والنشر الأصغرين مع آيتي الليل والنهار ﴿لآيات﴾ أي متعددة، بينة على التوحيد والبعث الآخر والنبوة، لأن من قلب الملوين لمنافع الناس الدنيوية، أرسل الرسل لمنافعهم في الدراين.

ولما كان من مباني السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين، خصهم بالآيات لاختصاصهم بالانتفاع بها وأن كان الكل مشتركين في كونها دلالة لهم، فقال: ﴿لقوم يؤمنون*﴾ أي قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم كل يوم في علو وارتفاع.". (٢)

٢٢٢. ٢٢٢-"يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٥] فإنه ليس فيها ذكر الهبوط والله أعلم. وكل من هذه الوجوه أقعد مما قاله البيضاوي في سورته سأل، وأقرب للفهم العرف، فإن كان ظاهر حاله أنه جعل الثمانية عشر ألفا من أعلى سرادقات العرش إلى أعلى سرادقاته من الجانب الآخر **ولا دليل على** هذا ولا عرف يساعد في صعود الخدم إلى أعلى السرادق، وهو الأعلى منه، والعلم عند الله تعالى، وروى إسحاق بن راهويه عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين سماء الدنيا إلى الأرض خمسمائة سنة، وما بين كل سماء إلى التي تليها خمسمائة سنة إلى السماء السابعة، والأرض مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك»

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٠١/١١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٢/١٤

واعلم أن القول بأن الأراضي سبع هو الظاهر لظاهر قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾

[الطلاق: ١٢] ويعضده ما رواه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ظلم قدر شبر من الأرض طوقه الله من". (١)

٢٢٣. ٢٢٣-"مقرب للآخرة، فالمعنى أن ذكرهم لها خالص عن سواه لا يشاركه فيه شيء ولا يشوبه شوب أصلا.

ولما دلت هذه الجملة على هذا المدح البليغ، عطف عليه ما يلازم الإخلاص فقال مؤكدا لمثل ما تقدم من التنبيه على أنهم ممن يغتبط بمدحهم، وردا على من ربما ظن خلاف ذلك بكثرة مصائبهم في الدنيا: ﴿وإنهم عندنا﴾ أي على ما لنا من العظمة والخبرة ﴿لمن المصطفين﴾ المبالغ في تصفيتهم مبالغة كأنها بعلاج ﴿الأخيار *﴾ الذين كل واحد منهم بخير بليغ في الخير، وإصابتنا إياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه من طمس قلبه، والآية من الاحتباك: ذكر ﴿أخلصناهم﴾ **أولا دليل على** ﴿اصطفيناهم﴾ ثانيا، و ﴿المصطفين﴾ دليلا على ﴿المخلصين﴾ أولا، وسر ذلك أن الإخلاص يلزم منه الاصطفاء، لا سيما إذا أسنده إليه بخلاف العكس بدليل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه﴾ [فاطر: ٣٢] .

ولما أتم الأمر بذكر الخليل وابنه عليهما السلام الذي لم يخرج من كنفه قط ونافلته المبشر به للتأسي بهم في صبرهم الدين وإن خالفهم من خالفهم، أتبعه ولده الذي أمر بالتجرد عنه مرة بالإسكان عند البيت الحرام ليصير أصلا برأسه في أشرف البقاع، ومرة بالأمر بذبحه في تلك المشاعر الكرام، فصار ما أضيف إليه من الأحوال". (٢)

٢٢٤. ٢٢٤-"ويسره وسهولته لأمته فقال: ﴿إليك﴾ أي خاصة بواسطة الملك، لا يقدر أحد من الخلق أن يدعي مشاركتك في شيء من ذلك، فتكون دعواه موجبة لنوع من اللبس، وأظهر موضع الإضمار تفخيما بالتنبيه على ما فيه من جمع الأصول والفروع واللطائف والمعارف ﴿الكتاب﴾ أي

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٣٨/١٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٩٨/١٦

الجامع لكل خير مع البيان القاطع والحكم الجازم بالماضي والآتي، والكائن، متلبسا ﴿بالحق﴾ وهو مطابقة الواقع لجميع أخباره، فالواقع تابع لأخباره، لا يرى له خبر إلا طابقه مطابقة لاخفاء بشيء منها، لا حلية له ولا لباس إلا الحق، **فلا دليل على** كونه من عنده من ذلك، فليتبعوا خبره، ولينظروا عينه وأثره.

ولما ثبت بهذا أنه خصه سبحانه بشيء عجز عنه كل أحد، ثبت أنه سبحانه الإله وحده، فتسبب عن ذلك قوله لفتا للقول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه بلحظ جميع صفات الكمال لأجل العبادة تعظيما لقدرها لأنها المقصود بالذات: ﴿فاعبد الله﴾ أي الحائز لجميع صفات الكمال حال كونك ﴿مخلصا﴾ والإخلاص هو القصد إلى الله بالنية بلا علة ﴿له﴾ أي وحده ﴿الدين *﴾ بمعانقة الأمر على غاية الخضوع لأنه خصك بهذا الأمر العظيم فهو أهل منك لذلك وخسأ عنك الأعداء، فلا أحد منهم يقدر على الوصول إليك بما يوهن شيئا من أمرك فأخلص لتكون رأس المخلصين الذين تقدم آخر سورة ص أنه لا سبيل للشيطان". (١)

٢٢٥. ٢٢٥-"كثرة، ولا تطيق العقول مخالفة جمع بهذه الصفة إلا بتأييد إلهي بقاطع نقلي، والآية على قراءة أبي جعفر من الاحتباك: فعل التقول **أولا دليل على** فعل الكذب ثانيا، ومصدر الكذب ثانيا دليل على مصدر التقول أولا، وسره أن التقول دال على التعمد فهو أفحش معنى والكذب أفحش لفظا، وهذا مرشد إلى أنه لا ينبغي التقليد في شيء لأن الثقة بكل أحد عجز، وإنما ينكشف ذلك بالتجربة، والتقليد قد يجر إلى الكفر المهلك هلاكا أبديا، وإليه أرشد النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن النعمان ابن بشير رضي الله عنه بأن «من اتقى الشبهات استبرأ لديه وعرضه» وفي ذلك غاية الحث على أن الإنسان لا يقدم ولا يحجم في أصول الدين إلا بقاطع.

ولما علم من قولهم أن مستند الضلال ظنون وشبه متى حكت على محك النظر بان فسادها، وأظهر زيفها نقادها، أتبعه شبهة أخرى زادت الفريقين ضلالا بعضهم ببعض للتقيد بالمحسوسات، والوقوف مع الخيالات الموهومات، فقال حاكيا عنهم تنبيها على عدم الاغترار بالمدح والإطراء الموجبين للغلط

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٤٤٠

في النفس وعلى أنه يجب التثبت". (١)

٢٢٦. ٢٢٦-"فيها ﴿حسبتهم﴾ من بياضهم وصفاء ألوانهم ولمع أنوارهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض وانبثاثهم في المجالس ذهابا وإيابا ﴿لؤلؤا منثورا *﴾ وذلك كناية عن كثرتهم وانتشارهم في الخدمة وشرفهم وحسنهم؛ وعن بعضهم أن لؤلؤ الجنة في غاية الكبر والعظمة واختلاف الأشكال، وكأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق تجويز لا مع ترجيح، قال بعض المفسرين: هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين. وقال بعضهم: هم أطفال المشركين لأنهم ماتوا على الفطرة، وقال ابن برجان: وأرى والله أعلم أنهم من علم الله سبحانه وتعالى إيمانه من أولاد الكفار يكونون خدما لأهل الجنة كما كانوا لهم في الدنيا سبيا وخداما، وأما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سنا وملكا سرورا لهم، ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم في ابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام «إن له لظئرا يتم رضاعه في الجنة» فإنه يدل على استقبال شأنه فيما هنالك وتنقله في الأحوال كالدنيا، **ولا دليل على** خصوصيته بذلك.

ولما ذكر المخدوم والخدم شرع في ذكر المكان فقال: ﴿وإذا رأيت﴾ أي أجلت بصرك، وحذف مفعوله ليشيع ويعم ﴿ثم﴾ أي هناك في أي مكان كان وأي شيء كان ﴿رأيت نعيما﴾ أي ليس فيه كدر بوجه من الوجوه، ولما كان النعيم قد يكون في حالة وسطى قال:". (٢)

٢٢٧. ٢٢٧-"﴿الغفار﴾

(٤٢) - فأنتم تدعونني إلى الكفر بالله والإشراك به من دونه، بغير برهان **ولا دليل على** صحة ما تدعونني إليه، وأنا أدعوكم إلى عبادة الله وحده خالق كل شيء، وقاهر كل شيء، وهو الغفار لذنوب عباده إذا استغفروه وأنابوا إليه.". (٣)

٢٢٨. ٢٢٨-"اللبث: الاقامة. العادين: الحفظة الحاسبين لأعمال البشر. فإنما حسابه عند ربه: جزاؤه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤٧١/٢٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٤٨/٢١

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد ص/٤٠٥٤

﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العآدين﴾

الله تعالى يعلم كل شيء لكنه يسألهم هنا للتقريع: كما كانات إقامتكم في الدنيا؟ فيقولون لبثنا يوما او بعض يومن فاسأل الحفظة العارفين لأعمال العباد.

﴿قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون﴾

إنكم لم تقيموا في الدنيا الا رمقا قليلا بالقياس الى ما أنتم مقبلون عليه لو كنتم تحسنون التقدير.

ثم يعود فيعنفهم على تكذيبهم بالآخرة فيقول:

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾

أظننتم أننا خلقناكم بغير حكمة، وظننتم انكم لا تبعثون لمجازاتكم!؟

ثم تنتهي السورة بتقرير القاعدة الأولى للإيمان، وهي التوحيد، وإعلان الخسارة الكبرى للمشركين، في مقابل الفوز والفلاح للؤمنين كما افتتحت السورة بذلك. ثم بالتوج الى الله في طلب الرحمة والغفران وهو أرحم الراحمين:

﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾

العظمة لله وحده، هو مالك الملك كله، لا معبود بحق سواه، وهو رب العرش الكريم.

وبعد ان ذكر انه الملك الحق، أتبعه ببيان ان من ادعى ان في الكون إلها سواه فقد ادعى باطلا لا دليل عليه فقال:

﴿ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾

افتتحت السورة بفلاح المؤمنين، وختمت بخيبة الكافرين. . . ومن يعبد مع الله آلها آخر لا دليل على صحة الوهيته، يعاقبه الله على شركه، وان الكافرين لا يفلحون. وهنا يتناسق مطلع السورة مع ختامها، نسأل الله تعالى حسن الختام.

﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ &gt؛

وقل أيها النبي بالختام داعيا الله ضارعا اليه: يا رب اغفر لي ذنبي وارحمني وارحم عبادك. فأنت خير الراحمين.". (١)

---

(١) تيسير التفسير للقطان ٤٨٧/٢

## ٢٢٩.	٢٢٩-"حكم الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم

Q هل يفدي الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم إذا أفطر؟

A إن جئت إلى الأدلة: قال الله تعالى: ﴿أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة:١٨٤] من هم الذين يطيقونه؟ أهل العلم لهم فيها قولان: الجمهور قالوا: الذين يطيقونه.

أي: يتحملون صومه، فالآية معناها: وعلى الذين يتحملون الصوم ويستطيعون الصوم إذا أرادوا أن يفطروا أفطروا وأطعموا عن كل يوم مسكينا ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة:١٨٤] قالوا: على هذا التأويل جاءت الآية لكنها نسخت بقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة:١٨٥] .

ابن عباس قال: الآية ليست منسوخة، إنما المعنى ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ [البقرة:١٨٤] أي: يتحملون صومه وهو شاق عليهم، فإذا أرادوا أن يفطروا فإنهم يطعمون عن كل يوم مسكينا، لكن هذا تأويل مخالف لتأويل الجمهور، ثم يعرض عليه أيضا أن الشيخ الكبير لا يستطيع صومه أصلا لا بمشقة ولا بغير مشقة.

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيها شيء فيما علمت في أمر الشيخ الكبير أصلا، فالآثار عن الصحابة فيها أثر عن أنس بن مالك (أنه لما كبر كان يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينا) وهذا الوارد الصريح في الباب، لكن قال بعض أهل العلم: إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) فكيف تلزمون الشخص بشيء في ماله إن لم يلزمه به الله ورسوله، فالرجل مخاطب بالصوم، ولكنه ما استطاع الصوم، والله تعالى يقول: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ [البقرة:٢٨٦] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم) وهذا لم يستطع الصوم ولا القضاء في عدة من أيام أخر، والآية ليست صريحة، إنما الجمهور قالوا فيها ما تقدم إذا كان فعل الصحابي أنس بن مالك فإن شئت أن تختر فعله لنفسك فاختر فعله لنفسك، لكن لا تلزم به غيرك من المسلمين.

هذا الحاصل في هذا الباب، فإن أراد الشخص أن يفعل بفعل أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ويفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا إذا كان شيخا كبيرا فعل، وإلا فلا فليس هناك دليل صريح ملزم أصلا.

ويلحق بهذا: المريض مرضا مزمنا فهو لا يستطيع الصوم ولا القضاء مطلقا، فهذا لا نستطيع أن نلزمه بشيء، قال الله: ﴿فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة:١٨٤] قال المريض: أنا أصبر إلى أن تأتي أيام أخر، ولكن مرضي لا يرجى برؤه مطلقا، فلا دليل على إلزامه بالإطعام فيما علمت لا من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.". (١)

٢٣٠. ٢٣٠-"تفسير قوله تعالى: (لا أقسم بهذا البلد)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد: فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم في سورة البلد: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ [البلد:١] وهذا قد يرد عليه إشكال! فقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين﴾ [التين:١-٣] ، فأقسم الله سبحانه وتعالى بالبلد.

والآية التي نحن بصددها: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ نافية للقسم بهذا البلد، وابتداء: البلد هي مكة، وقد نقل فريق من أهل العلم الإجماع على أن المراد بالبلد مكة، ثم نرجع فنقول: كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ ، وبين قوله تعالى: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [التين:٣] ؟ للعلماء في ذلك أقوال: هذه الأقوال تنصب على تفسير: (لا) في قوله تعالى: (لا أقسم) ، فمن العلماء من يقول: إن (لا) نافية لشيء قد تقدم، فالمعنى: أن المشركين كانوا ينكرون البعث، ويقولون: لا بعث، فقال الله لهم: (لا) فهناك بعث، ثم أكد هذا بقوله سبحانه: أقسم على ذلك بهذا البلد، هذا التأويل مبني على الربط بين السور بعضها، وبين المعاني ببعضها، فهذا القول الأول، حاصله: أن (لا) نافية لشيء متقدم، ثم ابتدئ الكلام بقوله: أقسم على هذا المنفي بهذا البلد.

ووجه الاعتراض على هذا القول الأول: أن الأصل أن كل سورة مستقلة بنفسها، ولا دليل على أن نربط بين السورة والأخرى إلا إذا جاء في ذلك شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

القول الثاني: أن (لا) زائدة، ومثال ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله﴾ [الحديد:٢٩] ، فقوله سبحانه: (لئلا يعلم) المراد به: ليعلم، وقوله

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي ١٩/٨

تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك﴾ [الأعراف:١٢] ، فالمعنى: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك، و (لا) زائدة على قول بعض العلماء.

والشاهد من شعر العرب قول الشاعر: تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع ف (لا) أيضا هنا زائدة.

واعترض على هذا: بأنه ليس في القرآن حرف زائد، وأجيب عن هذا الاعتراض: بأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولغة العرب فيها أشياء زائدة كي يتكامل بها المعنى ويتسق.

القول الثالث: أن (لا) نافية، لكن ليس لشيء متقدم، إنما هو للشيء الآتي، فالمعنى: ﴿لا أقسم بهذا البلد * وأنت حل بهذا البلد﴾ [البلد:١-٢] يعني: لا أقسم بهذا البلد أثناء وجودك، وقد أحللت لك هذه البلدة كما سيأتي بيانه، يعني: لا أقسم بهذا البلد أثناء وجودك فيه في الوقت الذي أحللت لك هذه البلدة تفعل فيها ما تشاء.

إذا: هي ثلاثة أقوال للجمع بين قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [التين:٣] : أحدها: أن (لا) نافية لشيء متقدم.

الثاني: أن (لا) زائدة.

الثالث: أن (لا) نافية باعتبار ما هو آت، يعني: لا أقسم بهذا البلد حينما أحللت لك هذه البلدة.

فقوله تعالى على فرض أن (لا) زائدة (أقسم بهذا البلد) ، فيه أن الله أقسم بالبلد، وبعض العلماء يورد هنا، وما كان في مثل هذا المقام تقديرا محذوفا، فيقول مثلا: قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١] ، فيريد أن يفر من القسم بغير الله، وقال: إن الله لا يقسم إلا بنفسه، فقال: إن قوله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١] ، (وهذا البلد) فيها تقدير محذوف (لا أقسم بهذا البلد) أي: أقسم برب هذا البلد، ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١] أي: ورب الشمس وضحاها، وهذا القول قول ضعيف؛ لأنه إذا قلنا: إن المقدر ورب الشمس وما ضحاها، ورب القمر إذا تلاها، ورب النهار إذا جلاها، سنأتي إلى قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ [الشمس:٥] سنقع في إشكال، فكيف نقول: ورب السماء ورب ما بناها؟! فالذي بناها هو الله، فهذا وجه تضعيف هذا القول.". (١)

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي ٢/٩٣

٢٣١. "(٣٠٧٤٥) – عن عكرمة مولى ابن عباس=

(٣٠٧٤٦) – والحسن البصري – من طريق يزيد النحوي – في قوله: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)، قالا: نسختها الآية التي تليها: (وما لهم ألا يعذبهم الله)؛ فقوتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والحصر أخرجه ابن جرير (١١) / (١٥٧)، وابن أبي حاتم (٥) / (١٦٩٣) – .

(٣٠٧٤٧) – عن إسماعيل السدي، مثله عزاه السيوطي إلى أبي الشيخ – .

(٣٠٧٤٨) – عن زيد بن أسلم – من طريق القاسم بن عبد الله بن عمر بن حفص – ، مثل ذلك أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع – تفسير القرآن (٣) / (٧٤) ((١٦٢)) – وعلقه ابن أبي حاتم (٥) / (١٦٩٣) – أفادت الآثار اختلاف المفسرين في معنى قوله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) على أقوال: الأول: خطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو مقيم بمكة بقوله: وما كان الله ليعذب مشركي أهل مكة وأنت مقيم بين أظهرهم، وما كان الله معذبهم وقد بقي فيهم من المسلمين قوم يستغفرون – ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذب الكفار – الثاني: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم، وما كان الله معذبهم وهم يقولون: يا رب غفرانك – وقوله: (وما لهم ألا يعذبهم الله) في الآخرة – الثالث: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أن لو استغفروا – الرابع: وما كان الله معذبهم وهم يسلمون، فالاستغفار في هذا الموضع الإسلام – الخامس: وما كان الله معذب من قد سبق له من الله الدخول في الإسلام – السادس: وما كان الله معذبهم وهم يصلون – السابع: وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، ثم نسخ ذلك بقوله: (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) – ورجح ابن جرير ((١١) / (١٥٧)) مستندا إلى الدلالة العقلية القول الثالث، بأن المعنى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، أن لو استغفروا، ولكنهم لا يستغفرون – وهو قول قتادة، والسدي، وابن زيد – ثم انتقد ((١١) / (١٥٨)) مستندا إلى الدلالة العقلية القول الثاني قائلا: «ولا وجه لإيعادهم العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل، ولا شك أنهم في الآخرة إلى العذاب صائرون، بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك ما قلنا» – وانتقد مستندا إلى السياق القول الأول قائلا: «وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله: (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) إلى أنه عني به المؤمنون، وهو في سياق الخبر عنهم، وعما الله فاعل بهم، **ولا دليل على** أن الخبر عنهم قد تقضى، وعلى أن ذلك به عنوا، وألا خلاف في تأويله

من أهله موجود» - ووافقه ابن عطية ((٤) / (١٧٨))، فقال: «ويدفع في صدر هذا القول أن المؤمنين الذين رد الضمير عليهم لم يجر لهم ذكر» - ثم انتقد ابن جرير مستندا إلى الدلالة العقلية القول السابع قائلا: "وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال: ذلك منسوخ بقوله: (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) الآية؛ لأن قوله - جل ثناؤه - : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) خبر، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ، وإنما يكون النسخ للأمر أو النهي - ووافقه ابن عطية ((٤) / (١٨٠)) - وبين ((٤) / (١٧٨)) أن من قال بأن معنى (يستغفرون): يسلمون - ومن قال: يصلون - تتقارب أقوالهم مع قول قتادة - .

آثار متعلقة بالآية

." (١)

٢٣٢. "فإن غلبت هذا أيضا فاضربها، فإن غلبت هذا أيضا بعث حكم من أهله وحكم من أهلها، فإن غلبت هذا أيضا وأرادت غيره.=

(١٨٠١٣) - فإن أبي كان يقول: ليس بيد الحكمين من الفرقة شيء، إن رأيا الظلم من ناحية الزوج قالا: أنت يا فلان ظالم؛ انزع - فإن أبى رفعا ذلك إلى السلطان، وإن رآها ظالمة قال لها: أنت ظالمة؛ انزعي - فإن أبت رفعا ذلك إلى السلطان، ليس إلى الحكمين من الفراق شيء أخرجه ابن جرير (٦) / (٧٢٢) - اختلف في المأمور بإيفاد الحكمين في الآية، وفي المقدار الذي ينظر فيه الحكمان، على ثلاثة أقوال: أحدها: أن المأمور بذلك هو السلطان الذي يرفع إليه أمر الزوجين، فيشكل عليه أمرهما، فيبعث الحكمين لينظرا في كل شيء، ويحملان على الظالم، ويمضيان ما رأياه من بقاء أو فراق - والثاني: أن المأمور بذلك هو السلطان الذي يرفع إليه أمر الزوجين فيشكل عليه أمرهما، فيبعث الحكمين؛ لينظرا في الإصلاح، وليس لهما التفريق بين الزوجين - والثالث: أن الذي يبعث الحكمين هما الزوجان بتوكيل منهما للنظر بينهما، وليس للحكمين أن يعملا شيئا في أمر الزوجين إلا ما وكلاهما به - وذهب ابن جرير ((٦) / (٧٢٦)) استنادا إلى الإجماع، والعموم، والدلالة العقلية إلى أن الآية تحتمل القولين: الثاني، والثالث - وانتقد ((٦) / (٧٢٨)) من قال بصحة تفريق الحكمين بينهما إن رأيا ذلك، مستندا إلى دلالة القرآن على عدم جواز ذلك إلا برضا الزوج، وعدم جواز الحكم بأخذ

---

(١) موسوعة التفسير المأثور مجموعة من العلماء ٤٧/١٧

مال المرأة إلا برضاها، **ولا دليل على** خلاف ذلك من أصل أو قياس - وذهب ابن القيم ((١) / (٢٧٥)) إلى الأول - وانتقد غيره من الأقوال استنادا إلى ظاهر الآية، واللغة، والدلالة العقلية، فقال: «والعجب كل العجب ممن يقول: هما وكيلان لا حاكمان - والله تعالى قد نصبهما حكمين، وجعل نصبهما إلى غير الزوجين، ولو كانا وكيلين لقال: فليبعث وكيلا من أهله، ولتبعث وكيلا من أهلها - وأيضا فلو كانا وكيلين لم يختصا بأن يكونا من الأهل - وأيضا فإنه جعل الحكم إليهما، فقال: (إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)، والوكيلان لا إرادة لهما، إنما يتصرفان بإرادة موكليهما - وأيضا فالحكم من له ولاية الحكم والإلزام، وليس للوكيل شيء من ذلك - وأيضا فإن الحكم أبلغ من حاكم؛ لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل دالة على الثبوت، ولا خلاف بين أهل العربية في ذلك، فإذا كان اسم الحاكم لا يصدق على الوكيل المحض، فكيف بما هو أبلغ منه؟! وأيضا فإنه سبحانه خاطب بذلك غير الزوجين، وكيف يصح أن يوكل عن الرجل والمرأة غيرهما؟! وهذا يحوج إلى تقدير الآية هكذا: (وإن خفتم شقاق بينهما) فمروهما أن يوكلا وكيلين: وكيلا من أهله ووكيلا من أهلها، ومعلوم بعد لفظ الآية ومعناها عن هذا التقدير، وأنها لا تدل عليه بوجه، بل هي دالة على خلافه، وهذا بحمد الله واضح - وبعث عثمان بن عفان عبد الله بن عباس ومعاوية حكمين بين عقيل بن أبي طالب وامرأته فاطمة بنت عتبة بن ربيعة، فقيل لهما: إن رأيتما أن تفرقا فرقتما - وصح عن علي بن أبي طالب أنه قال للحكمين بين الزوجين: عليكما إن رأيتما أن تفرقا فرقتما، وإن رأيتما أن تجمعا جمعتما - فهذا عثمان، وعلي، وابن عباس، ومعاوية جعلوا الحكم إلى الحكمين، ولا يعرف لهم من الصحابة مخالف، وإنما يعرف الخلاف بين التابعين فمن بعدهم» - .

(إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)

". (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور مجموعة من العلماء ٩/٣٤٣